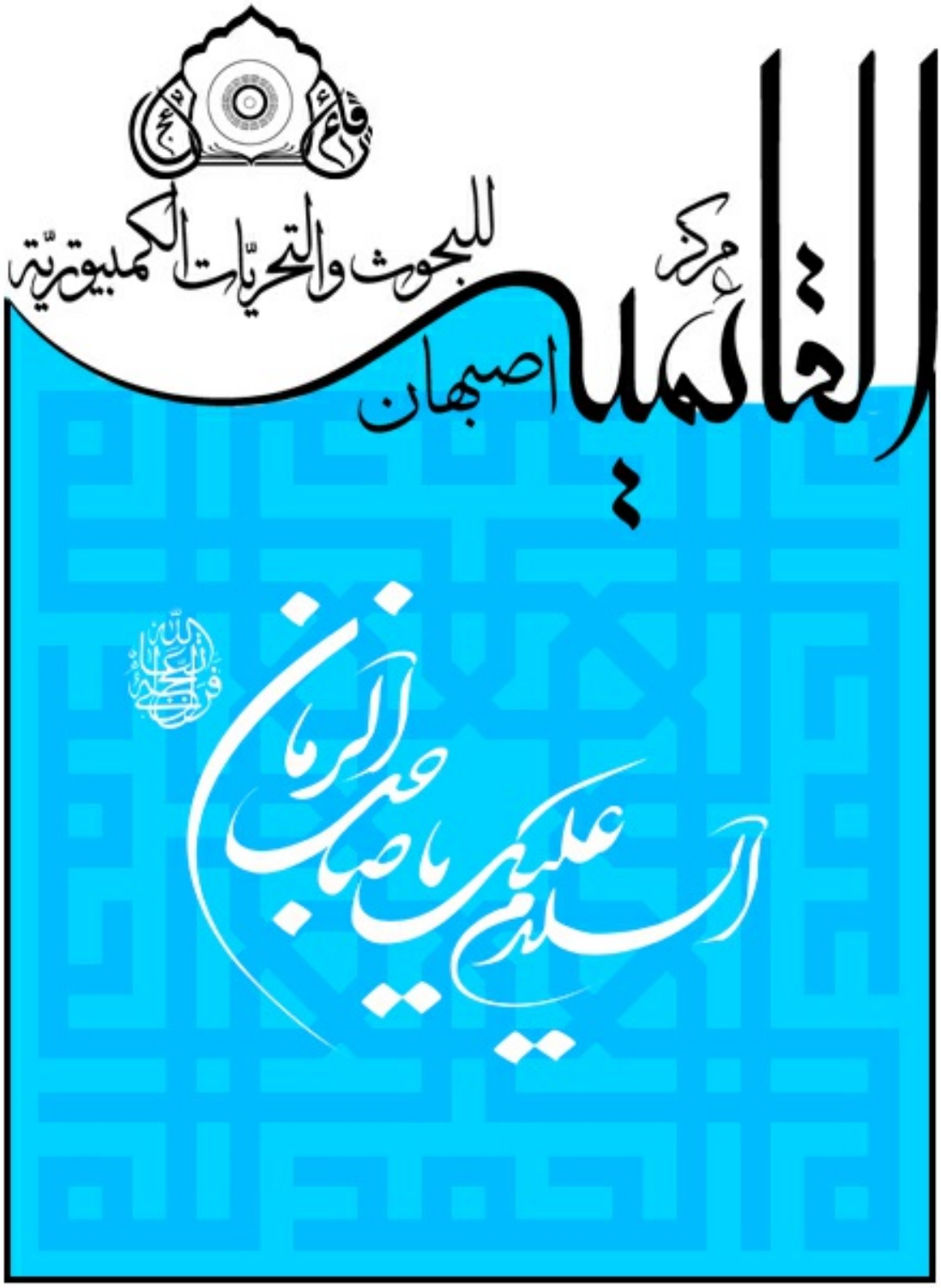

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مسند ابن عبيك
تأليف
الشيخ محمد العبدلي

بسم الله الرحمن الرحیم

مسلم بن عقيل عليه السلام

كاتب:

محمد البغدادى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

مسلم بن عقيل عليه السلام 7

اشارة 7

اشارة 7

التقديم 11

مقدمة الكتاب 14

مسلم 19

عقيل بن أبى طالب 26

يزيد فى سطور 32

المهدى 39

ابن زياد 43

مجتمع الكوفة 54

موجز الحركة 75

مواقف وتساؤلات 82

اختيار الإمام لمسلم 111

مسلم يُعلن هدف الثورة الحسينية 119

أهداف حركة مسلم 124

مسلم يهيئ الوسائل لإمامه 132

البيعة 139

الإيمان قيد الفتك 148

مسلم يُشعل فتيل الثورة 160

لِمَ استعجل مسلم المواجهة 163

مسلم فى الساحة 168

مسلم فی الأسر 171
مسلم یحاول المستحیل 173
مسلم فی مجلس ابن زیاد 178
استشهاد مسلم ومدفنه 180
المرقد المبارک 185
هل انتهت قضیة مسلم؟ 187
کیف نحیـی ذکری بطل الإسلام مسلم؟ 190
مسلم قدوة 204
ملکات أعلنت عنها الطف 208
سبب انهیار الحرکة 218
دروس من حرکة مسلم 223
المرأة فی حرکة مسلم 235
أولاد مسلم 239
علی درب مسلم 247
الشعر فی خدمة القضیّة الحسینیة 248
اشارة 248
النیابة الخاصة 251
علومه 252
اللیث یقتنص 254
أمیر یُؤسر 255
المناحة والبکاء 256
المصادر 261
المحتویات 267
تعریف مرکز 270

مسلم بن عقيل عليه السلام

اشارة

رقم الإيداع فى دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2012: 975

الرقم الدولى ISBN: 9789933489250

البغدادى، محمد - م.

مسلم بن عقيل عليه السلام / تأليف محمد البغدادى . - ط1. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1433ق. = 2012م.

ص256. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 84)

المصادر: ص 249 - 254؛ وكذلک فى الحاشية.

1 . مسلم بن عقيل، -60ق. - نقد وتفسير . 2. مسلم بن عقيل، -60ق. - شهادة. 3. الكوفة - الأوضاع الاجتماعية والسياسية. 4 . مسلم بن عقيل، - 6ق. - تعقيب وإيذاء. 5 . الحسين بن على(ع)، الإمام الثالث، 4 - 61ق. - أصحاب. 6 . مسلم بن عقيل، - 60 ق. - شعر ومراثى. ألف. العنوان.

7 ب 5 م / 4 / 42 BP

تمت الفهرسة قبل النشر فى مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 1

اشارة

ص: 3

مسلم بن عقيل عليه السلام

تأليف

الشيخ محمد البغدادى

إصدار

وحدة الدراسات التخصيصة فى الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه

فى قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1433هـ - 2012م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

www.imamhussain-lib.com

البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com

التقديم

أرفع أوراقى هذه إلى سيّدى ومولاى

ثائر الحسين

إمام زماننا وولى عصرنا

بشارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

محمد بن الحسن

المهدى

فى فدائىّ من جُند أبيه الحُسين

والأمر لصاحب الأمر

عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم: ـــ فی قوله للإمام علی علیه السلام، فی مقام مدحه لعقیل بن أبی طالب: ـــ

«وإنّ وَلَده لمقتولٌ فی محبّة وَلَدِک، فتدمع علیه عیون المؤمنین وتصلّی علیه الملائکة المقرّبون».

ثم بکی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، حتّی جرت دموعه علی صدره، ثمّ قال:

«إلی الله أشکو، ما یلقی عترتی من بعدی»(1).

ومن خطاب لسیّد الشهداء علیه السلام، فی صحبه الأبرار، فی کربلاء:

«إنْ کُنتم وطّنتم أنفسکم علی ما وطّنت نفسی علیه، فاعلموا:

أنّ الله، إنّما یهب المنازل الشریفة لعباده، لاحتمال المکاره.

وإنّ الله کان خصّنی مع من مضی مِن أهل بیتی الذین أنا آخرهم بقاءً فی الدُّنیا، من الکرامات، بما یَسْهُلْ علیّ معها احتمال المکروهات، فإنّ لکم شطراً من کرامات الله، واعلموا أنّ الدنیا حلوها ومرّها حلم

1- منتهی المقال لأبی علی الحائری: ج6، ص259، عن أمالی الصدوق، المجلس السابع والعشرون.

والانتباه فی الآخرة، والفائز من فاز فیها والشقی من شقیَ فیها»(1).

وقال سیّد الشهداء علیه السلام موجّهاً کلامه لصحبه الکرام فی کربلاء:

«فإنّی لا أعلم أصحاباً خیراً منکم، ولا أهل بیت أفضل وأبرّ من أهل بیتی، فجزاکم الله عنّی جمیعاً خیراً»(2).

ومسلم من أهل بیت الحسین، ومن أصحابه.

فهنیئاً له المعالی بصحبة:

الحسین، جوهرة القدس.

وروی عن الإمام علیه السلام أنه کتب إلی أهل الکوفة:

«وإنّی باعثٌ إلیکم أخی وابن عمّی وثقتی مِن أهل بیتی»(3).

ذُکر مسلم ـــ بعد شهادته ـــ بمحضر الحسین علیه السلام فاستعبر الإمام علیه السلام باکیاً ثمّ قال:

رحم الله مسلماً، فلقد صار إلی روح الله وریحانه، وتحیّته ورضوانه، أمّا أنّه قد قضی ما علیه وبقی ما علینا(4).

1- حیاة الإمام الحسین علیه السلام للشیخ باقر شریف القرشی: ج3، ص166، ه_1.

2- الملهوف للسید ابن طاوس: ص151.

3- الإرشاد: ج2، ص39.

4- الملهوف: ص134.

مقدمة الكتاب

قد يسأل البعض:

عن الوجه، فى إتعاب النفس، فى الكتابـة لهذا البحث، مع ما يتطلّبه من مراجعة وتأمّل وتقليب لصـفحات الكتب ولمدوّنات التأريخ مع أنّه موضوع قديم قد ذهب بكلّ ما له وعليه، كما أنّه قد كتب فيه عدّة من الأفاضل والمهتمّين بهذا الجانب من التأريخ الإسلامى.

ومع تسليمنا بقِدمِه، ووجود الكتابات فيه:

إلا أن فى البحث والمذاكرة، والكتابة فى جوانب من حياة مسـلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه، هذا البطل الذى قلّ نظيره، وعظُمت آثاره وتضحياته وملكاته، أسباباً عدّة؛ وله ما يقتضيه وهاك بعضه:

أ : ضخامة هذه الشخصية فى حدّ نفسها.

ب : عظمة العمل الذى صدر من مسـلم، وهو قيامه مقام الإمام الحسـين عليه السـلام عند أهل الكوفة فى المرحلة الأولى من مراحل ثورة الإمام عليه لسلام، وما صدر منه من أعمال بعد ذلک.

ج : عظمة الآثار التى ترتّبت على ما صدر من مسلم عند إدارته لحركته فى

الكوفة، والنهاية المهولة المفجعة التى انتهى إليها سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه عليهم السلام وثورته المقدسة.

د : محاولة البعض، بسبب سوء الفهم، أو سوء القصد، إثارة شبهات واهية، وإن ظُنّ أنّها مستعصية على الحلّ.

وبالنظر لأهمّية شخصية مسلم فى الإسلام، ومواقفه العظيمة، وكونه قدوة وأسوة للأجيال، ولكونه صفحة بيضاء فى سجلّ الإسلام، والعترة المحمّدية، ومذهب أهل البيت عليهم السلام، ولترتّب آثار فقهيّة وعملية على بعض ما أثر عن مسلم رضى الله عنه، فلابدّ التعرّض لتلك الشبهات، وبيان أوجه حَلّها، للتزوّد من تلك النهضة المباركة، لفكرنا وسلوكنا.

هـ : ولكون قضيّة مسلم وحركته جزءاً من تأريخنا المشرق العظيم، فلابدّ من تسجيل الواقع كما هو والدفاع عنه والعمل على رسوخه؛ كيلا نفقد هذا التاريخ أو ينتقل إلى الأجيال التى بعدنا وقد عملت فيه أيدى الخيانة والتحريف والجهالة.

و: أمرٌ مهمّ آخر: أنّ القاعدة هى تمييز الرجال بعد معرفة الحقّ وتشخيصه لا معرفة الحقّ بالرجال، والوارد عن المعصوم: اعرف الحقّ تعرف أهله(1).

إلاّ أنّ هناك مجموعة كبيرة من البشر لم تقدم بهذا التكليف من التعرّف على الحقّ كى يتميّز من خلاله، أهل الحقّ ورجاله وهناك مجموعة أخرى قَصّرت عن تمييز نفس الحقّ فاعتمد هذان الفريقان فى تمييزهما للحقّ ومعرفته على اتّباع أناسٍ معيّنين يُحسنون الظنّ بهم ـــ سواء طابق ظنّهم الواقع أم لا ـــ

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج40، ص126.

فينهجون نهجهم ويعتمدون على تمييزهم.

ومن رحمة الله سبحانه بالأمّة الإسلامية، وتيسيراً منه على الأمّة الإسلامية فى معرفة الحقّ كى يُواكبه ويلتزمه من صَدّق الله ورسوله حقّاً فقد عرّف الله سبحانه علىّ بن أبى طالب مَعلَماً للحقّ ومناراً، عن طريق كتابه العزيز ورسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

أمّا القرآن ففيه:

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ))(1).

وقد ورد فى تعيين مَنْ هم المقصودون بالآية ـــ أى الصادقين ـــ إنّهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا ريب أنّ علياً عليه السلام سيّدهم، وفى نصوص عدّة التصريح بنزولها فى على أمير المؤمنين عليه السلام(2).

وأمّا النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد عنه:

«على مع الحقّ، والحقّ مع على، ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض يوم القيامة»(3).

هذا فى أيّام النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وأمّا بعده فإنّ ما ثبت عنه من قول وعمل بقى مناراً للحقّ، فمن سار على نهجه ورسخ فيه سلوكه فهو منار للحقّ أيضاً، كما أنّه عليه السلام

1- سورة التوبة، الآية: 119.

2- راجع: شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى: ج1، ص341، وما بعدها.

3- فضائل الخمسة من الصحاح الستّة: ج2، ص109، عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادى.

نصّ على أنـاس: أنّهم معالم فى طريق الإنسانيـة، هُـداة إلى سُـبل الحقّ والفلاح فكان من بعـده ولـدا رسول الله الحسن والحسـين عليهما السلام ثمّ التسعة من ولد الحسين عليهم السلام.

ومسلم لتبعيته المطلقة للنبىّ ولخلفائه المعصومين فكراً وسلوكاً، فقد أضحى مناراً فى دنيا الإسلام، ولمّا كان كذلك وجب ذكره، وتعظيمه، والإشادة بفضـله، وتعـداد أعماله، وبيان ملكاته وخصاله، والـدفاع عنه ضـدّ كلّ من يحاول عن عمـدٍ أو خطأ، أو غفلةٍ إثارة الغبار حول هذه الشخصـية الكريمة، التى ضـحّت بوجودها فى سبيل ترسيخ الإسلام ودفع الغوائل عنه، كما قدّمت هذه التضحية، فى سبيل تحرير البشرية من فئة ضالّة مستهترة بالقيم والفضائل، وتعيش لتنهب وتستعبد، وتحتكر الخيرات.

هذه الفئة من مصاديق الآية الكريمة:

((وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ))(1).

ولتكن دائماً على ذكرٍ من هذه الآية فإنّها تنفع فى موارد عدّة من هذا البحث.

لكن المولى سبحانه لم ولن يترك أولياءه فى ساحة صراعهم مع حُثالات البشرية، بل انتظر آخر المطاف:

((أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ))(2).

1- سورة إبراهيم، الآية: 46.

2- سورة الأعراف، الآية: 99.

قال تعالی:

((قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ))(1).

وقال سبحانه وتعالی:

((وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (50) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ))(2).

وقال الله تبارک وتعالی فی کتابه الکریم:

((... وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ...))(3).

ما مرّ من الآیات یحکی عن سنن وقوانین فی الحیاة الدنیا، ولکنّهم ـــ الطواغیت ـــ لا یعلمون، ولا یشعرون، حتّی یحیط الغضب الإلهی بهم ومن یساندهم ویرتضیهم ثمّ لا مفلت لهم عنه:

((فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ))(4).

1- سورة النحل، الآیة: 26

2- سورة النمل، الآیتان: 50 ـــ 51.

3- سورة فاطر، الآیة: 43.

4- سورة المطففین، الآیة: 34.

مسلم

هو: مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبد المطّلب بن هاشم.

أمّا آباؤه فنحتاج لتصنيف كتاب فى كُلّ واحدٍ منهم لنحيط بشخصيته إلاّ أبا طالب سيّد البطحاء ومؤمن قريش فلا تفى بحقّه كتب(1).

وأمّا مسلم: فكتابنا لا يتكفّل بتعريفه؛ إذ شخصيّته الكريمة فى غنىً عن التعريف عند أمّة كبيرة من المسلمين هم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية؛ إذ يعرفه جيّداً، صغارهم وكبارهم، نساؤهم ورجالهم.

نعم، كتابنا يتولّى مهمّة التنقّل بين ثنايا حياته، خصوصاً ما يتعلّق منها بقضيّة الإمام الحسين عليه السلام سبط رسول الله وخليفته فى أمّته، الحسين الذى هو وديعة رسول الله فى الأمّة، والذى ذبحه بعضها، وشارك بعض آخر فى الجريمة بالسيف أو بالمؤازرة أو بالتبرير أو بالرضا.

وغضبت فئة أخرى لما أصابه وثارت وما تزال.

مسلم كان له دور عظيم فى تلك الحركة كما أنّه أحد قرابينها.

1- راجع منها: الحجّة على الذاهب للسيّد فخار بن معد الموسوى؛ أبو طالب مؤمن قريش للشيخ عبد الله الخُنيزى.

عاش مسلم وتربّى فی بیوت کانت مهبط جبرئیل، وکانت تنهل منها الأمّة معالم التوحید ومسالک الإیمان.

ارتشف العلم من عمّه علیّ أمیر المؤمنین، ومن الإمامین السبطین الحسن والحسین علیهم السلام.

فلا عجب أن ینهض بالمهامّ الجِسام، وأن توکَل إلیه ما ینوء بحمله نخبة الرجال.

سمّاه أبوه مسلماً، وهم اسم حدیث الظهور، قلیل التداول، إلاّ أنّه ینبئ عن اعتزاز الوالد بالإسلام، کما أنّ له سمّیاً فی حرکة الطف، وهو البطل مسلم بن عوسجة.

حضر مسلم وقعة صفّین، فکان فی میمنة الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام مع الحسن والحسین علیهما السلام وعبد الله بن جعفر(1).

تزوّج من رقیّة بنت علی أمیر المؤمنین وأولدها عبد الله الشهید فی الطفّ، له أربعة أو خمسة من الذکور وبنت واحدة إلاّ أنّه لم یبق له عقب(2).

اختاره الإمام الحسین علیه السلام سفیراً له إلی الکوفة لیستطلع أوضاعها ویکتب إلیه بحقیقة الحال کی یحزم الإمام أمره.

قام مسلم بما أوصاه الإمام به أحسن قیام، وتوثّق من نیّات أهل الکوفة

1- ذکر هذا ابن شهر آشوب فی مناقب آل أبی طالب: ج3، عند حدیثه عن حرب صفّین؛ معجم رجال الحدیث للسیّد الخوئی: ج18، ص150، وذُکر أیضاً فی العُمدة.

2- إبصار العین للشیخ محمد السماوی: ص50؛ مبعوث الحسین: ص54 ـــ 55.

وعزائمهم فكتب إلى الإمام يستحثّه القدوم.

غير أنّ الأحداث تسارعت، وبدأت الأمور تجرى لغير صالح حركة الإمام، ورغبات أهل الكوفة ممّا وقع معها أهل الكوفة فى سُنن من قبلهم فامتُحِنوا لكنّهم فشِلوا فى الامتحان، وانقلبوا على أعقابهم فمن جُندٍ للحسين إلى جُندٍ ليزيد، غير جمعٍ نالهم غضب الكيان الحاكم.

اعتقل مسلم بعد معركةٍ هائلة أسطورية بينه ـــ وحده ـــ من جهة، وبين المئات من جُند الفئة الحاكمة.

أعلن حقيقة الثورة الحسينية الظافرة، وزيف الكيان الحاكم أمام ابن زياد ووسط قادته داخل قصر الإمارة، وهو موقف يُضاف إلى مواقفه العظيمة التى لا تنتهى.

صعدوا به إلى أعلى قصر الإمارة، وضربوا عنقه، ثمّ رموا بجسده من أعلى القصر، وسحبوا جثمانه المقدّس فى أزقّة الكوفة وسوقها فى مواقف متتابعة للفئة الحاكمة تدلّ على انقطاع كلّ رابطة بينها وبين الإسلام ونبيّه.

نقلت النصوص(1)، أنّ عليّاً أمير المؤمنين طلب من أخيه عقيل العارف بأنساب العرب وخصالها، أن يختار له امرأة يتزوّجها، قد ولدتها فحول العرب، كى تنجب له ولداً يحمل صفات الشجاعة والرجولة، وقد اختار عقيل له امرأة ولدت له بطل الأبطال العبّاس عليه السلام كما ولدت له أبطالاً آخرين سطّروا الملاحم فى الطف.

1- العبّاس عليه السلام للسيد عبد الرزاق المقرّم: ص12.

فـإذا كان عقيل هكـذا لأخيه فأحرى به أن يتخيّر لنفسه أيضاً وقـد فعل، وَوُلِـدَ له بطل عظيم من أبطال البيت الهاشـمى يحمل خصال الفتوّة والشجاعة والشهامة والشمم إلى غيرها من الصفات الجميلة التى ظهرت جليّة فى مسلم فى الكوفة حينما قام بشؤون سفارته عن الإمام خير قيام وأدّى ما عليه ناصحاً لدينه و إمامه وأمّـته.

استشهد فى 8 / ذو الحجّة / 60 هـ.ق(1)، غير أنّ المفيد ذكر أنّ خروجه يوم ثمانية واستشهاده يوم تسعة(2).

حركته، وشهادته، ومدفنه: ـــ فى الكوفة ـــ العراق.

مرقده: مُلاصق للحائط الشرقى من مسجد الكوفة المبارک.

لا يقلّ عمره حين استشهاده عن الخامسة والأربعين، غير أن الشيخ المامقانى ذكر أن عمره حين استشهاده ثمان وعشرون سنة(3).

الآمر بقتله: عبيد الله بن زياد بن أبيه ـــ لعنه الله ـــ.

وقاتله المباشر: بكر بن حمران ـــ لعنه الله ـــ(4).

من مختصّات مسلم (رضوان الله عليه):

أنّه: أوّل شهيدٍ من بنى هاشم، فى التأريخ المسجّل المعروف، يُقتل علانيةً

1- راجع: الشهيد مسلم بن عقيل للسيد عبد الرزاق المقرّم: ص253.
2- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص66؛ مسار الشيعة للمفيد: ص17 ـــ 18؛ وهناک قول ثالث بل رابع فراجع: المقتل للمقرم: ص165.
3- تنقيح المقال: مج3، ص214.
4- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص63.

بهذا الشكل الفجيع.

فلم يُعرف عن بنى هاشم أنّه أسِـ رَ لهم أسير بهذه المرتبة من الشرف وقُتل، فبنو هاشم، أشراف العرب، بل الدنيا، قبل الإسلام وبعده، وكانت العرب تُعظّمُهم، وتحفظ لهم مقامهم، ورفعتهم، وهم سادة مكّـة، وأهل الحرم، فحفظ أهل الجاهلية لهم مجدهم، وهتک المنتسـبون إلى الإسلام ـــ زوراً ـــ حرمتهم.

أوّل قتيلٍ من بنى هاشم، يُقتل علانيةً بيد السلطة، وتغدره الأمّة.

وأمرٌ آخر:

أنّ مسلماً من ضمن ثُلّةٍ من عظماء الأبطال، وأماجد الشهداء المجهولين عند عموم الأمّة الإسلامية.

مسلم، بطلٌ مجهول، عند قرابة المليار مسلم.

نعم، هو معروف عند شيعة أهل البيت،

لكنّه مجهول عند غيرهم.

ووجه مجهوليّته عند هؤلاء المسـلمين، هو نفس السـبب الذى حدا بهم إلى قلّة الاهتمام بأهل بيت النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، الذين نزل فيهم من الآيات، وذكرهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى المنقول عنه من الروايات بما يصعب حصره.

القرآن يقول فيهم:

((... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))(1).

1- سورة الأحزاب، الآية: 33.

والنبیّ یقول فیهم:

«إنّی تارکٌ فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی فإن تمسّکتم بهما لن تضلّوا من بعدی»(1).

فالقرآن صرّح بنزاهتهم من کلّ شائبة.

والنبیّ صلی الله علیه وآله وسلم صرّح بأنّ سبیل النجاة فی اتّباعهم.

ولعلّ من أعظم النصوص فی حقّهم، التی تقطع العذر علی من یساویهم بغیرهم، ویعدل بهم سواهم، ویأخذ عمّن لا یُقاس بهم.

قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّما مَثَلُ أهل بیتی فیکم کمثل سفینة نوح من رکبها نجا ومن تخلّف عنها غَرِق»(2).

ومعلوم أنّه لم ینج من قوم نوح إلاّ من رکب فی السفینة، حتّی ابنه.

1- نفحات الأزهار للمیلانی: ج1، 2، 3، واللفظ من ج1، ص347؛ راجع: البحار للعلامة المجلسی: ج23، ص132؛ فقد نقله عن العامّة بأسانید وألفاظ متعدّدة؛ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفیروز آبادی: ج2، ص43، وما بعدها. وفی معنی (الثقلین) سمّیا ثقلین لأنّ الأخذ بهما ثقیل، والعمل بهما ثقیل، قال: وأصل الثقیل، أنّ العرب تقول لکلّ شیء ونفیس خطیر مصون (ثِقل) فسمّاهما ثقلین إعظاماً لقدرهما وتفخیماً لشأنهما، (نفحات الأزهار: ج1، ص308، وص 337). هذا، وقد لخّص السیّد علی المیلانی مجلّدات ثلاثة ضخام فی حدیث الثقلین من الموسوعة العظیمة ـــ عبقات الأنوار ـــ لآیة الله السید حامد حسین اللکهنوی الهندی، وتلخیص السیّد المیلانی الذی بلغ اثنی عشر مجلّداً، یحوی أحادیث عدّة، قد سمّاه ب_(نفحات الأزهار) غیر أنّ العبقات باللغة الفارسیة والنفحات بالعربیة فراجع واغتنم فإن فیها کنزاً للآخرة والأولی.

2- نفحات الأزهار للمیلانی: ج4، ص42.

((أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ))(1).

مأساة حقيقيّة تعيشها الأمّة ولن تصحُ منها إلاّ فى وقتٍ:

((... لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا ...))(2).

ستصحو حين لا نفع فى الصحو، وستندم حين لا ينفع ندم وإنّ غداً لناظره لقريب.

1- سورة الزمر، الآية: 56.

2- سورة الأنعام، الآية: 158.

عقيل بن أبى طالب

من سادات بنى هاشم ـــ وكلّهم سادات ـــ ومن أجلاّء المسلمين، ومن ذوى المواقف المذكورة والمشهورة والمشكورة فى مضادّة معاوية والتنكيل به وبأفعاله وكشف معايبه ومساويه فى باحة دار حكمه وبين أزلامه.

ولولا أنّ نور النبىّ ونور الوصى والذريّة الأطهار قد طغى على كلّ نور لكان للرجل شأن آخر فى المجتمع الإسلامى وإلاّ فهو ـــ نسبة إلى المسلمين بل إلى خاصّتهم ممّن له شأن يُذكر ـــ كحال آبائه فى الجاهلية والإسلام.

والمروى أنّه الأحبّ إلى قلب أبيه من دون بقيّة أولاده ولذلك استبقاه عنده فى عام المجاعة ولم يكله إلى أحد من أهل بيته يكفله له(1).

كان حاله ـــ كوالده ـــ من جهة الثروة والتمكّن المادّى، إذ المنقول عنه أنّه كان فى منتهى الفقر والعوز، ولا يفسّر فقره وفقر غيره من بنى هاشم إلاّ بما تنطوى عليه جوانحهم من نفسٍ كريمةٍ وأبيّةٍ، تتأبّى من جانب فلا تستدرّ المال بأىّ طريق اتّفق، وتجود بالقليل والكثير لذوى الحاجات امتثالاً لنداء المكارم، إذ يقوم عنهم جليسهم مفلحاً بحاجته فائزاً بأمله مع أنّ صاحب هذه النفس الكريمة

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج42، ص115.

المتعالیـة فی أحوج ما یکون إلی ما بـذل، لکن هذه شـیمة النفوس الکبیرة التی تنزع إلی المکارم کما یسـعی الآخرون إلی شـهواتهم ونداء غرائزهم، وإلی الاستحواذ علی کلّ شیء واحتکاره.

النبیّ والوصـیّ ـــ مثلاً ـــ کانت الدنیا تحت إمرتهما بما تیسّر لهما أموال خدیجة، وبما بذل من بذل وبما نتج من غنائم، وما کان بأیدیهما قلیلٌ ولا کثیر، بل کانوا یقضون الیوم والیومین والثلاثة بلا غذاء، حتّی أصبح هذا شأناً معتاداً لهم، ویا للحسرة، یغدو النبیّ والوصیّ وحالهما ـــ وعیالهما ـــ هـذا، وتنام الأمّـة رغـدة لا تفیدهما بما تحت أیدیهما، ولا تتفقّد شأنهما، والقرآن ینادی بحالهم، ولا عجب من أمّة انتهت سریعاً إلی منحدر مهول، کان ینبئ عنها أوّلها.

ویحـدّث التأریـخ: أنّ عقیلاً ـــ وهو فی أوج فقره، وشـدّة وطأة الحاجـة والعوز ـــ کان ینال عطایا من معاویـة ویحضـر مجلسه فی بعض الأحیان وما داهنه یوماً ولا مدحه بل کان یُسمعه القارص من الکلام ویفضحه ویُکیل له الاهانات(1) فما التفت إلی خوف انقطاع رزقه ولا عطّله هذا عن انتهاز الفرص لأداء واجب یَعْسُرُ فِعْلُه علی غیره وفی أنسب من هذا المکان والحال.

کان عقیل بصیراً ـــ فاقداً للبصر ـــ ولعلّ هذا عطّله عن أمور الحیاة وعن الحضور فی وقائع کثیرة سیاسیّة وجهادیّة کانت تقتضی مثله.

لکن ذرّیته ـــ أولاده وأحفاده ـــ سجّلوا المآثر الخالدة وبَنوا لِعَقیلٍ وآل

1- راجع: بحار الأنوار للعلامة المجلسـی: ج42، ص112؛ فقد نقل فی هذا نصوصاً عن ابن أبی الحدید؛ راجع: الشـهید مسـلم بن عقیل للسید المقرم: ص41، وما بعدها.

عقيل مجداً فی الدارين فات علی الآخرين الفوز به.

لم يرد لعقيل ذكر فی مجريات أحداث الطفّ فيظهر أنّه كان فی تلك الحقبة من الملتحقين بربّهم، وقبره فی البقيع، وبقربه ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيّار(1).

لكنّ مسلماً كان مناراً فی الحركة الحسينيّة وأمّة وحده.

وأولاد عقيل الآخرون: جعفر، عبد الرحمن(2).

وأولاد مسلم: محمد بن مسلم، عبد الله بن مسلم.

وأحفاد عقيل الآخرون: جعفر بن محمد بن عقيل، محمد ابن أبی سعيد بن عقيل.

وزاد ابن شهر آشوب: عون بن عقيل، ومحمد بن عقيل.

وإذا أضفنا ولدیّ مسلم المقتولين بعد مدّة علی شاطئ الفرات اللّذين لهما مرقد مشهور معروف فی تلك النواحی من العراق فيكون المجموع تسعة أو أحد عشر من شهداء آل عقيل فی قضية الطف ـــ وقيل: 16 شهيداً ـــ وهو عدد ضخم من عائلة صغيرة.

وقد ورد: أن علی بن الحسين كان يميل إلی وِلْد عقيل فقيل له: ما بالك تميل إلی بنی عمّك هؤلاء دون آل جعفر، فقال: إنّی اذكر يومهم مع أبی عبد الله الحسين بن علی عليهما السلام، فأرقّ لهم(3).

1- تحفة العالم: ج2، ص15.

2- بحار الأنوار للمجلسی: ج45، ص62.

3- كامل الزيارات: ص214.

إذن، خَلت مساكن آل عقيل من رجالهم بعد يوم الطفّ؛ إذ قدّموا الصغار والكبار، وترمّلت النساء، وأيتم بقيّة الأطفال، وانطفأت أنوار تلك الديار.

لكنّ مسلماً المنار من بينهم بل بين الهاشميين بل المسلمين قاطبة، استعبر لمقتله الإمام الحسين عليه السلام وقال:

رحِمَ الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيته ورضوانه، أما إنّه قد قضى ما عليه وبقى ما علينا(1).

وتحدّث عنه علماؤنا فقالوا:

أرسل الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل إلى الكوفة وكان مثل الأسد(2).

وقالوا: لقد كان من قوّته أنّه يأخذ الرجل بيده فيرمى به فوق البيت(3).

قال السيّد الخوئى: وكيف كان فجلالة مسلم بن عقيل وعظمته فوق ما تحويه عبارة فقد كان بصفّين فى ميمنة أمير المؤمنين عليه السلام مع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر(4).

وقال فيه الشيخ عبد الله المامقانى(5): من أصحاب الحسن والحسين، وهو سيّد السعداء، وأوّل الشهداء، وسفير سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة(6)، وجلالته لا يفى بها قلم، ولا يحيط بها رقم.

1- بحار الأنوار: ج44، ص374.

2- بحار الأنوار للمجلسى: ج44، ص354.

3- المصدر نفسه.

4- معجم رجال الحديث: ج18، ص150.

5- تنقيح المقال للشيخ المامقانى: مج3، ص214.

6- فى المصدر: أهل كوفة.

وقال أيضاً: كونه فی أعلی درجات العدالة والثقة مما لا یرتاب فیه ذو مسکة، کیف وإرسال الحسین علیه السلام إیّاه سفیراً ورسولاً من أعظم البراهین علی ثقته وعدالته، وکان عمره الشریف حین استشهد ثمانی وعشرین سنة عاش مع أبیه ثمانی عشرة سنة، وبعد أبیه إلی أن قتل عشر سنین واستشهد فی الیوم الثامن أو التاسع من ذی الحجة سنة تسع وخمسین(1).

هیّأ مسلم الأوضاع لإمامه ونصح له، ولمّا فلت الأمر، لم ینکل بل حاول بکلّ جهده إرجاع الأمور لنصابها ولمّا انتهی کلّ شیء لم یُبال فلم یلتفت إلی الفناء والموت الذی یتهدّده علی ید شرّ الناس وأقذرهم بل انظر بِمَ فکّر:

لقد فکّر فی الحسین فحاول إیصال خبر الحال إلیه وإرجاعه إلی وجهة أخری بکلّ وسیلة فتراه یکلِّف من تیسّر له فی تلک الساعات من قادة جیش ابن زیاد فاختار من هو الأقرب إلیه والذی یحتمل فیه إیصال الخبر لسبب أو لآخر.

استخدم وسیلة الدعاء بأن یتکفّل المولی سبحانه بهذا الأمر؛ کی یری الإمام رأیه وفعلاً وصل الخبر إلی الإمام بواسطة رجلین مرّا اتّفاقاً قرب قافلة الإمام فاستعلم البعض منهم الخبر وأبلغ الإمام.

اهتمّ بقضاء دیونه فی تک الساعة فطلب من بعض الموجودین أخذ سیفه ودرعه وبیعها وتسدید دیونه وهو ما أکّدت علیه النصوص بشدّة.

ووقف بعد هذا یواجه ابن زیاد ویصرّح له عن موقفه وموقف أهل البیت من السلطة وبنی أمیة وبقی إلی لحظاته الأخیرة یسبّحُ الله ویمجّده.

1- المعروف أن استشهاد الإمام الحسین فی سنة 61هـ.ق فیکون استشهاد مسلم فی سنة 60 هـ.ق.

رفض السلام على ابن زياد والأمر بيده فلم يداهنه ولم يخضع له كآبائه وأجداده وأهل بيته بل كان يفتخر عند الموت وهو ما عجب منه ابن زياد.

وَرَحَل مسلم أخيراً، متقدّماً قوافل شهداء أهل البيت وشيعتهم وترک الأمّة يعتصرها الألم لفقده.

وتتأثم لقعودها عن بذل النفيس والنفس فی نصرته.

وتفتخر به ذاتياً وسلوكاً لمواقفه وجهادياته.

ومن يقرأ سير أهل البيت عموماً، ولاسيما سيرة أبطال الطفّ، يمتلئ فخراً واعتزازاً بما سجّله أولئک الأبطال من مواقف كرامة، ومن استماتة فی نصرة الحقّ والدين بما أرعب الأعداء وأثار عجبهم فی آنٍ واحد.

يزيد فی سطور

هلک يزيد فی 15/ربيع1/64هـ.ق، لکنّ آثار جرائمه العظيمة باقية إلی اليوم وبها أصبح اسمه عاراً علی من يحمله، ولا نحتاج إلی أکثر من قتله لسيّد شباب أهل الجنّة کمُعرِّفٍ له.

ولکنّنا نبيّن لِمن فی قلبه أدنی شبهة تمنعه من الجزم بحال هذا الطاغية، علی أن فی ذکر أفعال المجرمين منفعةً کبيرةً، إذ تبقی الأمّة علی ذکر من انحراف هؤلاء، کی تحذر أمثالهم وتحذر مثل أفعالهم.

إنّ مجموعة کبيرة من المنحرفين عن خطّ الإسلام الأصيل قد خفی علی الناس حالهم؛ بسبب کفّ اللسان والقلم عن الجری فی هذا المضمار؛ فجهلت الأمّة أمرهم، أو اشتبه عليها حالهم فأحسن الناس الظنّ بهم وجروا علی منهاج فکرهم فوقعوا معهم فی التيه، والعاقل ـــ حتّی لو فرض عدم توجيه أمرٍ شرعی له بفضح هؤلاء وأمثالهم ـــ يجدر به عدم التهاون فی هذا السبيل للضرر العظيم الداخل علی الدين والأمّة بسببهم.

ويزيد، أحد هؤلاء الذين ينبغی للأمّة أن تتذاکر جرائمهم وشؤونهم کی تقيس عليها، فکما أنّ للهدی أعلاماً ومشاعل، فکذلک للباطل والضلالة، ويزيد أحد أعلام الضلالة وأرکانها کأبيه وجدّه من قبل.

وأمّا ما يلتزمه بعض العامة(1) من ترک لعن يزيد وأشباهه من الظالمين والمُضلّين حتّى صرّح إليّ أحدهم خلال حديث جرى بيني وبينه، بأنّه يلتزم بعدم لعن أبي لهب وشتمه مع ما ورد في القرآن بشأنه.

ولا ريب في تطرّف هذا ومن سبقه ممّن يتوقّف في لعن إبليس، وبدعوى اقتضاء الديانة مثل هذا التوقّف.

إنّ من صميم الدين الإسلامي الخاتم للأديان والمهيمن عليها، والمتضمّن لأفضل التشريعات وأصلحها لبناء أفراد الجنس البشري وكذا لبناء المجتمع، التزام ولاية أولياء الله سبحانه وإعلان هذا الالتزام البراءة من أعداء الله سبحانه، وإعلان هذا الالتزام.

وإبليس وأبو لهب ونحوهما من الظالمين والمضلّين والكفرة والمنحرفين والمتمرّدين والمحاربين لله ولشرائعه وأنبيائه وأوليائه هم أعداء الله سبحانه وقد أعلن المولى سبحانه براءته من الكفّار، فعلى كلّ من يؤمن بالله سبحانه ويلتزم صراطه، التزام عداوة هؤلاء والبراءة منهم وإعلان هذا الالتزام تعصّباً لله سبحانه ونصرةً له:

((... يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))(2).

1- راجع حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي: ج3، ص402، وما بعدها؛ وليالي بيشاور: ص211، وما بعدها؛ وابن تيمية: ص369، لصائب عبد الحميد؛ وكذلک العباس عليه السلام للمقرّم: ص328 ـــ 329، فيمن يجوّز لعن يزيد من العامّة، ولاحظ أيضاً: معالم المدرستين: ج2، ص75، حول دفاع بعض المهرّجين عن يزيد.

2- سورة محمد، الآية: 7.

وأيّ محاولـة لمهادنـة هؤلاء أو للتبرير لهـم أو للكفّ عنهـم بأنواع الكفّ ـــ من يـدٍ أو لسان أو قلم ـــ فهو اعتراض على حكم الله سـبحانه وقضائه وتركٌ لنصرته فى مورد لزوم النصرة، كما أنّ فى هذا الالتزام تمرّداً على أوامر الله سبحانه وتحدّياً له وقد أمر الله بلعنهم والبراءة منهم ومحاربتهم ومضادّتهم ومحوهم من جديد الأرض ومن أقلّ ما به إظهار هذا الالتزام هو الإعلان بسبّهم(1).

ويزيد: عدوّ الله الأكبر، وهو لا يقلّ فى عداوته لله سـبحانه وفى عداوة الله له عن مرتبة أكابر المجرمين فى تاريخ الإنسانية الطويل كفرعون والنمرود ونحوهما من العُتاة على الله سـبحانه، والمتمرّدين على أوامره ونواهيه والمسـتهترين بكلّ القيم، وقـد ثبت بالأدلّـة القطعيـة هـذا، وجرى عليه جمعٌ من علماء العامّة، بعدما أطبقت عليه الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بكلّ أفرادها، لا يشذّ منهم أحد.

فلابـدّ ـــ والحال هـذه ـــ من التعامل مع هـذا القاذورة على هذا الأساس، من الالتزام بكفره وتجبّره وإعلان البراءة منه، ولعنه، والتبرّؤ من كلّ أفعاله نصـرةً لله ولرسوله وللـدين الذى جاء به النبىّ الأكرم ولذريّة النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم الذين بطش بهم هذا المتنكّر حتّى لشـريعة الغاب، ونُصْـرَةً لإمام الأمّة سـبط رسول الله الذى نهض لإحياء الإسـلام وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولإزالة استضـعاف الأمّة بعدما فعل بها بنو أمية وولاتهم الأفاعيل.

الله سـبحانه أرسل نبيّه بقرآنه ودينه وشـريعته لإخراج البشـرية من الظلمات إلى النور، لا لكى يفعل هذا ثمّ يسلّم الأمّة والدين إلى بنى أميّة يتّخذون عباد الله

1- راجع: ليالى بيشاور: ص216، حول جواز لعن يزيد.

خولاً وماله دولاً وما من جريمة إلاّ وفعلوها ولا من هدمٍ للدين إلاّ وارتكبوه.

نعم ليس لهم إلاّ الفتوحات التى يُهرّج بها من يُهرّج، ولم تكن إلاّ لتوسعة رقعة دولتهم (التى سُمّيت بالدولة الأموية ولم تسمّ بالدولة المحمّدية) وللتمتّع بمغانم البلاد المفتوحة وإلا فلم يظهر منهم اهتمام فى إنهاء الإلحاد والشرک والكفر فى البلاد المفتوحة أو الاهتمام بنشر الإسلام وأحكامه وقوانينه، وهذه الهند تزخر بمئات الديانات إلى يوم الناس هذا، ولا يُنكر إلاّ مكابر أنّ شرب الخمور ومجالس الفسوق كانت تعمر بها دورهم وقصورهم وجلساتهم، والندامى والشعراء كانوا من ألصق الناس بهم وكانت المظالم ومظاهر الجور فى طول بلاد الإسلام وعرضها وعشرات الثورات تندلع هنا وهناک ضدّهم خصوصاً من أهل البيت النبوى الطاهر منها ثورة زيد بن على وثورة يحيى بن زيد وثورة التوّابين وثورة المختار وثورة أهل المدينة وثورة عبد الله بن الزبير وغيرها ممّا لا يعدّ ولا يحصى، وأعظم ثورة على الإطلاق فى أيّامهم بل فى طول تاريخ الإسلام ثورة أبى الأحرار وسيّد الشهداء ولد رسول الله ووصيّه وخليفته فى أمّته ووارث علمه سيّد شباب أهل الجنّة الحسين بن على بن أبى طالب، فكيف يُتوقّف عن لعن يزيد وتكفيره وقد أباد عائلة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وسبى صبيته ونساءه ومعهم على بن الحسين السجّاد زين العابدين الإمام المعصوم والخليفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـــ بدلالة الحديث المروى عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى أنّ الأئمّة اثنا عشر وكلّهم من قريش(1)، وليس فى تاريخ الإسلام

1- نقل النص على هذا: صحيح البخارى: ج5، ص124؛ صحيح مسلم: ج3، ص1452؛ راجع: كشف المحجّة لثمرة المهجة: ص135، مع ملاحظة الهوامش.

كلّه اثنا عشـر إماماً غير الأئمّة الاثنى عشـر من ذرّية رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم الذين تعتقد الإمامية هذا بهم بالنصوص التى لا تقبل خلافاً ولا جدالاً ــ .

يزيد هذا أباح مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قتلاً فى الصحابة والتابعين وهتكاً لأعراض نسائهم وبناتهم.

يزيد الذى نقل عنه حتّى علماء العامّة:

لعبت هاشم بالملک فلا

خبرٌ جاء ولا وحىٌ نزل(1)

روى العلاّمة عن البلاذرى ــ وهو من علماء العامّة كما هو معروف ــ :

لمّا قُتل الحسـين عليه السلام كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فقد عظُمت الرزية، وجلّت المصيبة، وحدث فى الإسلام حدثٌ عظيم ولا يوم كيوم الحسين.

فكتب إليه يزيـد: أمّا بعـد يا أحمق فإنّا جئنا إلى بيوتٍ منجّـدة وفرشٍ ممهّـدة ووسائد منضّدة فقاتلنا عنها فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوک أوّل من سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحقّ على أهله(2).

ولا ينقضـى العجب من عمر بن الخطّاب، الذى ترک أعاظم الصحابة وزهّادهم وعلماءهم وذوى السابقة والإخلاص والملكات الرفيعة فلم يجد منهم

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج2، ص187؛ عن البداية والنهاية لابن كثير: ج8، ص192؛ المقتطفات لابن رويش: ج1، ص201؛ تاريـخ الطبرى: ج11، ص358؛ أنسـاب البلاذرى: ج5، ص42؛ ذكره فى مقالاـت تأسيسـية فى الفكر الإسـلام للسـيد الطباطبائى صاحب الميزان: ص200.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج45، ص328، عن العلامة البلاذرى.

من يولّيه بلاد الشام ـــ وهى من أعظم بلاد الإسلام ـــ حتّى ولاّها معاوية بن أبى سفيان، ففتح بذلک الباب لهذه الأسرة الملعونة أصولاً وفروعاً، ومعاوية وأبوه أفنوا أعمارهم وإمكانياتهم فى العمل لإفناء الإسلام وقتل نبيّه وفعل الأفاعيل بالمسلمين بل ما من جريمة فى تأريخ فجر الإسلام إلاّ ولأبى سفيان فيها اليد الطولى.

ثمّ لمّا جاء أوان فتح مكّة ورأى أبو سفيان جيوش الإسلام تملأ الأفق وعلم هيمنة الإسلام على ربوع مكّة والجزيرة أسلم خائفاً يملأ النفاق جوانحه ويفيض عنه حتّى يعلمه من يقترب منه(1).

وهذا معاوية(2)، لم يخضع هو الآخر للإسلام إلا عن خوف ـــ عند فتح مكّة ـــ ولعلّه لبنائه على أن لا فائدة تُرتجى إذ هى حيلة مكشوفة، لكنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مَنّ عليه بعد اعتقاله، وأطلقه فى جملة الطلقاء، فأصبح اسم الطليق(3) ألصق به مِن ظلِّه، فأسلم عند هذا لكن حاله كأبيه فى النفاق والإيغال للإسلام وقادته وأهله، ومن يطالع ما كتبه المؤرّخون عن أبى سفيان وابنه معاوية

1- المقتطفات للعلامة ابن رويش السّقاف الأندونيسى، فقد نقل الكثير عن أبى سفيان من مصادر العامّة فراجع: ج1، ص230، وما بعدها؛ راجع: البحار: ج21، ص128 وص175؛ النظام السياسى لأحمد حسين؛ راجع الغدير، فى أبى سفيان: ج10، ص114، وما بعدها لتعلم أىّ نفاقٍ يضمّ بين جوانحه بعد إسلامه الظاهرى.

2- راجع فى ترجمة معاوية: المقتطفات للسقّاف: ج1، ص252، وما بعدها؛ الغدير للعلامة الأمينى: ج10، ص197، وما بعدها، معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ج18، ص192، وما بعدها؛ النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية للعلاّمة محمد بن عقيل؛ راجع فى جواز لعن معاوية وسبّه وإثبات كفره؛ ليالى بيشاور: ص920.

3- نهج البلاغة: الكتاب 28؛ إذ استعمل هذا اللقب بحقّه؛ راجع: الغدير للعلامة الأمينى: ج10، ص46، وما بعدها لترَ استعمال هذه الكلمة بحقّه مع مصادرها.

يرى أنّهما حاولا إظهار كيدهما للإسلام والمسلمين كلّما سنحت لهما السانحة، من يوم حنين حتّى هلاكهما.

ثمّ ما بالک بمعاوية وهذا تأريخه وقد مكّنه عمر من بلاد المسلمين ونفوسهم وأعراضهم وأموالهم ومقدّساتهم، ومن المعلوم أنّ الحاكم الإسلامی خصوصاً أيّام الإسلام الأولی كان هو الحاكم والقاضی والمفتی وإمام الجماعة وقائد الجيش وخازن بيت المال، وهذه المناصب كلّها وغيرها معها أضحت لمعاوية الجاهل المنافق بتمكين عمر.

إنّنا نثبّت هنا: أن كليّات ما صدر عن معاوية من جرائم ومفاسد أحاطت بالإسلام وقادته ومجتمعه وأدّت إلی انهيار عظيم فی كيانه مما لا تُحصر فضلاً عن الكليات المتفرعة عنها فما بالک لو اردنا إحصاء جرائمه وآثاره السيئة بكل تفاصيلها؟!

إن لمعاوية مقام الريادة فی مفاسد وفتن وكوارث أصابت الأمة فی مقتلها، وهو أول من فتح بابها علی مصراعيه وبسببه ـــ عن إدراک وإرادة وتصميم ـــ تفرّعت وتجذّرت حتی عاد القضاء عليها مستحيلاً إلاّ علی يد الكنز الربّانی المدّخر.

المهدی

الذی سیجتثّ شجرة الانحراف العقائدی والفقهی عن خط الإسلام الصحیح من أعمق جذورها ویبسط الإرادة الإلهیة حیث وجد إنسان، بعد ما وقف الطواغیت عبر تأریخ الإنسانیة کلّه أمام جهود الأنبیاء والصلحاء أن تؤتی ثمارها وتحقّق النتائج المرجوّة منها.

إنّ بسط الکلام فی أمر معاویة هنا ممّا لا یسعنا ولعلّ التوفیق الربوبی یأخذ بأیدینا إلی هذا المرام فی کتابنا عن سبط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وریحانته وخلیفته فی أمّته: الحسین علیه السلام.

وأؤکّد هنا علی واحدة منها ـــ ممّا لا تُحصی من المفاسد والجرائم التی ترتبت علیها ولا یمکن أبداً إنکارها ـــ فأیّ مسلمٍ فی شرق العالم الإسلامی وغربه وعلی امتداد مساحة الإسلام الزمنیّة یرضی بما صنعه معاویة من إکراه الأمّة بحدّ السیف علی اقتراف جریمة سبّ علی بن أبی طالب صلوات الله علیه وسلامه وهو أمیر المؤمنین وسیّد المسلمین وقسیم الجنّة والنار ومن لا یُحصی ما ورد فی فضله من آیات وروایات حتی قال له أبو بکر وعمر ضمن أکثر من مائة ألف مسلم یوم الغدیر (بخ بخ لک یا ابن أبی طالب، أصبحت مولای ومولی کلّ مؤمنٍ ومؤمنة).

علیّ بن أبی طالب صلوات الله علیه وسلامه الذی سبّه سبّ الله ورسوله یُسبّ علی جمیع منابر المسلمین ولمدّة ستّین سنة حتّی منع منها عمر بن عبد العزیز(1) مع أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم قد قال:

«من سبّ علیّاً فقد سبّنی ومن سبّنی فقد سبّ الله ومن سبّ الله عزّ وجلّ أکبّه الله علی منخریه(2).

بل أکثَرَ العامّة روایة أنّ من سبّ علیاً فقد سبّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم، ومن سبّ النبی فقد سبّ الله ـــ والنتیجة أنّ من سبّ علیاً فقد سبّ الله ـــ فی مصنفاتهم وما هذا إلاّ لکثرة تداول هذا النص فیما بینهم بحیث لا یتیسر لهم طمسه.

وعظیمته الأخری تمکینه جروه یزید من منصب خلافة الأمة الإسلامیة وفرضه علیها بالحیلة والقهر حتّی فعل فی سنین ثلاث ما ظلّ ألمه فی الإسلام مدی الدهر.

عائلة وصفها الله سبحانه فی کتابه بالشجرة الملعونة(3)، فهل فروعها إلاّ

1- الفصول المهمة فی تألیف الأمّة للسید عبد الحسین شرف الدین: ص127؛ لیالی بیشاور للسید الشیرازی: ص926.

2- فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفیروز آبادی: ج2، ص224؛ لیالی بیشاور: ص927؛ وقد نقلا الحدیث عن جمع، منهم أحمد بن حنبل فی المسند، والرازی فی تفسیره، ومسلم فی صحیحه، وابن حجر فی الصواعق وکثیر غیرهم؛ راجع: المقتطفات: ج1، ص265.

3- المقتطفات للسقاف الأندونیسی: ج1، ص224، وقد نقل تفسیرها بهم؛ تفسیر الطبری: ج15، ص77؛ تاریخ الطبری: ج11، ص356؛ تأریخ الخطیب البغدادی: ج9، ص44، وج8، ص280، عن تفسیر النیسابوری، وتفسیر القرطبی، وتفسیر الشوکانی، وتفسیر الخازن، وأسد الغابة، والنزاع والتخاصم للمقریزی، وخصائص النسائی وعن الترمذی والبیهقی والحاکم فی مستدرکه؛ راجع: فضائل الخمسة: ج83، ص30.

حطب النار، وهل يُعقل أن تُثمر ما فيه نفع للإسلام وأهله، أو تحتوى جوانحهم على كريم الخصال، قال سبحانه لنبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم:

((... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِی أَرَيْنَاکَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِی الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا))(1).

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام فى تفصيل أبواب جهنّم السبعة:

«وهذا الباب الآخر، الذى يدخل منه بنو أميّة، إنّه هو لأبى سفيان ومعاوية وآل مروان خاصّة يدخلون من ذلک الباب فتحطّمهم النار حطماً لا تسمع لهم فيها واعية ولا يحيون فيما ولا يموتون»(2).

وفى الحديث المرفوع المشهور وقد رواه الطبرى فى تأريخه عن النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ معاوية فى تابوتٍ من نار فى أسفل دركٍ منها»(3).

وروى أحمد فى المسند وغيره أنّ النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم دعا على معاوية وعمرو بن العاص فقال:

«اللهمّ اركسهما ركساً ودعّهما إلى النار دعّاً»(4).

1- سورة الإسراء، الآية: 60.

2- بحار الأنوار للمجلسى: ج31، ص519؛ اقرأ ما كتبه الكاتب المصرى صالح الوردانى عنهم فى الخدعة: ص56.

3- الغدير للأمينى: ج10، ص202؛ تاريخ الطبرى: ج11، ص357؛ لسان الميزان للذهبى: ج1، ص202، برقم 602.

4- الغدير: ج10، ص199؛ مسند أحمد: ج4، ص421.

وإن أردت الاستقصاء فراجع ما كتبه العلاّمة السيد محمد بن عقيل فى كتابه (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) والغدير للعلاّمة الأمينى: ج10 __ 11، ففيهما ما يقطع كلّ حجّة وعذر.

وإلى الله المشتكى من أمّة لا تستطيع التمييز بين علىّ بن أبى طالب، صاحب آية التطهير، وآية خير البرية، وما يزيد على الثلاثمائة آية، وبين صاحب آية الشجرة الملعونة فى القرآن.

عن مولانا الصادق عليه السلام:

«لولا أنّ بنى أميّة وجدوا من يكتب لهم، ويجبى لهم الفىء ويقاتل عنهم، ويشهد جماعتهم، لما سلبونا حقّنا»(1).

1- البحار للمجلسى: ج47؛ ص138.

ابن زياد

هو: عبيد الله بن زياد بن سميّة، أو ابن أبيه، أو ابن عُبيد(1).

هكـذا عُرف أبوه زياد إلى أن ارتكب معاوية جريمة هى من الخزايات عليه وعلى أبيه وعلى بنى أميّة، ومع ذلک لـم تؤثّر فعلة معاوية أثرها إلاّ سنين، ثمّ عاد الأمر أخزى ممّا كان عليه، وسجّلت المدوّنات التاريخية هذه التفاصيل بإسهاب.

وُلد ابن زياد سـنة 39هـ_ فيكون عمره يوم قتله لسـيّد شـباب أهل الجنّة الحسـين عليه السلام إحدى وعشرين سنة(2)، وهناک رأى آخر ___ ولعله الأقرب ___ فى أن عمره يوم الطف اثنتان وثلاثون سنة(3).

أمّه: مرجانة، بغىٌ معروفة، ومجوسيّة(4).

قُتـل فى معركـة هائلـة بين جيش كـان يقوده بنفسه أيّـام عبـد الملک بن مروان، وبين جيش المختار الثقفى بقيادة إبراهيم بن مالک الأشتر، فيكون عمره

1- الغدير للأمينى: ج10، ص310؛ حيث فصّل قضيّة زياد بن أبيه عن مصادر العامّة.
2- حياة الإمام الحسين للشيخ القرشى: ج2، ص448 ___ 449.
3- المقتل للسيد المقرم: ص149هـ_.
4- حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشى: ج2، ص448 ___ 449.

يوم هلاكه خمسة وعشرين عاماً(1).

عُرف عنه وعن أبيه أنّهما أولاد بغايا (فالأب ابن سميّة، والابن ابن مرجانة)، فراجع مدوّنات التأريخ عنهما ليظهر لک حالهما، واستلحاق زياد بأبی سفيان من أعظم فضائح العصبة الحاكمة فی التأريخ الإسلامی وأشهرها.

أبوه زياد: رائد الجريمة والسفّاک الأعظم لدماء المسلمين بأمر معاوية(2) وتوجيهه وتشجيعه.

وقد سار الابن علی درب أبيه، حتّی كأنّهما نسختان لأصل واحد، والجامع بينهما رذالة الأصل والسقوط الخُلقی والخروج عن الإسلام وارتكاب أعظم الجرائم وعداوة ذريّة رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وشيعتهم، وعدم توفّر مكرمة تؤثر عنهم غير الخزايا وقبيح الفعال.

استخدم معاوية زياداً، واستخدم يزيد ابن زياد فحمّلاهما آثاماً عِظاماً لو تحمّلتها أمم لما شفع لها نبیّ ولا وصیّ فكيف بهما وقد حملاها وحدهما.

ولا ينقضی العجب من عصبة نبت لحمها من دماء الشهداء(3)، ولا عجب إذ

1- ذوب النضّار فی شرح الثار للشيخ جعفر بن محمد ابن نما الحلّی: ص138؛ وقال: إنّ عمره حين هلاكه دون الأربعين، وقيل: تسع وثلاثون سنة؛ بحار الأنوار للمجلسی: ج45، ص335.

2- الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص124 ـــ 125؛ حياة الإمام الحسين للقرشی: ج2: ص67؛ الاحتجاج للطبرسی: ج2، ص83؛ راجع: لجرائم زياد وفظائعه حين ولاّه معاوية علی الكوفة والبصرة والمشرق كلّه وسجستان وفارس والسند والهند؛ الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص125؛ كتاب سليم بن قيس الهلالی: ج2، ص784؛ وما رأيت تحقيقاً لكتاب فی قم وغيرها، كتحقيق كتاب سُليم فی طبعته هذه.

3- ذكرت ذلک العقيلة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام شريكة أخيها الحسين عليه السلام فی جهاده فی خطبتها أمام أهل الكوفة، فراجع: حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشی: ج3، ص378.

أسّست لهم هند حين لاكت كبد حمزة سيّد الشهداء.

مُسوخ، غير أنّ جلدتهم جلدة بشر.

ابن زياد هذا، هو الذى جيّش الجيوش على سبط رسول الله وريحانته من الدنيا وسيّد شباب أهل الجنة وإمام الأمّة، وأمر ابن سعد بقتله وأن يوطئ الخيل صدره وظهره.

ابن زياد هو الـذى سبى بنات رسول الله وصِبْيته لأجل بنى أميّـة ولالتماس رضاهم ـــ أعداء الله ورسوله ـــ وهى أوّل مرّة فى التاريخ تسبى فيها الهاشميات، وتُسبى فيها بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سلم.

ابن زياد هذا، هو الذى أمر بضرب عنق مسلم بن عقيل كما أمر برمى جثمانه المقدّس من أعلى قصر الإمارة.

عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ما اكتحلت هاشميّة، ولا اختضبت، ولا رُئِى فى دار هاشمى دخان خمس حجج، حتّى قُتل عبيد الله بن زياد»(1).

مع أنّ يزيـد قـد هلك قبله، إلاّ أنّ هلاك يزيد لم يطوِ صـفحة حزن آل محمّد، ولم تخفّ عنهم بعض أحزانهم العظيمة إلاّ بهلاك ابن زياد أيضاً.

يحاول بعض أهل العلم ـــ لبيان خباثة ورذالة بعض المعادين لمحمّد وآل

1- بحار الأنوار للمجلسى: ج45، ص86، عن المرزبانى.

محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـــ تفصيل سلوكياتهم وأفكارهم وبيان نسبهم وطفولتهم ونحو هذه، لإقناع القارئ والسامع بانحراف هؤلاء عن خطّ الإسلام كلّه، وبعدم صلاحيتهم لقيادة الأمّة، ولغيرها من الأغراض والأهداف.

والصحيح: أنّ أعظم ما ينبغى ذكره لبيان خبثهم وانحرافهم وسقوطهم عن كلّ اعتبار هى جرائمهم بحقّ النبىّ وآله الكرام.

فبملاحظة ما ورد فى حقّ النبىّ وآله فى القرآن العزيز من مدح، وعظيم جزاء، على أعمالٍ قاموا بها، ـــ وقد تكون بالنظر القاصر لدى البعض أعمالاً بسيطة ـــ إذ أنزل الله تعالى فى جهنّم آياتٍ تُتلى ما تعاقب ليل ونهار إلى يوم يرث الله الأرض وما عليها، وانظر إلى الصفات التى أسبغها المولى عليهم والمناصب التى رفعهم الله إليها بسبب أعمالهم تلك.

تأمل فيما ورد فى حقّ علىّ أمير المؤمنين لأنّه تصدّق بخاتم فى صلاته إذ أنزل المولى:

((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ))(1).

وذلك عند امتناع جميع المسلمين عن التصدّق على فقير بائس، وهم بمحضر النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مع ما يملكه بعض المسلمين من ثروات طائلة، ومع أنّ الكتاب والنبىّ قد حثّا على التصدّق ولو باليسير، ومع كلّ هذا شحّت النفوس عن التصدّق بدرهم أو تميرات، بينما أعطى الإمام عليه السلام

1- سورة المائدة، الآيتان: 55 و 56.

خاتمه وله قیمـة عالیـة ـــ مع أنّ الإمام فی منتهی الفقر والعوز حتّی عیّرت نساء قریش الصدّیقـة الزهراء أنّ أباها زوّجها من فقیر، إذ هذا هو المقیاس عندهنّ وعند أزواجهنّ ـــ ومع أنّ الإمام کان فی الصـلاة، ومع ذلک لم یمنعه کلّ هذا عن أن یشـیر للمسـکین بإصـبعه فیحضـر المسلکین ویسحب الخاتم، والرسول والصحابة ینظرون، فنزلت الآیات(1) التی أفهمت الأمّـة أنّ هذا هو ولیّها الحقیقی وهذا قائدها وهذا إمامها وهذا مغیثها وهذا ملجؤها، وإنّ من یصـطفّ معه، ومن ینصره، ومن یتولّه، ومن یعضده، فهو مع الله ورسوله، وإنّ هذا ومن معه هم حزب الله الحقیقی ومن المعلوم أنّ حزب الله هو الغـالب لاـ غـالب سواه، أی أنّ علیّـاً ومن یتولاّه هم الغالبون لا سواهم؛ إذ لیس لله من حزبٍ سواهم، هذا هو الولیّ والإمام، لا سواه.

وتأمّل لما جری من لطیف إنعام الله وإکرامه للنبیّ وآله حین تصدّق علی وفاطمة والحسن والحسـین بأقراص خبز قلیلة علی مسـکین ویتیم وأسیر، والأخیر کافر بلا ریب.

لقد أنزل الله سبحانه(2) آیاتٍ عدّة فی إعلان ما صنعه علی وأهل بیته وإذاعته علی الخلق أجمعین، وتمجید الله سبحانه لما صنعوه، وشکره لهم علی ذلک، وبیان الجزاء العظیم الذی جازاهم به.

1- فضائل الخمسة للفیروز آبادی: ج2، ص13، نقل نزولها فی الإمام علیه السلام عن الرازی فی تفسیره والزمخشری فی الکشّاف والطبری فی تفسیره والسیوطی فی الدرّ المنثور، والهندی فی کنز العمال.... الخ.

2- فضائل الخمسة للفیروز آبادی: ج1، ص254، وقد نقل نزولها فیهم علیهم الصـلاة والسلام عن ابن الأثیر فی أسد الغابة، والواحدی فی أسباب النزول، والسیوطی فی الدرّ المنثور وراجع: زین الفتی.

فاجعل السورة المباركة ـــ الإنسان، أو الدهر ـــ نصب عينيک وأحسن التأمّل فی آياتها بل فی كلّ كلماتها لترى ما يبهرک.

يخاطبهم المولى سبحانه بجانب من تكريمه فيقول:

((وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا))(1).

فما هو الملک الكبير الذی فرضه الله سبحانه لهم.

هل هو التنعّم بأنواع نِعم الجنّة، وخدمة الولدان لهم، ونحو هذه.

هذا نعيم يناله كلّ أهل الجنّة.

القرآن يصِف هذا الجزاء بالمُلک وإنّه كبير.

ثمّ يعقّب المولى سبحانه بقوله:

((إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا))(2).

أی إنّ الذی ذكره المولى سبحانه من الثواب فی سورة الدهر لآل محمّد صلی الله عليه وآله وسلم إنّما هو جزاء العمل، والمولى سبحانه لم يكتف لأحدٍ من خلقه بمقدار جزاء عمله كمكافأةٍ له بل مع كلّ جزاء زيادة وفضل، وتفضل المولى سبحانه على آل محمّد بسبب عملهم العظيم هذا لم يُذكر فی السورة ولا شكّ فی أنّ مقدار التفضّل المولوی المضاف على الجزاء عظيم أيضاً فإذا كان أصل الجزاء هو النعيم والمُلک الكبير فإلى أين سيصل آل محمّد فی المقامات والمراتب إذا أضيف إلى جزائهم الفضل الإلهی العظيم، فتأمّل واعرف مقام آل

1- سورة الإنسان، الآية: 20.

2- سورة الإنسان، الآية: 22.

محمّد وعظیم قربهم عند الربّ الحکیم الکریم.

وتأمّل فی آیات أخری غیرها وفی روایات کثیرة بشأنهم ترَ أنّ هذا البیان له شواهد کثیرة.

هذا أمیر المؤمنین علیه السلام ـــ علی ما فی نهج البلاغة ـــ یکتب إلی معاویة:

«ألا ـ تری ـــ غیر مخبرٍ لـک، ولکن بنعمـة الله أحـدّث ـــ أنّ قوماً استشـهدوا فی سبیل الله تعالی من المهاجرین والأنصار، ولکلّ فضل، حتّی إذا استُشـهِدَ شهیدنا قیل: سیّد الشهداء، وخصّه رسول الله ـــ صلی الله علیه وآله وسلم ـــ بسبعین تکبیرة عند صلاته علیه، أو لا تری أنّ قوماً قُطّعت أیـدیهم فی سبیل الله، ولکلّ فضل، حتّی إذا فُعل بواحـدنا ما فعل بواحدهم قیل (الطیّار فی الجنّة، وذو الجناحین)، ولولا ما نهی الله عنه من تزکیـة المرء نفسه، لـذکر ذاکر فضائـل جمّـة، تعرفهـا قلوب المؤمنین، ولا ـ تمجّها آذان السامعین، فـدع عنک مَنْ مالت به الرمیّة، فإنّا صنائع ربّنا والناس بَعْدُ صنائعُ لنا.

لم یمنعنا قدیم عزّنا ولا عادیّ طولِنا علی قومک أن خلطناکم بأنفسـنا فنکحنا وأنکحنا فِعل الأکفاء، ولستم هناک وأنّی یکون ذلک ومنّا النبیّ ومنکم المُکذّب، ومنّا أسد الله ومنک أسد الأحلاف، ومنّا سـیّدا شباب أهل الجنّة ومنکم صِبیة النار ومنّا خیر نساء العالمین ومنکم حمّالة الحطب فی کثیر ممّا لنا وعلیکم»(1).

1- نهج البلاغة، الرسالة الثامنة والعشرون: ص527.

أقول: إنّه بملاحظة ما ورد فی حقّ محمّد وآل محمّد صلی الله علیه وآله وسلم من نصوص وما صدر عنهم من کرائم الأعمال وجلائلها، وبلحاظ ما انطوت علیه نفوسهم وکشفت عنهم أعمالهم من تصمیمهم علی إنجاء الناس کلّهم من شرور الدنیا وآفاتها وأخطار الآخرة ومهالکها حتّی أنزل الله سبحانه آیات فی تسلیة النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم لعدم إیمان المشرکین به واتّباعهم لدعوته، التی بها إحراز رضا الله سبحانه والنجاة من غضبه وعظیم عقابه، وحتّی وصف الله سبحانه حاله:

((لَعَلَّکَ بَاخِعٌ نَّفْسَکَ أَلَّا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ))(1).

فالآیة تبیّن أنّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم سیهلک نفسه من الغمّ والتألّم علی قومه لعدم إیمانهم وذلک لأنّه یعلم إلی أیّة نتیجة سیصلون والنار الأبدیة التی ستبتلعهم.

وهذا ولده الحسین، وسبطه، تستصرخه الأمّة وتستغیث به من مظالم بنی أمیّة وعظیم جورهم، هذا الإمام العظیم الذی وصفته شقیقته زینب علیها السلام لأهل الکوفة بعد الفاجعة (ملاذ خیرتکم ومَفْزع نازِلتکم)(2) عزم علی إنقاذ الأمّة من الاستضعاف العظیم الذی وقعت فیه ـــ بسوء أفعالها وکبیر إهمالها وتقاعسها ـــ بعد أن أخذ علیهم العهود والمواثیق وجاءهم بحرمه وأطفاله وخُلّص أهل بیته وصحبه فانقلبوا علیه ونصروا عدوّ الله وعدوّه وعدوّهم وذبحوه وما یزال به رمق

1- سورة الشعراء، الآیة: 3.

2- البحار: ج45، ص165؛ الملهوف: ص193؛ معالم المدرستین: ج3، ص146؛ وفی روایة: ملاذ حیرتکم... .

من الحياة كما ذبحوا رضيعه بين يديه.

كيف يُعادى من كلّه جميع صفات وملكات، وكلّه رحمة وخير للبشرية.

كلّ من يُعادى من هـذه صـفته فعـداوته هذه تكفى لإخراجه من ساحة الإنسانية ولاتخاذ الموقف الأشدّ والعقوبة الأعظم معه وهكذا حكم المولى عليه.

لقـد خاف ابن زياد من آثار ما جنته يـداه، وخوفه إنّما هو من الآثار الدنيويـة المترتّبـة على جريمته فإنّه كسب من فعلته فضـلاً على غضـب الجبّار ـــ تعالى وتقدّس ـــ وعار الدارين وعذابهما بأعلى مراتبه، غضب الأمّة وحقدها؛ إذ وترها بأعظم مقدّساتها.

يُنقل عن ابن زياد أنّه: عاش بعـد موت يزيـد، فاضـطربت عليه الأحوال فى العراق فخرج إلى الشام ومعه مئـة رجل من الأزد يحفظونه، وفى بعض الطريق رأوه قد سكت طويلاً فخاطبه أحدهم ويُدعى مسافر بن شُريح اليشكرى فقال له: أنائم أنت؟

قال: لا، كُنتُ أحدّث نفسى.

قال له مسافر: أفلا أحدّثک بما كنت تحدّث به نفسک؟

قال: هات.

قال مسافر: كنت تقول: ليتنى لم أقتل حسيناً.

فقال عبيد الله بن زياد: أمّا قتلى الحسين فإنّه أشار إلىّ يزيد بقتله أو قتلى فاخترت قتله(1).

1- ابن تيمية، صائب عبد الحميد: ص386؛ شذرات الذهب: ج1، ص68 ـــ 69.

لقـد بـدأ ابن زياد يبرّر فعلته بعد أن تفجّر بركان الأمّة عليه وعلى بنى أميّة لقتلهم ريحانة رسول الله وسـبطه وخليفته فى أمّته وبقيّة أسـرته بل سيّد أسرته خامس أصحاب الكساء وآية التطهير وآية المباهلة وما لا يحصى من الآيات والروايات الواردة فى عظيم منزلته، وقرب مقامه من الله سبحانه ومن رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وكـذلک لقتلهم الأسـرة الهاشـمية، وخيار الصـحابة والتابعين والقرّاء، وسبى نساء النبىّ وصبيته من بلدٍ إلى بلد، ومن أبعد الناس عن القرآن والإيمان إلى أكفرهم، وفى حالٍ لا يُرتضـى للأعداء فضـلاً عن عائلة النبى الأكرم، التى خرجت بصـحبة وليّها الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر والمجيب استغاثة أمّة جدّه التى استضعفها بنو أمّية حتّى كسروا شوكتها وأذلّوا عزيزها.

من راجع التواريـخ لم يجـد أنّ يزيـد هدّد ابن زياد لأجل قتل الحسـين بل اسـتفاد يزيد من عداوة هذا البيت ـــ زياد وأبيه ـــ لأهل البيت النبوىّ الطـاهر، واسـتفاد من رذالتهم وخسّـتهم وإعراضـهم عن الـدين والمكارم، واسـتعدادهم لفعل أىّ شـىء فى سبيل الـدنيا وزخرفها، واسـتعدادهم لإرضـاء المَلِـکِ الأـموى، تحت أىّ ظرف، فما إن عرض عليه يزيـد ضمّ الكوفـة إلى ولايته على البصـرة إلاّ وسارع إلى فعل المسـتحيل فى سبيل هدّ أركان الحركة الحسـينية، وإجهاضها فى بواكير تحرّكها، وفَعَلَ كلّ خسيسة فى سبيل تحقيق هذا الهدف حتّى ذكر اللعين يزيـد فى بعض المنقول عنه إنّ زياداً فعل أكثر ممّا طُلب منه، على أنّنا لا نقبل هـذا التصـريح من ألعن خلق الله وأشدّهم إجراماً؛ إذ هو الذى كتب إليه (فَسِرْ حين تقرأ

كتابی هذا حتّی تأتی الکوفة فتطلب ابن عقیل طلب الخُرزة حتّی تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفیه)(1).

وبعث بکتاب إلی والی المدینة یأمره بقتل الإمام الحسین علیه السلام ثمّ بعث بثلاثین مجرماً إلی مکّة لقتل الإمام فی موسم الحجّ ولو وجدوه متعلّقاً بأستار الکعبة، وبعث إلی ابن زیاد أیضاً بعد استشهاد مسلم (فإنّک لم تَعْدُ أن کنت کما أحبّ، عملت عمل الحازم وصُلت صولة الشجاع الرابط الجأش وقد أغنیت وکفیت وصدّقت ظنّی بک ورأیی فیک... وإنّه قد بلغنی أنّ حسیناً قد توجّه إلی العراق فضع المناظر والمسالح واحترس واحبس علی الظنّة، واقتل علی التهمة، واکتب إلیّ فیما یحدث)(2).

نعم هؤلاء المجرمون، حینما تنقلب الأمور علیهم، یدّعون ما لم یکن، للتنصّل ممّا اقترفوه من جرائم، مع أنّ ما صدر عنهم من فظائع قد ملأ الخافقین وعرفه الصغیر والکبیر والقریب والبعید، فلا یتکلّفنّ امرؤ التوجیه لهم فیلتحق بزمرتهم وتصیبه اللعنة کما أصابتهم، وتتلطّخ یداه بدماء العترة الطاهرة لأجل أراذل الأمّة وحثالاتها.

1- الإرشاد للشیخ المفید: ج2، ص43.

2- الإرشاد للشیخ المفید: ج2، ص65.

مجتمع الكوفة

أمران يستدعيان التأمّل والبحث فی ثنایا الکتابات التاریخیة:

أ ـــ وجه اشتهار أهل الكوفة بالغدر والنكول عن العهود والمواثيق حتّى أصبح هذا سمةً لهم.

ب ـــ ما يجرى على الألسنة من أن الشيعة بايعوا سيّد الشهداء ثمّ خذلوه وأعانوا عليه وقتلوه.

ولابدّ من إيضاح بعض جوانب الحياة فی الكوفة ليتّضح الوجه فيما تقدّم:

إنّ الكوفة مدينة للأجناد، أسّست لتكون مركزاً لتواجد العساكر(1) والسلاح والمؤن ومنها يتمّ رفد جبهات القتال للمشرق الإسلامی بما تحتاجه من عُدّةٍ وعدد.

كما أنّها كانت مجتمعاً يضمّ قوميات وأديان ومذاهب وتيّارات مختلفة، وكلّما تطوّر وضع الكوفة، فإنّ التيّارات والقوميات والأصناف، تتكثّر وتتجذّر، فعلى هذا يتبيّن أنّ الكوفة ـــ بحكم اختلاف عناصر الانتماء فيها ـــ مدينة يصعب قيادها، وقد استعصت بالفعل على كلّ من حكمها ومنهم عمر وعثمان.

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشی: ج2، ص432.

وقـد ازدادت أهميّـة الكوفـة، وازدحمت بالقبائل والتيّارات الدينية والسياسـية بعد مجيء الإمام الوصـى علىّ عليه السـلام إليها واتخاذه لها عاصمة للدولة الإسلامية.

وكان من أمر الأحداث التى حصـلت فى المجتمع الإسـلامى كقتل عثمان، وخروج البغاة على الإمام المعصوم الوصىّ علىّ عليه السلام، وهم الناكثون ـــ عائشـة وطلحـة والزبير، ومن تبعهم من أهل البصـرة ـــ والقاسـطون وهم معاويـة وجنـد الشام، والمارقون وهم الخوارج الحرورية، أنْ أثّرت تأثيراً عميقاً فى الكوفة وأدّت إلى ازدياد ظهور التيّارات فيها وتململ الناس من الأوضاع وتراخيهم عن نصـرة الإمام عليه السـلام، وكان لمعاوية وجواسـيسه وأنصاره السـريّين فى الكوفة دور كبير فى إشعال الفتن وتفتيت جيش الإمام وإحلال الوهن فى النفوس، وفى ضعضـعة أركان دولة الإمام من ثم، غير أنّ الزمام لم يفلت من يد الإمام أبداً بل بقى الإمام محافظاً على الوضع عموماً وكان متأهّباً كى يسـتعيد جميع المواقع التى يرتكز معاوية عليها أو مدّ يده تجاهها فسرقها كمصر إذ أعدّ الإمام جيشاً ضخماً لغرض اكتساح معاوية والمدن التى تحت هيمنته، لولا ضربة ابن ملجم الغادرة إذ هدّت أركان الإسلام وعصفت بكلّ الآمال.

نعم، استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام أوهى دعائم دولة الحق وجرّأ أعداءه على تصعيد حملاتهم ضدّ خليفته الإمام الحسن السبط عليه السـلام، إذ رأى الحزب الأموى فى الكوفة أنّ بينه وبين النصـر قاب قوسـين أو أدنى فخذّلوا عن الإمام وحشّدوا قواهم لمؤامرة ضخمة تنتهى بإنزال الضربة القاضية بدولة

الإمام عن طريق محاصرته وأسره وتسليمه حيّاً إلى معاوية ثمّ ليقوم معاوية بالجزء الثانى من الخطّة وهى التعامل معه بحسب قوانين الحرب ثمّ إطلاق سراحه كما صنع النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم مع معاوية ومشركى مكّة حين فتحها إذ أطلقهم وقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء فأصبح لقب الطليق لمعاوية من أعظم العار عليه إلى يومنا هذا.

فلمّا رأى الإمام السبط ريحانة الرسول انهيار جيشه، لقوّة المؤامرة ولميل الناس إلى الراحة والدعة وضعف الوازع الدينى فى نفوسهم، إلاّ ثلّة قليلة من أهل التقوى وربانيّى الأمّة، وافق على إنهاء القتال مع معاوية، وترك إدارة المجتمع له، والواقع أنّ الحالة الحقيقيّة للوضع تلك الأيّام هى هكذا، غير أنّ الإمام فوّت على معاوية فرصة أخذ الأمور بالغلبة، والتعامل مع الإمام على هذا الأساس، فَجَرت الأمور على وفق نظام المصالحة، وفرض الشروط على معاوية، يتحمّل فيما بعد وِزر نقضها فى الدنيا والآخرة، وهذا أفضل من ترك الأمور تجرى بلا ترتيب.

وهكذا كان.

وبدأت الأيّام السود لمعاوية ومجموعة حكمه تُلقى بظلالها على البلاد الإسلامية، وتنزل بوطأتها الثقيلة على صدر الأمّة التى تقاعست عن قتاله وانخدعت بتضليله.

وكان أعظم وطأته، على الكوفة وأهلها، لأنّها تضمّ خيرة رجالات الأمّة من جهة، والجيوش التى قاتلته من جهة أخرى، فسامها ذُلاً وفقراً.

سلّط معاويـة على الكوفة أكثر أعوانه تجبّراً، وأبعدهم عن الرحمة، وزوّدهم بتوجيهات ووصايا لا تُبقى ولا تذر، حتّى ضـجّت الأمّة منه ولم تزل أيّامه فى بواكيرها وبداياتها.

لقـد ذكرنا فى مواضع عـدّة من هـذا الكتاب شـيئاً عن معاويـة، وعن بعض جوانب ظلمه وتجبّره وخزاياته التى يثور منها كلّ غيور على دينه وإنسانيته، ويكفى أن أختصر لک القول: إنّ معاوية فعل كلّ ما طالته يد قدرته فى تهديم قواعد الإسلام من جهة وفى سحق الناس وإذلالهم وفعل الأفاعيل بهم، وما لم يفعله فلعدم قدرته عليه وإلاّ فقد بلغ غاية الظلم والجبروت التى تسمح بها إمكانات تلک الأيام.

قتل الرجال، وقطع رؤوس أعـدائه وأمر بحملها من بلـدٍ إلى بلـد، ودَسّ السُمّ لرجالات الأمّة فقتلهم غيلة، منهم: سـبط رسول الله وريحانته وسـيّد شـباب أهل الجنّـة الحسن بن على عليهما السـلام ومن غيرهم؛ سـعد بن أبى وقّاص فاتح العراق، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وغيرهم.

ويكفيه قتله للإمام الحسن عليه السلام، عاراً فى الدنيا والآخرة، وإثماً يُلحقه بأسفل درک من الجحيم.

ومن أوضـح سـمات معاويـة غـدره بـالعهود والمواثيق التى يعطيها، ومن أعظم المواثيق التى أعطاها ميثاق الصـلح مع الإمام الحسن عليه السـلام لكنّه ما إن دخل بجيوشه الكوفة حتّى ارتقى منبر مسـجد الكوفة وأعلن بحضور الإمامين الحسن والحسين وبحضور الجيشين جيش الكوفة وجيش الشام إنّ كلّ شرط قطعه للإمام

الحسن فهو تحت قدميه لا يفى بشىء منها للإمام عليه السلام وختم كلامه بسبّ من سبّه سبّ لله ورسوله(1)، وقد سبّه فى بيت الله ـــ مسجد الكوفة ـــ وبحضور أئمّة الأمّة وخلفائها الحقّ، وبحضور عشرات الآلاف من المسلمين والمؤمنين.

سبّه فى البيت الذى طالما سجد الإمام فيه لربّه وقضى فيه ليله عبادةً وتهجّداً وقضى فيه بين الخصومات وجيّش منه الجيوش وعلّم الأمة فيه، وأحيا من خلاله شرع الإسلام وأقام قواعد الإيمان.

سبّه فى بيت الله، الذى ضُرب فيه على ناصيته بسيفٍ مسموم، وهو فى حال الصلاة، متوجّهٌ فيه بكلّ وجوده لربّه المتعال.

((... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ))(2).

والعجب من أمّةٍ توالى هذا الطاغوت، الذى عجنت الجاهلية بكلّ وجوده، وخامرت لحمه ودمه وعظمه وجلده، واستولت على عقله وروحه وفكره فلم يبقَ لغيرها فيه حصّةٌ أبداً، وكلّ سلوكياته تُنبئ عن انتمائه هذا، والإسلام برىء من معاوية وسلوكه، ومن يعتنق نهجه فى الحياة.

معاوية هذا ظهر جوره فى طول بلاد الإسلام وعرضها، وكان للكوفة من فظائعه المقدار الأوفر.

من وسط هذه الأجواء المتخالفة المتقدّمة، ظهرت نزعات أهل الكوفة، وبانت خلائقهم.

1- راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروز آبادى: ج2، ص243؛ فقد نقل الروايات فى هذا المضمون عن مستدرک الحاکم وذخائر العقبى للمحبّ الطبرى، والرياض النضرة وغيرها.
2- سورة الشعراء، الآية: 227.

ولنسترسل فی بیان ما قدّمنا ذکره فی أوّل الفصل من وجه اشتهارهم بالغدر ونقض العهود.

من المعلوم أنّ هـذه الخصـلة کانت فیهم قبل احتلال معاویـة للکوفة ـــ بعد صـلح الإمام الحسن علیه السـلام ـــ وکانت مصادیقها بارزة للعیان أیّام تواجد الإمام الوصـیّ بینهم، إلاّ أنّ هذه الخصلة قویت فیهم وبلغت أوج تجذّرها فی نفوسهم، وظهورها عنهم بعد حکم معاویة لهم:

1 ـــ إنّ الکوفة مدینة أسّست لتجمّع المقاتلین ولرفد جبهات القتال الشرقیة بهم، ومن البیّن أنّ من ینصرف لهذه المهمّة فإنّ هدفه إمّا القیام بالتکـالیف الإلهیـة، وفعـل مـا به القُرب من الله سـبحانه وهم الأقـلّ فی الأمّـة، وفی أهل الکوفـة بالخصوص کما کشف عن هـذا تقلّبات الأحداث والأحوال، وإمّا یهدف من عمله هذا الاسترزاق وبقیة الجوانب الدنیویة، وهم الأکثر فی أهل الکوفة.

وطبیعی، أنّ من یتوجّه لممارسـة القتال، وفیه احتمالیـة هلاک النفس والأضـرار العظیمة بالجسم، من أجل الاسترزاق وتحصـیل المال، لا یعوّل علیه فی المواقف التی تتطلّب تـدیّناً وتورّعـاً بمرتبـةٍ عالیـة، وتتطلّب منه إعراضـاً عن الـدنیا ومتعهـا وملـذّاتها، من أجل نصـرة الحقّ وتحکیمه فی الأرض، وترسیخ قواعده، خصوصاً إذا صاحَبَ هذا الحقّ المنصور حرمانٌ من المال والراحة والملذّات والمِتَع العاجلة.

مثل هذه الشـریحة من الناس لا تلتفت ـــ کلّ الالتفات ـــ إلی المُثل العلیا، وإلی التکالیف التی تشـغلها عن أهدافها، وإلی السـیر تحت لواء رائد الحقّ والعدالة

علیّ بن أبی طالب أعجوبة الدهر، وإذا سارت تحت لوائه والتفتت إلی نُصرته، فإنّ هذا لن یطول بل تهوی فی أوّل الطریق أو فی منتصفه.

2 ـــ إنّ أغلب من حکم الکوفة وأخذ بزمامها ـــ باستثناء علی علیه السلام أمیر المؤمنین وولده الإمام الحسن علیه السلام ـــ هم أسوأ من عرفتهم الأمّة من الولاة، فمنهم الولید بن عقبة السکّیر، والذی تقیّأ فی محراب المسجد فی أثناء صلاة الصبح بسبب سکره وکثرة شربه، ومنهم المغیرة بن شعبة أزنی ثقیف، ومنهم أبو موسی الأشعری المتخاذل، ومن جاء بعدهم أشرس وأبعد عن الإسلام والإنسانیة.

وقد غرس هؤلاء الولاة ـــ بسبب خبث سرائرهم وضمائرهم، وابتعادهم عن روح الإسلام وتعالیمه ـــ أسوأ الخصال فی أفراد الأمّة، وحرّکوا فیهم النزعات الدنیویة، واللهاث وراء المال، والعمل لنیل الحظوة لدی الولاة، وقعدوا بهم عن نیل مکارم الخصال، وعن التربیة الإسلامیة ـــ الروحیة والأخلاقیة ـــ التی ینبغی أن تغرس جذورها فی نفس کلّ مسلم یؤمن بالإسلام ویخاف یوم القیامة.

3 ـــ إنّ أمیر المؤمنین علیاً علیه السلام ابتدأ حکمه یوم کان أبو موسی الأشعری والیاً علیها فأمره الإمام بإرسال عدّة من جند الکوفة إلیه فی البصرة لیقاتل بهم الناکثین الخارجین علی إمام زمانهم ـــ وهم عائشة وطلحة والزبیر ومن شایعهم ـــ فکان أبو موسی هذا یخذّل الناس عن نُصرة الإمام ویُغذّی فکرهم بأنّ هذه فتنة، النائم فیها خیرٌ من القاعد، والقاعد خیرٌ من القائم، ولم یُغذّهم ـــ کما هو

ديدنهم ـــ بوجوب إطاعة وليّ الأمر، أو بوجوب المشاركة فى قمع الفتنة التى أثارها عائشة وطلحة والزبير، حبّاً بالملک والزعامة والسلطان والمال؛ إذ كان طلحة والزبير يعملان لأنفسهما وعائشة تعمل لتولية طلحة التيمى الذى هو من عشيرتها تيم وقريبها.

فبدأ الإمام عليه السلام عهده مع الكوفة، وهذا الخائن يزهّدهم فى نصرة الإمام العظيم صاحب بيعة الغدير والذى نزل بحقّ ولايته:

((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْکَ مِن رَّبِّکَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ ...))(1).

فجعل المولى سبحانه عدم تبليغ ولاية على بن أبى طالب معادلاً لعدم تبليغ نبيّه من دينه شيئاً.

ولمّا بلّغ النبىّ ولايته للأمّة بحديث الغدير العظيم. قال:

ألست أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا ـــ وهم قُرابة المائة ألف أو يزيدون على بعض التقادير ـــ(2): بلى. قال:

فمن كنتُ مولاه فهذا علىٌّ مولاه.

اللّهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من نصب له العداوة والبغضاء إلى يوم الدين، وفى رواية: وأدر الحقّ معه حيث دار.

نزلت فى هذه الحال آية:

1- سورة المائدة، الآية: 67.

2- الغدير للشيخ الأمينى: ج1، ص32 ـــ 37.

((... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...))(1).

فبدون ولاية على عليه السلام لم يبلّغ النبيّ من الدين شيئاً ولا يقبل الله من الأعمال شيئاً، ومع ولاية على تمّ الدين وكملت النعمة الربّانية ورضى الله أعمال عباده التى يعملونها فى ظلّ الإسلام والقرآن وإمامة علىّ وخلافته.

ومن يرفض هذا فمصيره مصير الحارث بن النعمان الفهرى الذى قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد حادثة الغدير المباركة فقال له:

يا محمّد، أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نُصلّى خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترضَ بهذا حتّى رفعت بضُبعَى ابن عمّك ففضّلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلىٌّ مولاه فهذا شيءٌ منك أم من الله؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذى لا إله إلاّ هو، إنّ هذا من الله».

فولّى الحارث بن النعمان يُريد راحلته وهو يقول:

اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم.

فما وصل إليها حتّى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته، وخرج من دُبُره، وقتله، وأنزل الله عزّ وجلّ:

1- سورة المائدة، الآية: 3.

((سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ))(1)(2).

إنّ تزهيد الأشعرى لأهل الكوفة عن نصرة الإمام الوصى فتح باب التقاعس والتكاسل عن نصرته، وباب نقض العهود والغدر والتراخى عن الحقّ.

ولم يعرف عن الكوفة غدرٌ وتكاسل عن النصرة مع غير الإمام الوصى والإمام الحسن السبط والإمام الحسين السبط ومسلم بن عقيل، أى قضية أهل البيت عليهم السلام بالذات.

4 ـــ إنّ التزام المرء نهج علىّ بن أبى طالب وخلفائه الأئمّة الأحد عشر، أىّ التزام الخطّ الإسلامى الأصيل، وبتعبير آخر، التزام الإسلام بكلّ أبعاده وحدوده العقائدية والسلوكية فيه جنبتان:

الجنبة الأولى: أنّه خطّ الاستقامة والطهارة والسمو والإنسانية بأرفع معانيها ومراتبها، وهذا الخطّ يضمن للإنسان المعنى المتقدّم ويضمن له سعادة الدنيا والآخرة، ويضمن له رضا الله سبحانه فى طول مسيرته الوجودية بشرط التمسّک التامّ بهذا الخطّ أى بالإسلام المأخوذ من كلّ القرآن، ومن كلّ السنّة بحذافيرهما فلا يأخذ من القرآن بعضه ويتجاهل بعضه الآخر، وكذا شأن السنّة، كما لا يتصرّف تصرّفاً كيفيّاً فى فهم الكتاب والسنّة، بل يأخذ بهما كما هو ويتحمّل النتائج كاملة، والضمان الإلهى بالتكفّل والسعادة، معه فى كلّ مسيرته.

الجنبة الثانية: إنّ الإسلام الأصيل الحقيقى كما أمَرَ به الله سبحانه وبلّغه

1- سورة المعارج، الآية: 1.

2- الغدير للشيخ الأمينى: ج1، ص461؛ إذ نقل هذه الرواية عن الثعلبى فى تفسيره.

رسوله، يمرّ بحقبة عصيبة، وتعصف به عاصفة هوجاء تكاد أن تأتى عليه من جذوره.

وهذه الحقبة تعدّ حقبة استثنائية ضمن حركة تحقيق الإسلام لأهدافه فى الأرض، ألجئ الإسلام إليها بسبب جماعات متتابعة تريد التربّع على دست الحكم ومقام خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتحكيم إرادتها، ونيل مختلف المُنى والرغائب من خلاله، وإقصاء الجهة التى تستحقّ اعتلاء هذا المقام لو اعتلته فإنّ الجميع سيكونون تحت حكمٍ واحد، ونظامٍ واحد، ومساواةٍ تامّة مع أبسط الناس فى الأمّة، نعم لا يميّز بينهم ـــ لو حصل تمييز ـــ غير العلم والتقوى والجهاد والأسبقية إلى طاعة الله،والنظر فى حركتهم اليومية إلى الهدف الأسمى للبشرية ـــ وهى الآخرة ونيل رضا الله سبحانه ودخول الجنّة ـــ لا أن يكون مقياس حركتهم اليومية حسابات الربح والخسارة فى المال والمنصب والجاه وبقيّة النواحى الدنيوية، وهم يفتقدون ما يميّزهم من خصال الكمال، وما لهم من بضاعة غير القرابات، والتحالفات على الحقّ والباطل، وكبر السنّ، والمصاهرات.

إسلام محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّم سلمان الفارسى وبلالاً الحبشى والمقداد بن الأسود على زعماء قريش بل العرب مع ما لهم من قرابات ومصاهرات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإيمان أولئک وتمسّکهم بدينهم ولکفاءتهم فيما عُهد إليهم، ولکفر القرشيين ـــ أبو سفيان وحزبه ـــ ومعاداتهم لله ورسوله، ولابتناء حياتهم کلّها على اغتنام المنافع الشخصية، واحتقار المُثل والمبادئ السامية.

إسلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدّم أسامة بن زيد ذى السبعة عشر عاماً على کلّ المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بکر وعمر ـــ باستثناء أمير المؤمنين الذى أبقاه النبى معه ـــ لقيادة جيش المسلمين لغرض محاربة أعظم دولة فى العالم يومذاک وهى الدولة البيزنطية، معقل المسيحية.

إسلام محمّد بن عبد الله خاتم المرسلين وأفضل النبيّين، قدّم على بن أبى طالب وعمره ثلاثة وثلاثون عاماً يوم الغدير على کلّ الصحابة بنصّ:

«من کنت مولاه فهذا علىٌّ مولاه ألّلهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»(1).

وفرض طاعته على الخلق أجمعين وجعل النجاة يوم القيامة مُناطة باتّباع على دون سواه.

«علىّ مع الحق والحقّ مع على»(2).

«علىّ مع القرآن والقرآن مع علىّ لا يفترقان حتّى يردا علىّ الحوض»(3).

«مثل أهل بيتى کسفينة نوح من رکبها نجا ومن تخلّف عنها غرِق»(4).

1- حديث الغدير للشيخ عبد الحسين الأمينى، کتابه الجليل الغدير فى أحد عشر مجلّداً خصص المجلد الأول لذکر نص الحديث ورواته من الصحابة وعددهم (110) صحابى، ورواته من التابعين، ومن ألّف فيه کتاباً خاصاً، ومن رواه من أعلام العامّة، فراجع: ص26 ـــ 27 من الکتاب إلى آخر ما يتعلّق بالحديث؛ بينما ذکر السيد على الميلانى فى موسوعته خلاصة عبقات الأنوار عدد رواة حديث الغدير من الصحابة فأوصلهم إلى (117) فراجع نفحات الأزهار: ج6، ص54.

2- راجع: فضائل الخمسة: ج2، ص108، فقد نقل هذا عن عدّة مصادر منها صحيح الترمذى.

3- فضائل الخمسة: ج2، ص112، نقلها عن عدّة منها الصواعق المحرقة لابن حجر.

4- فضائل الخمسة: ج2، ص56، عن مستدرک الصحيح والدرّ المنثور للسيوطى وغيرهما.

والأمّة تميل يميناً ويساراً وتوالى معاوية الذى حارب علياً بكلّ قواه إلى أن استأصل دولته، وسنّ سبّه على منابر المسلمين فى طول بلاد الإسلام وعرضها قرابة الستّين عاماً وحارب كلّ ما يتعلّق به حتّى قُتلت أولاده وسبيت نساؤه وصبيته وذُبحت شيعته، وحورب حديثه، ومُنع حتّى من التسمية باسمه.

ثمّ يُقال عن هذا الوثن الجاهلى ـــ خال المؤمنين ـــ ولا يُقال لمحمّد بن أبى بكر ـــ خال المؤمنين ـــ إلاّ لأنّ ذلک يناصب علىّ بن أبى طالب الحقد والبغض والعداء الماحق، وهذا يحبّ على بن أبى طالب ويواليه ويشايعه وينصره بكلّ وجوده، ومع أنّ النبى قال فى علىّ:

«حبّه إيمان وبغضه نفاق»(1).

أقول: إنّ الصمود مع على بن أبى طالب والأئمّة من ولده كالإمساک بالجمر والمشى على الشوک، وهم عليهم الصلاة والسلام قد صرّحوا بهذا فذكروا أن أمرهم صعب مستصعب وأنّ من يحبّهم فليعدّ للفقر جلباباً وأنّ الماسک على دينه كالقابض على الجمر وقد ورد فى أحاديثهم ما سيقع على الدين كلّه وعلى جماعة شيعتهم ونحو هذا.

فعلى وولده عليهم السلام شأنهم ركوب الخيل واقتحام الأهوال وتطبيق الإسلام طوعاً أو كرهاً وتحكيم إرادة المولى سبحانه فى أرضه وإجراء سنن العدالة بين الناس لا تمييز فى هذا بين الناس، فمن يسير معهم لابدّ من أن يُعانى الحرمان ويهجر الراحة، ويحتمل مُرّ العيش حتّى يتحقّق الهدف ويعمّ العدل

1- فضائل الخمسة: ج2، ص210، عن كنز العمال وصحيح مسلم والترمذى وغيرها كثير.

وتستتب الأمور، وأبعد الناس عن الرفاهية فی دولة علی وولده أقربهم منه وأعظمهم منصباً، علی عکس غیرهم، والناس تحبّ الراحة، وتمیل إلی من یُعطیها ویفضّلها، وتخلد إلی زُخرف القول ومعسول الکلام، وأهل الکوفة ملّوا المجاهدة مع الإمام ورکوب الصِعاب والمصابرة معه، فی الوقت الذی لم یروا منه الغِلظة والقسوة والدموية التی تعرفها البشرية من الولاة فأخلدوا إلی الکسل والإهمال، وتنصّلوا عن بیعتهم ووعودهم بالأقوال الکواذب والدعاوی التی لا ترتکز علی شیء وتعوّدوا لهجة الغدر ورکبتهم روح النفاق حتّی وجدوا أنفسهم فجأة فی أحضان بنی أمیّة، ومن لا یرقب فیهم إلاّ ولا ذمةً.

5 ـــ إنّ أکثر أهل الکوفة لم یکونوا شیعة لعلی علیه السلام وإنّما نمت شجرة التشیّع فیها ببرکة وجوده فهم لم یکونوا یرون فیه غیر خلیفة الوقت ولم یعتقدوا فیه أنّه الإمام المنصوب من الله سبحانه وأنّه معصوم وأنّه الثانی فی الإسلام بعد النبیّ بلا فصل وهکذا غیرها من عقائد الإسلام الصحیحة التی تمسّک بها الإمامیة بأدلّة موجودة فی کتبهم وکتب مخالفیهم.

فلمّا کان مستوی اعتقادهم هکذا لم یک من العسیر علیهم مخالفته والتمرّد علیه.

6 ـــ إنّ الغدر ونقض العهد والمیثاق سلوک عامّ عند النوع البشری کلّه ولا یمنعه منه إلاّ الدین وخوف العقاب والاعتقاد باطلاع الله سبحانه علیه فی سرّه وعلانیّته وإنّه محاسب علی کلّ صغیرة وکبیرة وهذه وأمثالها من السلوکیات شاهد لنا علی عدم تغلغل الدین الصحیح فی نفوس الأمّة وعلی عدم بذل حکمها

الجهد فی تربیة الرعیة.

وقـد اسـتلمهم علیّ علیه السـلام وهم علی هـذه الشاکلة، فبذل جهوداً جبّارة فی سبیل تنشـئة جیل صالح، ومجتمع جدید، فاتبعوه ـــ مع ملاحظة أنّ المدینة مدینة عساکر والمجتمع قبلی صرف ـــ ومن یُلقِ نظرة عابرة علی الکتاب العظیم نهج البلاغة الذی یحوی خطباً ورسائل وکلمـات قصـاراً للإمـام أمیر المؤمنین ـــ وأغلب خطبه وکلمـاته إنّما قیلت فی الکوفـة ـــ یحسّ بالمرارة الشدیـدة التی عاناها الإمام علیه السلام معهم.

وقـد اسـتطاع الإمام ـــ رغم کلّ شـیء ـــ إیجاد مجتمع جدیـد فی الکوفـة وبذر بذوراً أینعت عبر التاریخ وإلی یوم الناس هذا فأصـبحت الکوفـة معقـل التشـیّع عبر التاریـخ، ومـا تعیین معاویـة لأرذل ولاته وأشرسـهم إلاّ دلالـة علی نجاح الإمام فی إیجاد تحوّل فی بنیّـة الکوفة وترکیبتها العقائدیة والولائیة، ممّا لا یُفلح طاغوت بعدها فی محو آثار ما غرسه الإمام فی الکوفة أبداً.

والواقع أنّ البحث فی هذا الأمر یحتاج لجهدٍ کبیرٍ ودراسة واسعة لا یکتفی معها بهذه الأسطر القلیلة التی نسجّلها هنا.

ب ـــ مبایعة الکوفیین للإمام الحسین علیه السلام ثم غدرهم

التعبیر بأنّ أهل الکوفة بایعوا الإمام ثمّ خذلوه تعبیر صـحیح، أمّا أنّ الشیعة بایعوه ثمّ خذّلوا عنه فهذا تعبیر یحتاج إلی صیاغة أخری وتصویر للمسألة بشکلها السلیم.

قدّمنا أنّ الکثیر من الکوفییّن کانوا ینظرون إلی الإمام لا بمعیار الشیعة الذی

يعتقدون فيه كونه الإمام المنصوب من الله سبحانه، وأنّه معصوم، وأنّه واجب الطاعة وأنّه صاحب الحقّ فی القیام مقام رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، بل کانوا ینظرون إلیه کحفید لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یتمتّع بمیّزات العلم والتقی والقداسة هذا مع انتشار الأحادیث عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم والتفاتهم إلی الآیات الواردة فیه وهی السبب فی تقدیسه إلاّ أنّهم لم یتعاملوا معه کما هو حقّه، کما لم یلتفتوا إلی مفاد الأحادیث والآیات کلّ الالتفات حالهم فی هذا کحالهم فی عموم التکالیف الإلهیة والوصایا النبویّة.

ویشهد لما قدّمنا معروفیة احتواء الکوفة لکافّة التیّارات السیاسیّة والعقائدیة فی ذلک الوقت کما کانت تضمّ بین جوانبها جمعاً من النصاری والمجوس.

ومن المعروف أنّ شطراً عظیماً من الکوفة کانوا من الخوارج وکانوا ناقمین علی طرفی النزاع فی المجتمع الإسلامی ففی الوقت نفسه کانوا یتّخذون موقفاً سلبیاً من الإمام أمیر المؤمنین وعائلته وعشیرته وشیعته وکانوا یستبیحون دماءهم، کذلک کانوا یکفّرون السلطة الحاکمة ومن یوالیها ویستبیحون دماءهم.

وکان من قادتهم فی تلک الحقبة شبث بن ربعی، وشبث هذا قد کاتب الإمام فیمن کاتبه وعاهده علی النصرة والمعاضدة فلمّا اشتدّ ساعد بنی أمیّة فی الکوفة من جدید بقدوم ابن زیاد رجع عن عهوده وانضمّ إلی حاشیته من جدید وقاد الکتائب لحرب الحسین علیه السلام.

وشبث، ومن علی طریقته من الخوارج، وغیرهم، لم یکونوا مخادعین حین کاتبوا الإمام بل کانوا صادقین فی عداوتهم لبنی أمیّة وفی مبایعتهم للإمام طمعاً

فی قلع الکوفة من تحت سیطرة بنی أمیّة أو قلب نظام الحکم کلّه وإن لم یکن للإمام خصوصیة عندهم، وذلک کلّه لما عانته الکوفة من الظلم الفاحش لبنی أمیّة وتمییزهم لها عن بقیّة أطراف العالم الإسلامی بکلّ ألوان القهر والإذلال والکبت والتفتیت والنفی والتقتیل.

فشریحة واسعة ممّن کاتبوا الإمام لم یکونوا من الشیعة لکنّهم کانوا علی ظاهر الإسلام استضعفهم بنو أمیّة وساموهم الذلّ والقهر وقد استنجدوا بالإمام سنین طوالاً فامتنع منهم لجبروت معاویة ولوجود معاهدة معه فلمّا مات وتواصلت کتبهم وعهودهم نهض الإمام لإنقاذهم طبقاً للآیة الکریمة:

((وَمَا لَکُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِینَ ...))(1).

غیر أنهم سرعان ما جبنوا وخذلوا وانقلبوا علی أعقابهم، وأعادوا نفس ما حصل بعد استشهاد النبی صلی الله علیه وآله وسلم من ارتداد أغلب الناس عن دینهم وقد نطق القرآن بهذا:

((... أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ ...))(2).

فالانقلاب علی الأعقاب لیس بجدید فی الأمّة وهذه إحدی مصادیقها.

فالمسلّم حضورهم فی حرب الحسین علیه السلام هم:

أ ـــ الأمویّون وهم الذین لهم التزام خاصّ ببنی أمیّة ویوالونهم ویخطئون غیرهم، وهم نواصب بطبیعة الحال.

1- سورة النساء، الآیة: 75.

2- سورة آل عمران، الآیة: 144.

ب ـــ التيّارات الأخرى المنحرفة عن مذهب أهل البيت عليهم السلام كالخوارج وهم كانوا كُثر فى الكوفة ونواحيها.

ج ـــ بعض الناس الذين يحملون ودّاً فى الجملة للإمام إلاّ أنّه لم يبلغ مستوى العقيدة بإمامته وعصمته ووجوب إطاعته، كما لم يؤثر شيئاً حين تتأثّر دنياه وتبلغ السكّين المذبح.

وقد شرح الفرزدق حال أهل الكوفة هذا للإمام الحسين عليه السلام حين تشرّفه بلقاء الإمام فى الطريق إلى العراق، إذ قال: قلوب الناس معک وأسيافهم عليک(1).

وروى أنّ الإمام أجابه:

«الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون»(2).

ومع ملاحظة أنّ الشيعة قلّة على كلّ حال.

إضافة إلى الاعتقالات الضخمة التى قام بها ابن زياد عند وروده الكوفة حتّى قيل إنّ فى سجنه عند وصول الإمام إلى الكوفة اثنى عشر ألف معتقل من الشيعة منهم المختار وميثم التمار وأمثالهما.

ومع ملاحظة القتل والتشريد اللّذين قام بهما زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة فى أثناء ولايتهما على الكوفة أيّام معاوية حتّى ورد أنّ زياداً نفى من الكوفة

1- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص67.

2- تحف العقول للشيخ الحرانى: ص245.

خمسين ألفاً إلى إيران وأنّهم هم الذين بذروا التشيّع فيها.

كما أنّه قتل منهم مقتلة عظيمة فصلب وسمل الأعين وهدم الدور ونفى من الديار وصادر الأموال حتّى بلغ الحال أن لم يبق فى الكوفة شيعى يُعرف على حدّ تعبير أحد المؤرّخين، وغير هذا وذاك فإذا لاحظنا أجواء الإرهاب التى بثّها ابن زياد فى حقبة ما بعد مجيئه على الكوفة وقبل ورود الإمام بما أشغل كلّ امرئ بنفسه، وتهديده أهل الكوفة بأنواع العقوبات أو ينضمّوا إلى الكتائب المسلّحة فانضم من انضمّ تخوّفاً من العقوبات ودرءاً للأمر مؤقّتاً.

يُضاف إلى كلّ هذا ما نقله المؤرّخون من أنّ بمجرّد وصول أخبار تحرّك الإمام عليه السلام من مكّة إلى العراق قام ابن زياد بنشر جيوشه فى مساحة واسعة جدّاً من الأراضى لصدّ الإمام عن الوصول إلى الكوفة، ولمنع أنصاره من الالتحاق به، ولشلّ الحركة العامّة تماماً، إذ بعث الحصين بن نمير صاحب شَرَطِه فنظّم الخيل فى مساحة واسعة يميناً ويساراً عن طريق الكوفة بحيث لا يمكن للإمام أن ينفذ إلى الكوفة أو يخرج أحد إليه إلاّ ويصادف جُند الحصين.

حتّى أنّ بعض الأعراب أجابوا الإمام عن الأوضاع: لا والله ما ندرى، غير إنّا لا نستطيع أن نلج أو نخرج(1).

أى: لا يستطيعون عبور المنطقة وإذا دخل إليها أحد فلا يستطيع الخروج منها لكثافة الجند وإغلاقهم للطرق ومنعهم من نفوذ أحد دخولاً أو خروجاً.

ومع هذا أفلت عدد قليل بطرق عدّة فإمّا أنّهم خرجوا قبل المنع والتحقوا

1- الإرشاد: ج2، ص69 و 72.

بالإمـام، أو تمكّنوا بشـكل أو بـآخر من عبور هـذه المواقع، أو خرجوا مع جنـد ابن زياد والتحقوا بالإمام. لكنّ المجموع على كلّ حال قليل وأين هم من عشرات الآلاف التى جيّشها طاغية العراق على إمام الأئمّة وأملها وبقيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووديعته.

ثمّ هنـاک جمع مهم: إمّـا فرّ نجـاةً بجلـده، أو اختفى، أو تستّر بأمره فلم يُظهر رأيه والتزامه خطّ الإمام فهؤلاء لم يفعلوا كلّ ما يمكنهم فعله للالتحاق بالإمام ووقعت الواقعـة فنـدموا أعظم النـدم ثمّ شـكّلوا من بعد هذا عمدة حركة التوّابين، وحركة المختار وعملوا على التكفير عن خطيئتهم بالقعود عن نصـرة الإمام الـذى جاء لإنقاذهم من الاستضـعاف ولإنهاض الدين من كبوته بسـبب بنى أميّة، ولابدّ الآن من إجمال المطلب وبيان خلاصته:

إنّ الأمّة، كلّ الأمّة مقصّـرة مع الحسين عليه السلام ـــ بلا استثناء، إلاّ آحاد من أفراد الأمة ـــ وكل فرد من أفراد الأمّة يتحمّل ـــ بشكل أو بآخر ـــ جزءاً من آثار القعود عن نصـرة المظلوم الأعظم أبى عبد الله الحسين صلوات الله عليه وسلامه، فالأمّة بين قاتل وخاذل والتكليف غير مقتصـر على أهل الكوفـة حتّى تقع الملامة عليهم فقط، نعم يتحمّل أهل الكوفة الإثم الأكبر ويقع عليهم التكليف الأعظم والناس فى هذه الجريمة مراتب من حيث الإثم، فلا معذرة لأحد كائناً من كان.

نعم: أردنا من خلال ذكر هذه الجوانب أن نوضّح حقيقة الحال وطبيعة الظروف ليُعلم صورة الوضع حينذاک.

ومما يجدر إلفات النظر إليه أنّه لم يُنقل أىّ اسمٍ معروف على أنّه شيعى أو موالٍ لأهل البيت وقد صدر منه خذلان للإمام على نحو الخروج إلى حربه.

فكلّ الأسماء المتوفّرة لمن شارک بشکل وآخر فى الجريمة هم من الأمويين أو الخوارج أو المخالفين لمذهب الإمام أو النواصب وهكذا دواليک، ولم يرد أىّ اسمٍ غير هذه فى الأحداث، وأمّا مشارکة قبيلة ما فإنّ القبائل منقسمة على نفسها من جهة عقيدية ففيها الشيعى وفيها الناصبى فورود اسم قبيلة على أنّها حاربت الإمام لا يصلح کدليل، وإذا ثبت ورود أىّ اسم شارک فى الحرکة ضدّ الإمام بشکل من الأشکال فعليه لعنة الله والملائکة والناس أجمعين وبرئ الله ورسوله والأمّة منه کائناً من کان.

وهذه اللعنة کما تخصّ المشارک فإنّها تشمل الراضى بقتله والمعين عليه بلسان أو قلم أو يد أو نحوها، إلى أبد الآبدين، والحسين ثار الله؛ إذ هو خليفة الله فى أرضه بعد جدّه وأبيه وأخيه والأدلة على هذا من کتب الشيعة والسنّة تملأ مجلّدات ومن يخف القيامة فليراجع ويتأکّد ويسأل قبل أن لا ينفعه ندم، والله على ما أقول شهيد.

موجز الحركة

بعد ورود رسائل أهل الكوفة ـــ بيد بعض وجهائها ـــ إلى الإمام الحسين عليه السلام، وفى الرسائل دعوة أكيدة للإمام للقدوم إلى الكوفة لقيادة أهلها ضدّ الحكم الأمويّ الفاسد، وبعد تأكيد الوجهاء لمضامين الرسائل، قرّر الإمام ـــ صلوات الله عليه ـــ بعث مندوبٍ عنه، يستطلع توجّهات أهل الكوفة وحقيقة نواياهم، ويستقرئ الأحداث عن كثب، ليرى رأيه النهائى فى الموافقة على دعوات أهل الكوفة، والاعتماد عليهم فى حركته المصيرية فاختار مسلم بن عقيل ليكون سمعه وبصره، وليستطلع له أوضاع الكوفة وأهلها، ويكتب له عمّا سيتوصّل إليه ليتّخذ قراره النهائى وهكذا كان.

إذ تحرّک مسلم مع جمعٍ اختارهم الإمام، مزوّداً برسالة منه إلى أهل الكوفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

«من الحسين بن على إلى الملأ من المسلمين والمؤمنين.

أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قَدِما علىَّ بكتبكم، وكانا آخر مَنْ قَدِمَ، مِنْ رُسلِكم، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم ومقالة

جُلّكم: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل، لعلّ الله أن يجمعنا بک على الهدى والحق.

وإنّى باعث إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى.

فإن كتب إلىّ أنه قد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رُسُلكم، وقرأت فى كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمرى ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ الحابس نفسه على ذات الله، والسلام»(1).

انطلق مسلم أوّلاً إلى المدينة فصلّى فى مسجد النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وودّع من أحبّ من أهله، واستأجر دليلين، فأقبلا به عن غير الطريق العام فَضَلاّ، وأصابهم عطش شديد فعجزا عن السير، ثمّ أنّهما لاح لهما الطريق فأرشدا مسلماً إليه ومات الدليلان.

فكتب مسلم إلى سيّد الشهداء بما حصل وأظهر تشاؤمه من هذه البداية وطلب إعفاءَه من مهمّته، إلاّ أنّ الإمام أكّد له ما أمره به فواصل مسلم سفره حتّى بلغ الكوفة فى الخامس من شوال فنزل فى دار المختار بن أبى عبيد الثقفىّ والكوفة يحكمها والٍ من طرف يزيد هو النعمان بن بشير.

أقبلت الناس تزور مسلماً، وكلّما اجتمع إليه منهم جماعة أخرج لهم كتاب الإمام وقرأه عليهم وهم يبكون، وبدأت الناس تبايعه حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً.

1- الإرشاد: ج2، ص39.

فلمّا رأى مسلمٌ إقبال أهل الكوفة، ومبايعة هذا العدد له، فاستطلع أوضاع الكوفة منظراً ومسمعاً، واطمأنّ إلى صلاحية الظرف لقدوم الإمام عليه السلام ولنجاح حركته كتب إلى الإمام عليه السلام، حاثّاً له على القدوم.

فى نفس هذا الظرف كتب بعض الموالين للسلطة الجائرة وأهل المطامع إلى يزيد يخبره بأوضاع الكوفة، وخطورة مسلم على كيان الدولة، وإنّ النعمان بن بشير لا يواجه الأحداث بما هو المطلوب، ويحرّشُهُ لاتخاذ الموقف المُتَصلّب، فاستشار مَنْ عنده، وعزم على إيكال أمر الكوفة وأهلها إلى عبيد الله بن زياد بتأثير من مستشاره المسيحى سرجون، فضمّ الكوفة إلى البصرة وجعله والياً عليهما معاً وبلّغه فى رسالته الآتى:

أمّا بعد؛ فإنّه كتب إلىّ شيعتى من أهل الكوفة يخبرونى أنّ ابن عقيل بها يجمع الجموع فتطلب ابن عقيل طلب الخُرزة حتّى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه، والسلام(1).

حضر ابن زياد إلى الكوفة وبمعيّته جمع منهم شريک بن عبد الله ـــ وهو من الشيعة المتستّرين، والذى صحب ابن زياد ليتعرّف خططه(2) ـــ ولمّا وصل الكوفة ظنّ الناس أنّه الإمام الحسين عليه السلام فأظهروا عواطفهم، فاستظهر حقيقة الوضع ومسار الأحداث.

فى هذه الأيّام كان مسلم فى دار المختار يجمع الأموال والسلاح والرجال

1- الإرشاد: ج2، ص42.

2- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج2، ص356.

ويأخذ البيعة للحسين عليه السلام من الناس ويهيّئ المستلزمات لإنجاح الثورة الحسينية منتظراً قدوم الإمام عليه السلام، وكان الإمام قد بعث فى هذه الأثناء بكتاب إلى أهل الكوفة ختمه بقوله:

«فإذا قدم عليكم رسولى فانكمشوا فى أمركم وجِدّوا، فإنّى قادمٌ عليكم فى أيّامى هذه»(1).

فى هذه الأثناء سيطر ابن زياد على قصر الإمارة، ونظّم الحرس والجواسيس واتّصل برؤساء القبائل، وبدأ بتحرّك واسع للتعرّف على مكان إقامة مسلم لإلقاء القبض عليه وإخماد الحركة فى مهدها، غير أنّ مسلماً تدارك الأمر وغيّر مكان إقامته من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة وتستّر فى أمره، واحتاط فى تحرّكاته وأحاط مكان إقامته بمخيّم يضمّ السلاح والرجال المتهيّئين للانقضاض على كيان الدولة.

وحدثت حادثة فى هذه الأثناء كان يمكن من خلال استثمارها تغيير مسار الأحداث إلى حيث الإنجاح السريع والحاسم لحركة الإمام الحسين عليه السلام، ولكن... وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«قد يرى الحُوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين»(2).

إنّ مسلماً لم ينتهز هذه الفرصة، لورعه وتدينّه، وهذا هو الفرق بين هذا

1- الإرشاد للمفيد: ج2، ص70؛ الإنكماش: الإسراع.

2- نهج البلاغة للشريف الرضى: الخطبة 41.

النوع من الناس وبين من لا يتوقف عن ارتكاب أيّة خسيسة لتحقيق أهدافه حتّى اتّخذوها أصلاً يشيّدون عليه كيانهم (الغاية تبرّر الوسيلة).

وخلاصة الحادثة: مَرِض شريک بن عبد الله وهو فی دار هانئ بن عروة وکان مسلمٌ فیها أیضاً فسمع ابن زیاد بمرضه فأراد زیارته فاقترح شریک إعطاء إشارة معیّنة بعد قدوم ابن زیاد إلیه فیبادره مسلم ویقتله.

وحضر ابن زیاد لعیادة شریک وجلس هنیئةً، فأعطی شریک الإشارة غیر أنّ مسلماً لم یبادر لقتل ابن زیاد وأعاد شریک الإشارة ولا أثر حتّی أحسّ ابن زیاد أنّ فی الجوّ شیئاً فخرج وفشلت الخطّة وضاعت الفرصة.

بعد هذا؛ جَدّ ابن زیاد لکشف مکان اختفاء مسلم فکلّف رجلاً بکشف الأمر فذهب هذا إلی مسجد الکوفة وتمکّن من التعرّف علی مسلم بن عوسجة فأخبره أنّه یحمل مالاً إلی مسلم فواعده کی یُدخله علیه وحصل هذا فعلاً فکشف بهذا مکان إقامة مسلم وأبلغ ابن زیاد به.

أرسل ابن زیاد إلی هانئ لیحضر إلیه فحضر ففاجأه بخبر وجود مسلم عنده وواجهه بالجاسوس فأسقط فی ید هانئ غیر أنّه امتنع عن تسلیمه فعذّبه ابن زیاد وحثّه بعض من فی المجلس بدعوی أنّ تسلیم الضیف إلی السلطان لا عار فیه، فتمنّع أشدّ التمنّع فاعتُقل.

ثارت عشیرة هانئ وحاصرت قصر الإمارة مطالبة بإطلاق سلاح هانئ غیر أنّ نفرین أخمدا الثورة، أحدهما رکب الموجة وقاد جموع العشیرة واستطاع تهدئة برکانها إرضاءً لابن زیاد وتزلّفا إلیه.

والثانى شريح القاضى الذى أبلغهم بأنّه اطّلع على هانئ فى سجنه فوجده حيّاً فاستطاع بتمويهه ومماالأته للسلطة تهدئتهم وتشتيت جمعهم.

لمّا بلغ مسلماً ما صُنع بهانئ أعلن الثورة واحتل الكوفة وحاصر قصر الإمارة فانهار وضع ابن زياد وشارف أمره على النهاية، غير أنّه تدارك الأمر ببثّ المرجفين وناسجى الإشاعات والأخبار الكاذبة ومن جملة ما يشيعونه قُرب وصول جيش الشام، كما يخيفون الناس بقطع الدولة لأرزاقهم، وتشتيت جمعهم فى ثغور العالم الإسلامى ونحو هذه.

وقد أدّت حركة المرجفين هذه إلى إحداث تدمير واسع النطاق فى بنيّة جيش مسلم، وإلى تخاذل الناس عنه وتواكلهم فانسحبت الجموع الثائرة، ورجع كلّ إلى داريه فما حلّ مساء اليوم الأوّل من الثورة حتى ترى العجب: مسلم وحيد فى الكوفة دون أن يصحبه أحد، ولا قوّة مناهضة أمامه تستدعى تشرذم جيشه.

التجأ مسلم لدار امرأة كوفية تُدعى ــ طوعة ــ غير أنّ الخبر وصل بسرعة إلى ابن زياد فحشد له جمعاً من العساكر التى حاصرته ورمت على الدار التى هو فيها أطنان القصب المشتعل فخرج إليهم وقاتلهم وبعد مقاومة باسلة ذكّرت الناس بشجاعة البيت الهاشمى، نُصب له كمين وأعطى الأمان فتمّ إلقاء القبض عليه فاقتيد إلى ابن زياد الذى شتمه وأمر بضرب عنقه ورميه من أعلى قصر الإمارة فصُنع به هذا ثمّ سُحب فى الأسواق كما أخرج هانئ من سجنه وضُربت عنقه أمام الناس وسُحب فى الأسواق مع مسلم.

بعد استشهاد مسلم، بدأت الأحداث تتسارع، فشنّ ابن زياد حملة هائلة

لاعتقال رجالات الشيعة ومُحبّى الحسين وأنصاره وأنصار مسلم ومن يُخاف خطره لو بقى مُطلق السراح، فامتلأت السجون حتّى قيل إنّ فى السجن قرابة الاثنى عشر ألفاً وهو رقم رهيب بحسب وضع الكوفة وكثافتها السكّانية فى تلك الأيّام.

كما قام ابن زياد بالتنكيل بالناس وفعل الأفاعيل بهم.

ثم أخذ ابن زياد بتجنيد الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام وإرسال الكتائب لتجول الصحارى، تبحث عن قافلة الإمام ـــ سبط رسول الله وأمل الأمّة المعذّبة والمتحيّرة فى دينها ودنياها ـــ.

هذا ملخّص لمسيرة حركة مسلم وهى على وجازتها تقتضى تأمّلاً فى بعض مواطنها، وتقتضى توضيحاً، لتفهّم سبب جريان الحركة فى هذا المجرى، ولنقتبس منها الدروس والعبرة، ولنستكشف أيضاً بعضاً من ملامح شخصية بطل من أبطال الإسلام، بطل واجه الدولة الطاغوتية التى قهرت الأمّة كلّها فى جميع مجالات حياتها على مدى عشراتٍ من السنين وهو بَعْدُ:

رائد من روّاد الشهادة فى البيت الهاشمى والذى أترع أبناؤه بكأس الشهادة.

مواقف وتساؤلات

من خلال التفاصيل التى يذكرها المؤرّخون لحركة مسلم رضى الله عنه نجد أموراً ومواقف تثير التأمّل والتساؤل لدى الناس ولاسيما الشيعة والمحبّين لآل البيت عليهم السلام.

وذلک لأنّه يظهر أنّ أوّل الوهن الذى دخل على الحركة الحسينية إنّما هو من جهة هذه الحركة ومجريات أحداثها والنتائج التى تمخّضت عنها.

فلولا هذا الحدث وذلک الموقف وتلک الإثارة وهكذا.. لما حصل كذا وكذا ولما انتهت الحركة الحسينية إلى تلک النتيجة الرهيبة ولما انتهى الحال بسيّد الشهداء إلى تلک الكارثة المهولة.

لِمَ اختاره الإمام الشهيد من دون أهل بيته؟

لِمَ لَمْ يَعْفِه من مهمّته بعدما طلب الإقالة منها وقد خيّر كثيراً من الناس بين المسير معه والرجوع إن شاءوا؟

لِمَ امتنع مسلم عن قتل ابن زياد فى دار هانئ؟

لِمَ أعلن الثورة، ولم يكلّفه الإمام إعلانها بل استطلاع الأوضاع والكتابة إليه بشأنها كى يرى رأيه؟

كيف شـخّص مسلمٌ أوضاع الكوفة ممّ دعاه إلى حثّ الإمام الشهيد على المجىء، مع أنّ الأوضاع انقلبت بسرعة مع العلم أنه لم تكن لهذا الانقلاب أماراته حينذاك؟

لِمَ لَمْ ينجح فى السيطرة على عواطف الناس وأفكارهم ولم يُحقّق من خلالها أهدافه مع كون الساحة له، والناس توجّهت بعواطفها نحوه فى أوّل الأمر؟

هل الخلل فى تقصيره فى الجانب الإعلامى، الاقتصادى، المخابراتى، أو لخلل فى كفاءته أصلاً؟

لِمَ لَمْ يترك الكوفة بعد فشل حركته بل بقى فيها فيسّر لابن زياد إلقاء القبض عليه وإعدامه مع أنّه رأى أن لا ناصـر له إطلاقاً من تلك الألوف المؤلّفة؟

لا ينقضـى العجب: كيف ترك جميع الناس الصـلاة خلف مسـلم وتركوه وحيـداً فريداً فى طرقات الكوفة، فأين رجالات الشـيعة، وأين بقيّة شَرَطَة الخميس؟

لِمَ لَمْ يقاتل مسلم رضى الله عنه حتّى الموت، بل وثق بأمان مَنْ شيمتُه الغدر، مع أنّه قد خَبَر مصداقيتهم قبل هذا؟

لِمَ لَمْ يترك مسلم إعلان الثورة حتّى يحضر الإمام، ولِمَ لَمْ يعد اعتقال هانئ ضمن الخسائر التى تتحمّلها الثورة على طريق النصر؟

تساؤلات كثيرة، لكن هل يمكن الجواب عنها بما يُقنع وبما يكشف الحقيقة من بين الحجب وأسباب الغشاوة؟

نعم، لكلّ تساؤل جوابه المقنع إن شاء الله تعالى وبما يكشف القناع عن وجه تلك الأحداث الجسام.

ولنسجّل أيضاً بعض الاعتراضات، ففى إيراد نقله العلاّمة الشهيد المطهّرى: (إنّ كلّ المعترضين، انتقدوا تقييم مسلم لأوضاع الكوفة، وتتّهمه بالضعف)(1).

وآخر ذكره العلاّمة الشيخ باقر القرشى:

(إنّ جيش مسلم مُنى بهزيمة مخزية لا مثيل لها فى التأريخ، من دون أن تكون قِباله أيّة قوّة عسكرية)(2).

وطرح البعض إشكالات واستعمل أسلوباً مستهجناً فى طرحه، قال:

تبقى المؤاخذة الوحيدة على توجّهات ابن عقيل:

أ ـــ لم يعتمد خطّة دقيقة للمحافظة على تماسك أنصاره، وراهن على ثبات بيعتهم دون حسابٍ لمكر ابن زياد وإمكانيته فى استمالتهم.

ب ـــ وبرفضه لفكرة اغتياله، وتذرّعه بالقيم والمبادئ يكون قد وضع المعروف فى غير أهله، ممّا أضرّ بنفسه، ومهّد لنهايته المأساوية ومن ثمّ إحباط مجهودات الحسين وأصحابه وتعريضهم لأسوأ عملية غدر.

وعموماً فإنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أىّ منهجٍ مثالى، والشجاعة وحدها لم تكن لتكفى(3).

1- الملحمة الحسينية للشيخ الشهيد مرتضى المطهرى: ج3، ص355.

2- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج2، ص385.

3- دراسات حول كربلاء، مجموعة أبحاث: ص703، وهذه الدراسات مطبوعة فى لندن.

وقد ردّت اللجنة التی اطّلعت علی هذا المقال وساعدت فی نشره علی کلامه المتقدّم: لم یکن هذا تذرّعاً من مسلم، وإنّما هو اعتقاد والتزام بالحدیث الشریف والمبادئ، فإن لم یکن ابن زیاد أهلاً للمعروف، فإنّ مسلماً کان أهلاً لذلک کما یقول أمیر المؤمنین علیه السلام.

وهاک لوناً آخر، لکنّه موجود فی الساحة، فی فهم ثورة الإمام وحرکة الإمام؛ إذ یری أنّ الإمام الحسین علیه السلام سار فی ثورته مسیرة من یرید أن یموت کما سار أمیر المؤمنین علیه السلام من قبله.

ثمّ ذکر ما جری حول ابن زیاد فی دار هانئ وامتناع مسلم عن قتله لحدیث (الإیمان قید الفتک).

فقال: الظاهر أن هؤلاء الناس قد جُبلوا من طینة الشهادة، یثورون ولا یتّخذون فی ثوراتهم سبیل النجاح إنّهم ألقوا بأنفسهم إلی التهلکة وکُتب علیهم الفشل فی کلّ سبیلٍ سلکوه إلاّ سبیل الشهادة.

وهذه ــ أیضاً ــ مقالة تحتوی فی طیّاتها مجموعة أفکار وآراءٍ تُشابه فی خطّها العام، الآراء المتقدّم بیانها، بل لا تکاد تخرج عن ذلک الإطار فکرة وأسلوباً، یستحسن استعراض المطروح بغیة مناقشة وبیان مواضع العثرة فیه:

إنّ اختیار الإمام لمسلم لم یکن موفّقاً بدرجةٍ کافیة حیث ینسب إلیه التردّد وضعف القلب دون الافتقار إلی الشجاعة.

ویری: أنّ سبب اختیار الإمام علیه السلام لمسلم: عدم حصول الإمام علی واحدٍ من بنی هاشم یقوم بالمهمّة من غیر الشباب، لعدم موافقتهم علی الخروج

من المدينة، إذ توطّدت لهم مصالح مستقرّة، جعلتهم ينصرفون عن السياسة، والشباب الذين خرجوا مع الإمام، كان رأسهم العبّاس عليه السلام، وهو لا يزيد على الثلاثين.

ويحتمل أنّ مسلماً لم يكن مقتنعاً بما أسند إليه، أو متهيّبٌ من لقاء أهل الكوفة لما سَمِعَ عنهم من تقلّب الرأى، أمّا مسيره فاحتراماً لإرادة الحسين عليه السلام ومن دون رغبة منه، إلاّ أنّ اجتماع ذلك الحشد من الأنصار حوله.... يدلّ على مقدرته وحضوره القويّ بينهم، ثمّ إنّ نجاحه فى أخذ البيعة، لم يكن من الأمور اليسيرة فى ظلّ أجواء الكوفة المضطربة ووجود أميرها. (فراجع لكلّ هذا: ___ دراسات حول كربلاء المطبوع فى لندن).

وعلى أىّ حال: نحن نجزم بأنّ مسلماً لم يقصّر فى النصيحة لإمامه ودينه وأمّته، فى رسائله التى بعثها، وفى إداراته للأحداث فهو اتخذ الموقف المناسب للحالة الفعليّة المعاشة.

وإلاّ فمسلم من جهة شجاعته وكفاءته ومن جهة صلابة عقيدته الإيمانية فى المرقاة العليا وكان على مستوى الحدث بل أعلى.

لكن لابدّ للأمّة أن تمرّ بامتحان الأمم كما على الأفراد أن يمرّوا بامتحانهم وبحسب امتحان الأمم، فقد كبت هذه الأمة كبوة ليس لها منها نهضة، ودفعت، وستدفع ثمناً أعلى مما ستدفعه بقيّة الأمم.

وعلى مستوى امتحان الأفراد، لحقت الهزيمة بعامّة أفراد الأمّة أمام فتنة الشيطان والسلطان، نعم نجح أفراد قلائل، بهم نهضت الأمّة من جديد عبر أجيالها

المتتالیـة وفی مقدّمتهم مسـلم، ونحن واثقون علی کلّ حال ومخبتون إلی صـحّة موقف مسـلم لیس فقط لمسـلّماتنا العقدیة والدینیة وإنّما دراسة شخصیة مسلم وأوضاعه ودراسة القضیّة جیّدا، تستدعی هذه النتیجة.

ولا ریب، أنّ مجتمع الکوفـة یومذاک، أثبت أنّه لا یسـتحق حکم آل محمّد، ولا یسـتحقّ العیش فی ظلّهم، إذ لم یُراع أهل الکوفة عهودهم ووعودهم ورسائلهم التی واتروها إلی الإمام أکثر من عشر سنین ثمّ نقضوا مواثیقهم بأوّل ضربة وُجّهت إلیهم من السلطة الطاغوتیة.

إنّ المولی سـبحانه أنعم علی العالم بشـکل عام، وعلی العرب بشـکل خاصّ، وعلی قریش بوجه أخصّ، بمحمّد وآل محمد صلی الله علیه وآله وسـلم، وکان الجدیر بهم أن یشـکروا هذه النعمة ولا یکفروها، فیشـکروها بقبولها والأخذ بما جاء به النبیّ الأکرم صـلی الله علیه وآله وسـلم وبما بلّغه آله عنه، وبنصـرة النبی وآله لإتمام مهمّة النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم فی نشر الشریعة وتجذیرها فی الأرض وهیمنتها علی الشرائع والأمم کلّها.

وکـذلک بنصـرة آله الـذین حملوا رایته وواصـلوا دربه وحملوا همومه وعزموا علی بلوغ هدفه مهما کلّفهم هذا من رکوب الصـعاب واقتحام الأهوال وبـذل کلّ غالٍ ونفیس مع طاعـة مطلقة لله ورسوله فی کلّ حرکة وسـکون، وقد وفی بعض الناس، من قریش خاصّة، والعرب عامّة، ومن أمم أخری أیضـاً، مـا عاهـدوا الله علیه، فصبروا وصـابروا، ورابطوا وجاهـدوا، وترقرقت الـدماء من بین العمائم واللحی ـــ والمسـیرة مستمرّة ـــ .

لكن أكثر الناس جبنوا وأخلدوا إلى عاجل الدنيا وزخرفها واشتملت أضالعهم على الخيانة وألوان النفاق، وسقطوا صرعى تحت سياط جلاّدى هذه الأمّة ممّن سمّوا أنفسهم بالخلفاء مع أنّ النبىّ سمّاهم بأصحاب (المُلك العضوض)(1).

وقد هرع أئمّة أهل البيت لاستنقاذ الأمّة من سيوف جلاّديها وسياطهم، وأجابوا استصراخها بعدما أخذوا عليهم العهود والمواثيق المؤكّدة.

هذا النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج إلى المدينة ويبدأ بإنشاء كيان الدولة الإسلامية إلاّ بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية، وهذا أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين لم يكتفِ بمبايعة أكثر من مائة ألف مسلم(2) له فى غدير خمّ بالولاية العظمى والخلافة والإمامة، حينما هرع الناس إليه صحابة وتابعين، مهاجرين وأنصاراً، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ملتمسين منه ومصرّين عليه تولّى الخلافة بعد مقتل عثمان؛ لأنّه أمل الأمّة وصاحب الكفاءة الأعظم ـــ الذى ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير، لإدارة شؤون المجتمع الإسلامى وللقيام بكلّ ما هو مطلوب ممّن يتولّى قيادة الأمّة وزعامتها، فلم يستجب من أوّل الأمر حتّى رأى إصرارهم وتصميمهم ـــ بالرغم من استحقاقه الخلافة بالنصّ من الله ورسوله ـــ ثمّ انتهى الأمر إلى أن بايعه الناس بيعة لم تحصل لأحدٍ ممّن تولّى الخلافة من قبله أو من بعده وحتى يقول عن حال الناس يومذاك معه:

1- النصائح الكافية للسيد محمد بن عقيل: ص190.

2- الغدير للشيخ الأمينى: ج1، ص32.

«فمـا راعنی إلاّ والناس کعُرف الضّبع إلیّ، ینثالون علیّ من کُلّ جانب حتّی لقـد وُطئ الحسـنان، وشُقّ عطفای، مجتمعین حولی کربیضـة الغنم»(1).

وعنه علیه لاسلام:

«وبسـطتم یدی فکففتها، ومددتموها فقبضـتها، ثمّ تداککتم علیّ تداکّ الإبل الهیم علی حیاضـها یوم وِرْدها حتّی انقطعت النعل، وسـقط الرداء، ووُطئ الضـعیف، وبلغ من سرور الناس ببیعتهم إیّای أن ابتهج بها الصغیر، وهَدَج إلیها الکبیر، وتحامل نحوها العلیل وحَسَرت إلیها الکِعَاب»(2).

وهذا الإمام الحسن لم یقبل الخلافة بعد أبیه، والوقت عصـیب، ومعاویة یصول بجنده علی أطراف دولة الإمام، حتّی بایعه الناس ورضوه عن طواعیة تامّةٍ لم تحصل لأحد، ثمّ هذا الإمام سـیّد الشـهداء، لم یتحرّک من المدینة إلاّ بعدما کاتبه الناس واستصـرخوه واستنهضوه أکثر من عشر سنین.

وهکـذا سـیکون الحال مع بقیّـة الله فی أرضه المهدی ـــ روحی وأرواح العالمین له الفداء ـــ إذ لن یتولّی أمر الأمّة إلاّ بعدما تبایعه الأمّة عن رضا وطواعیة وتأکید کما فعل أسلافهم مع آبائه الکرام البررة.

إنّ منطق معظم الأمّة ـــ من بعد النبی إلی الیوم ـــ هو نفس منطق الذین قالوا لموسی علیه السلام:

1- نهج البلاغة للسید الرضی، الخطبة الشقشقیة وهی الخطبة الثالثة.
2- نهج البلاغة: الخطبة 229.

((... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّکَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ))(1).

فما كان جواب موسى اعتذاراً لربّه الجليل:

((قَالَ رَبِّ إِنِّی لا أَمْلِکُ إِلاَّ نَفْسِی وَأَخِی فَافْرُقْ بَیْنَنَا وَبَیْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِینَ))(2).

فحَكَمَ المولى سبحانه ـــ كأثر وضعی عقابی لجريمتهم ـــ:

((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَیْهِمْ أَرْبَعِینَ سَنَةً یَتِیهُونَ فِی الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَی الْقَوْمِ الْفَاسِقِینَ))(3).

وقد ورد فی الروايات أنّه يكون فی هذه الأمّة ما كان فی بنی إسرائيل حذو القذّة بالقذة(4)، وهذا الذی جری، هو علی طبق ذاک وقد وقعت الأمّة فی التيه ولا يُدری متی ستخرج منه وتنتهی آثار جريمتها، وتفلت من براثن فعلتها.

وهنا أمر يَحْسُن التأكيد عليه، ويتعلّق بالسياسة الخاصّة لمحمّد وآل محمّد ـــ صلّی الله علی محمّد وآله الميامين المعصومين ـــ فی نشر الدين وتحكيمه وتجذيره، وفی حكم الأمّة وإدارة شؤونها، وكذلک فی إدارة الصراع مع أعداء الدين.

وهذه السياسة تقوم علی خصيصة يمكن استشرافها من خلال نصٍّ عن أمير المؤمنين عليه السلام:

1- سورة المائدة، الآية: 24.

2- سورة المائدة، الآية: 25.

3- سورة المائدة، الآية: 26.

4- تفسير الميزان للسيد الطباطبائی: ج3، ص434، فقد نقل هذا النصّ والمضمون عن جامع الأصول لابن الأثير وذكر أنّه من المشهورات وقد رواه الشيعة والسُنّة.

«أيّها الناس، إنّ الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جُنّةً أوقى منه، وما يغدر من عَلِمَ كيفَ المَرجع، ولقد أصبحنا فی زمانٍ قد اتّخذ أكثر أهلِه الغَدْرَ كَيْساً ونسبهم أهل الجهل منه إلی حُسن الحيلة، ما لهم، قاتلهم الله، قد يری الحوّل القُلّب وجهُ الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأی عين بعد القُدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له فی الدين»(1).

إنّ سياسة محمّد وآل محمّد صلی الله عليه وآله وسلم تقوم علی قانون الإسلام نصّاً وروحاً وجوهراً ومظهراً، وسياسة الإسلام تقوم علی ثوابت لا ـ تتغيّر، بحسب الظروف والحالات أو بحسب المكان والزمان وعلی متغيّرات تقتضی تغيّر الحكم عن عنوانه الأوّلی المشرّع للحالات العادية إلی عنوان ثانوی اضطراری مشرّع للحالات الاستثنائية ولحالات الطوارئ ـــ كما يُعبّر عنه فی هذا الزمان ـــ ولعلّ هذا التغيّر فی الحكم بحسب العناوين يعدّ تسامحاً فی التعبير، إذ إنّ الواقع أنّ العنوان الأوّلی هو لحالةٍ خاصّة لها حدودها وضوابطها وجوهرها ولها اعتبار حكمی خاصّ، والعنوان الثانوية هو لحالةٍ ثانية خاصّة أيضاً لها حدودها وضوابطها وجوهرها وشرائطها ولها اعتبار حكمی خاصّ بها أيضاً فهذه غير تلك فحكمها أيضاً مختلف.

كما أنّنا نلاحظ ـــ بعد التأمّل فی الروايات وسيرة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ـــ أنّهم يلاحظون العناوين الأوّلية والثانوية فی الحالات الجزئية المتعلّقة بهم أو بأفراد الأمّة، كما أنّهم يُلاحظون العناوين الأوّلية والثانوية فی

1- نهج البلاغة للسيد الرضی: الخطبة41.

مقاطع واسعة زمانية ومكانية بحسب ما ستجرى عليه الأحداث مستقبلاً فيتّخذون الموقف المطلوب من الآن لمرحلة ما بعد عشر سنوات أو خمسين سنة أو لعلّه لمئات من السنين بحكم علمهم بما سيقع مستقبلاً فى هذا المكان أو ذاك أو فى طول البلاد الإسلامية وعرضها أمّا من أين علِموا بهذا فهذا له بحث آخر مستقلٌ ليس محلّه هنا.

وممّا يُرشد لهذا بل يدلّ عليه ما ورد فى وجه عفو الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن معاقبة أعدائه ببعض أنواع العقوبات التى يستحقّونها بحكم الشرع نتيجةً لجرائمهم وإفسادهم فى الأرض رعايةً للرساليّين الحقيقيّين حملة لواء الحقّ والفرقة الناجية من هذه الأمّة ـــ شيعة أهل البيت عليهم السلام ـــ إذ ورد عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام:

«لَسيرة على ـــ صلوات الله عليه ـــ فى أهل البصرة كانت خيراً لشيعته ممّا طلعت عليه الشمس، إنّه عَلِمَ أنّ للقوم دولة فلو سباهم لسُبيت شيعته».

قلت: فأخبرنى عن القائم عليه السلام يسير بسيرته؟ قال:

«لا، إنّ عليّاً عليه السلام سار فيهم بالمنّ لما علم من دولتهم، وإنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السيرة لأنّه لا دولة لهم»(1).

وهذا المعنى ورد بعدّة أسانيد فراجعها فى الوسائل.

فالنتيجة أنّهم سلام الله عليهم لا يستجيزون فعل أىّ شىء من أجل تحقيق

1- وسائل الشيعة للشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى: كتاب الجهاد، الباب 25 من أبواب جهاد العدوّ، ج15.

الأهـداف فهناک ما يصحّ التحرّک ضـمن دائرته، وهناک ما لا يصحّ مهما بلغت الظروف، وهذا أحد الفوارق المهمّة جدّاً بينهم وبين غيرهم ـــ سواء أكان هذا الغير وليّاً لهم أم عدوّاً ـــ .

كما أنّنا نلاحظ ـــ بعد التأمّل فی الروايات والسـيرة أيضاً ـــ التزامهم ببعض السـلوكيات ممّا لا لزوم بحقّه فی الشريعة، وإنّما يقتضيها علوّ النفس وسموّ الذات وبُعد الهمّة وشدّة المحبّة لله سبحانه، والرغبة العظيمة فی فعل أقصی ما يحقّق رضاه.

فهـذا النبیّ صـلی الله عليه وآله وسـلم يخيّره من الله سـبحانه بين أمرين أحدهما شديد مع تعريفه بأنّ الاختيار لن يُنقص له مقاماً عند الله سبحانه فيختار الأشدّ.

وهذا أمير المؤمنين عليه السـلام ما عرض له أمران كلاهما لله رضا إلاّ اختار أشدّهما عليه، وكذا الزهراء والحسـنان وبقيّة الأئمّة التسعة إلی المهدی روحی فداه.

وهذه القاعدة لها مصاديق كثيرة فی سـيرتهم عليهم السلام ومن شاء استقصاها ولعلّ من أمثلتها المشرقة ما خلّدته سورة الدهر حين أعطی الإمام والزهراء والحسـنان طعامهم لمسكين ويتيم وأسير ثلاثة أيّام وهم صيام ولم يتناولوا شيئاً غير الماء حتّی بلغ منهم الجوع مبلغاً عظيماً وحتّی هتف النبیّ صلی الله عليه وآله حين دخل عليهم ورأی آثار الجوع فی وجه حبيبته الزهراء وولديه الحسن والحسين:

«وا غوثاه بالله يا أهل بيت محمّد تموتون جوعاً»(1).

[ولاحظ أنّهم أعطوا طعامهم لأسير مع أنّه كافر بطبيعة الحال] فإذا بجبرئيل يهبط ويقول للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«خذ يا محمّد هنّأك الله فى أهل بيتك».

وبلّغه سورة هل أتى فليتأمّل المؤمن فيها وليستشرف من خلالها على شىء من عظمة محمّد وآل محمّد وقدرهم عند الله سبحانه، وتأمّل فى الحسين عليه السلام وحاله يوم الطف وقد بلغ به العطش مبلغاً عظيماً والمصائب تترى عليه، ونساؤه وصبيته فى جوعٍ وعطشٍ وأخطارٍ لا تستقصى، وقد فقد صحبه وأهل بيته، والجيوش الفرعونية تحيط به تريد تفريق روحه المقدّسة عن بدنه الطاهر، نراه قد اقتحم الجيوش وولج فى شريعة الماء وأراد شرب الماء كى يُبلّ ريقه ويتقوّى على قتال الفجرة الكفرة وإذا بفرسه يُسارع بمدّ رأسه ليشرب فإذا به يقول له:

«أنت عطشان وأنا عطشان والله لا ذُقت الماء حتى تشرب»(2).

حتّى فى أحلك الظروف، يقصدون أعظم مراتب السموّ ويُسارعون إلى

1- بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسى: ج35، ص247، وللاطّلاع على مصادر السُنّة فى شأن نزول سورة هل أتى فى أمير المؤمنين وسيّدة النساء وسيدى شباب أهل الجنّة الحسن والحسين؛ راجع فضائل الخمسة للسيد الفيروزآبادى: ج1، ص54، فقد نقلها عنهم وقد ألّف الحافظ العاصمى كتاباً فى مجلّدين أسماه ـــ زين الفتى فى تفسير سورة هل أتى ـــ ذكر فيه نزولها فيهم عليهم السلام؛ وراجع شواهد التنزيل: فى الآيات النازلة فى أهل البيت عليهم السلام للحاكم الحسكانى: ج2، ص393، والحسكانى من أعلام السُنّة.
2- بحار الأنوار للشيخ محمد باقر المجلسى: ج45، ص51.

رفيع الدرجات، ويسلكون الأشدّ الأسمى مع جواز الأرفق الأسهل، وبهذه النفوس القدسية، والإخلاص الذى لا نظير له فى ساحة الوجود، وبغيرها من عظيم الملكات ارتقوا سُلّم المعالى حيث لا يلحقهم لاحقٌ وقدّمهم الله سبحانه على جميع خلقه وأوجب طاعتهم وجعلهم أولياء الأمور ونصّبهم خلفاء فى أرضه بالاسم والوصف كيلا يعتذر معتذر، ويتهرّب من ساحتهم ولا يتهم منافق.

إنّ المنهج الذى سلكه محمّد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم دفع بقصيرى النظر وناقصى الإيمان إلى الشكّ والتشكيك فى صحّة مسيرتهم وإلى الاعتراض على أوامرهم وأحكامهم.

منها: اعتراض من اعترض على صحّة صلح الحديبيّة(1) حتى واجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم باعتراضاته، ثمّ إنّه صرّح بأنّه قد شكّ فى نبوّة النبىّ فى ذلك اليوم، والشكّ فى نبوّة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم كفر.

ومنها: اعتراض من اعترض على النبىّ فى كتابة كتاب لا تضلّ الأمّة بعده وكان النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فى مرضه الأخير إلى أن بلغ فى اعتراضه على النبىّ ومحاولته فى منعه من كتابة الكتاب أن تفوّه بمحضر جماعة بما يُعدّ شتيمةً للنبىّ الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم(2).

وهناک اعتراضات أخرى مارسها رجال ونساء متعدّدون فى مقابل أحكام

1- النصّ والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين: 147؛ الفصول المهمّة للسيد شرف الدين: ص96؛ المغازى للواقدى: ج1، ص607؛ الفصول المختارة للسيد المرتضى: ص27.

2- معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ج13، ص32، فقد نقل الرواية عن صحيح مسلم؛ وراجع لها أيضا: النص والاجتهاد: ص125.

الكتاب والسنّة تجد بعضاً منها فى كتاب (النصّ والاجتهاد) للسيّد عبد الحسين شرف الدين.

واعتراضات المتقدّمين وغيرهم ممّن أتى بعدهم ممّا لا وجه لها بل فيها دلالة على فقد صاحبها للإيمان أو نقصانه فيه والوجه: أنّه بعد ثبوت عصمة النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم وعصمة أهل بيته وتسديد النبىّ من الله سبحانه، كما أنّ أهل بيته سفن نجاة الأمّة وعِدْلُ القُرآن فى الهداية لا يبقى مجال فى الاعتراض عليهم، وبماذا يعتذر هؤلاء فى مقابل هذه الأدلّة القاطعة للعذر واللجاج، وفى حديث الثقلين وحديث السفينة الدلالة الواضحة على صحّة نهج آل محمّد وأصحيّته على كلّ نهج مهما افترضنا ذلک النهج، وإنّ حكمهم مقبول عند الله تعالى وطريقهم مؤدٍ إلى الجنّة ومن تبعهم فهو مرضىّ عند الله تعالى ومن الفائزين بالجنّة ومن الناجين من النار بخلاف نهج غيرهم.

على أنّنا نعتقد، ـــ والحديثان دالاّن ـــ إنّ طريق محمّد وآل محمّد، ونهجهم، وحكمهم، هو الصحيح وغيرهم ضلال، ومتّبع محمّد وآل محمّد إلى الجنّة، ومتّبع غيرهم إلى النار، كائناً من كان.

ثم إنّ من يتأمّل فى الكتاب والسّنّة يعثر على وجه ما كان يصدر من المعصومين والسرّ فيه، هذا ـــ مثلاً ـــ أمير المؤمنين يُبيِّن الظرف السائد فى أيّامه والذى أثّر التأثير المهمّ فى مسيرة حكمه:

«أفسدتم علىّ رأيى بالعصيان، حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبى طالب رجلٌ شجاع ولكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مِراساً، وأقدم فيها مقاماً منّى، لقد نهضت فيها وما بلغتُ العشرين، وها أنذا قد ذَرّفتُ على الستّين، ولكن لا رأى لِمَن لا يُطاع»(1).

كما بيّن الإمام الحسن وجه صلحه مع معاوية لمن اعترض عليه وأساء القول له(2).

وبيّن سيِّد الشهداء وجه حركته المقدّسة لجمع اعترضوا عليه وحاولوا ثنيه(3) عن مسيرته بدعوى غدر أهل الكوفة ـــ وهو أدرى منهم بهذا وأشدّ معاناة لها حين كان بصحبة أبيه الوصىّ وأخيه المجتبى حتّى بلغ الأمر أن سلّم أخوه السبط مقاليد الخلافة لابن آكلة الأكباد مؤسّس الملك العضوض ـــ .

وهكذا كان دأب الأئمّة ـــ عليهم الصلاة والسلام ـــ فى بيان ظروفهم ووجه ما يصدر عنهم لشيعتهم وغيرهم، مع موقعهم فى الإسلام وخلافتهم لله ورسوله فى الأرض ووجوب طاعتهم على الأمّة كلّها ـــ بلا استثناء ـــ بنصّ الكتاب والسنّة.

وقد صدر عن مهدى آل محمّد من بيان وجه غيبته ـــ ممّا يجرى فى نفس سياق دأب الأئمّة عليهم السلام فى توضيح بعض أوجه حركتهم وأحكامهم للأمّة بما يقطع دابر الشبهة والفتنة ويُعين المؤمنين فى تثبيت عقائدهم الدينية ـــ .

فعنه روحى له الفداء:

«وأمّا علّة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول:

1- نهج البلاغة للسيد الرضى: الخطبة 27.

2- مسند الإمام المجتبى عليه السلام للشيخ عزيز الله العطاردى: ص383 ـــ 384.

3- معالم المدرستين للسيد مرتضى العسكرى: ج3، ص56؛ الملهوف للسيد ابن طاوس: ص132.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...))(1).

إنّه لم يكن أحدٌ من آبائی إلاّ وقد وقعت فی عنقه بیعة لطاغیة زمانه وإنّی أخرج حین أخرج ولا بیعة لأحدٍ من الطواغیت فی عُنقی.

وأمّا وجه الانتفاع بی فی غیبتی، فکالانتفاع بالشمس إذا غیّبتها عن الأبصار السحاب، وإنّی لأمان لأهل الأرض، کما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا یعنیکم، ولا تتکلّفوا علم ما قد کُفیتم، وأکثروا الدعاء بتعجیل الفرج فإنّ ذلک فرجکم»(2).

مناقشة التساؤلات:

اعتراضنا علی المقالة الأولی:

أ ـــ أنّه استعمل کلماتٍ لیس من المناسب استعمالها مع بطل الإسلام مسلم رضوان الله تعالی علیه، بل قد یُعدّ فی استعمالها نوع إهانة لشخصه الکریم مثل: راهن، تذرّعه.

ب ـــ صیاغة بعض الجمل بشکل تؤدّی معنیً غیر مناسب بحقّ مسلم وإن لم یکن هذا فی آحاد الکلمات المستعملة فی الجملة مثل (إحباط مجهودات الحسین، تعریضهم لأسوأ عملیة غدر).

ج ـــ یظهر من خلال کلام الکاتب أنّه یحکم علی مسلم رضی الله عنه من خلال النتائج الحاصلة عن حرکته، والأمور لا تُقاس بنتائجها عند الحکم علی

1- سورة المائدة، الآیة: 101.

2- الاحتجاج للشیخ الطبرسی: ج2، ص544.

قادتها ومسيّرى دفّ_تها.

إذ على المرء أن يعمل بتكليفه الشرعى أوّلاً وبحسب معطيات الحالة التى أمامه، وبحسب إمكانياته، كلّ هذا مشفوعٌ بقدرته وكفاءته وإخلاصه، وأمّا النتائج فلا يستطيع امرؤٌ ـــ غير المعصوم عليه السلام ـــ من استكشافها.

ومسلم قام بضبط حركته على وفق إمكانياته وبعد دراسة الواقع الخارجى ضبطاً جيّداً ثمّ حصل ما لم يكن بالحسبان، وفلت الزمام، فما وجه الملامة عليه؟

ومن يُعِدْ قراءة خارطة الأحداث ويدرس الأوضاع بتأمّل يرَ ويطمئن إلى أنّ مسلماً أدّى ما عليه واقعاً ولو كان أىّ أحدٍ مكانه ـــ باستثناء المعصوم ـــ لما صنع أكثر ممّا صنعه مسلم، ويؤيّد هذا بعدم ورود أيّة رواية مهما كان ضعفها فى نسبة شائبة تقصير إلى مسلم.

أمّا أنّه لم يعتمد خطّة دقيقة للمحافظة على تماسك أنصاره: فما الداعى إلى خطّة للمحافظة على أنصار كاتبوا الإمام السبط لأكثر من عشر سنوات معاهديه على النصرة ومستغيثين به، ومؤكّدين مواثيقهم وعهودهم بما لا يقبل النقض على أنّ البلاء الذى يستغيثون منه هو ما أحاط بهم لا ـ بأهل البيت بالخصوص ومن السلطة الأموية الكافرة نفسها، وقد أرسلوا زعماءهم وخاصّتهم إلى حيث مقرّ الإمام فى المدينة حاملين للرسائل ومؤكّدين لصحّة مضامينها، ثمّ أرسل الإمام إليهم مسلماً يستطلع الأوضاع فرأى الحال كما كُتِبَ للإمام وأكثر، ومن بَعْدُ أخذ مسلم عليهم البيعة فأعطوها والسلطة قائمة والوالى الأموى يحكم الكوفة فما توقّفوا ولا تهيّبوا، ثمّ إنّه جرّد منهم آلافاً زوّدهم بالسلاح وأحاط بهم مقرّه

ككتائب خاصّة، وارتكز مسلم فى وجوده إلى أعظم الزعماء من رجالات الكوفة، إذ استقرّ أوّلاً فى دار المختار، ثمّ تحوّل مستتراً إلى دار هانئ والثانى منهما أمره نافذ عند آلاف الفرسان يطيعونه على كلّ حال لبواعث قبليّة، فأىّ خطّة مع هذا الإحكام كلّه؟!

د ـــ وحول:

(1) رفض مسلم لاغتيال ابن زياد.

(2) وأنّه قد تذرّع بالقيم والمبادئ.

(3) ووضع المعروف فى غير أهله.

(4) وأضرّ بنفسه ومهّد لنهايته المأساوية.

(5) وأحبط مجهودات الحسين وأصحابه وعرّضهم لأسوأ عملية غدر.

وختم الكاتب كلامه: بأنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أىّ منهج مثالى، والشجاعة وحدها لم تكن لتكفى،ـــ انتهى مجمل كلامه ـــ.

فلا ينقضى عجبى من طرح الكاتب، صياغةً وفكرة، أمّا الصياغة فواضح عليها الإساءة وعدم التأمّل فى كيفيّة اختيار الكلمات، وكيفيّة صياغة الجمل، بالطريقة الأنسب التى فيها إيضاح الفكرة بدون الخروج عن موازين البحث والدراسات العلمية.

كيف يُعبّر عن بيان مسلم ـــ رضوان الله تعالى عليه ـــ للسبب الذى دعاه إلى التوقّف فى الفتك بابن زياد بأنّه تذرّعٌ.

أفكان مسلم يتهرّب من مخاطبيه ويفتعل لهم الحجج، بدون أن يكون فيها بيّنةٌ ووجهٌ شرعى صحيح يقتضى التوقّف عن اغتيال ابن زياد والفتک به.

المسألة ليست مسألة معروف يوضع فى أهله أو غير أهله، بل هناک حكم شرعى تضمّنه حديث ثابت صدوره عن النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فمع صدوره وثبوت الحكم فى هذا المورد لابدّ من التنفيذ، وأمّا أنّ المستقبل كذا وكذا، فمن يدرى ما يُخبئه المستقبل وعلى أيّة قاعدة نسير وتحت أيّة ضوابط حتّى تكون أعمالنا محقّقة لآمالنا المستقبلية، وعلى الكاتب أن يجيب على هذا السؤال!

إنّ الفرق بين الإنسان المؤمن بالإسلام والمؤمن بالآخرة وبالحساب والعقاب وبين غيره هو عين ما صنعه مسلم، وما يصنعه ابن زياد.

فمسلم يُلاحظ فى حركته مراعاة الضوابط الشرعية والتحرّک على وفق الأمر الإلهى والانتهاء عند نهيه، والالتزام بالقواعد والمبادئ والمُثل الشرعية، ونتائج العمل إنّما تتحدّد بحسب حصول تمام العلل التى لها مدخلية بالعمل، فإذا اختلّت علّة امتنعت النتيجة، ومسلم قام بما ينبغى منه، والخلل فى غيره، وليست نهاية الدرب هنا بل هناک موت وعذاب قبر وقيامة، وعذاب الأبد ـــ جهنّم ـــ إضافة إلى ما لا يُحصى من أنواع العقوبات والعذابات التى يلاقيها العاصى فى مسيرته الوجودية، ولم يُطلب من مسلم إنجاح القضيّة على كلّ حال وكيف اتّفق بل العمل بالميزان الشرعى بحسب متطلّبات الحالة، والباقى أمره بيد الله سبحانه وكلّ من يدّعى غير هذا فليتجنّب الآثار السيّئة لسلوكه الحياتى.

((... وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ...))(1).

مسلم يعمل ضمن قوانين الدين وموازينه، وكلّ من على نهج محمّدٍ وآل محمّد حقيقة فهم على خطّ مسلم وطريق مسلم ومنهاج مسلم يسيّرون دفّة حياتهم ويبنون لآخرتهم.

ومن العجيب قوله: إنّ المواجهات العنيفة والمصيرية لا تحتمل أىّ منهج مثالى.

فلِمَ نقاتلهم إذن؟ نقاتلهم لتطبيق أحكام الإسلام وتنفيذ أوامر الله وعلى هذا اختلفنا معهم وجاء مسلم ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فما هو المعروف والمنكر؟

هما ما جاء به النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ربّه جلّ وعلا من أوامر ونواهٍ فإذا خالفها مسلم فما الفرق بين المنهجين يا تُرى؟

أوليس قد ترک أمير المؤمنين ـــ من قبل ـــ ابن ملجم وهو يعلم أنّه قاتله؟ بل ذكر هذا لبعض المقرّبين منه.

أو ليس كلّ المنافقين الذين دخلوا فى الإسلام خوفاً أو طمعاً ومنهم أبو سفيان ومعاوية كان بسماحٍ من النبىّ وبِغَضّ منه وهم الذين فعلوا الأفاعيل بالإسلام وبذرّية النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم فلِمَ سمح لهم النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الفرصة؟

ساحة الحياة الدنيا، ساحة اختبار وكشف لمعادن الناس وفيها يتبيّن ويتميّز

1- سورة الأعراف، الآية: 188.

التبر من التراب، والحرب سجال بين الحقّ والباطل منذ آدم عليه السلام إلى يوم الناس هذا وحتّى ظهور منقذ البشرية، فتحليل قضيّة مسلم وحركته، بهذا اللون من البيان فيه جناية على مسلم وعلى رمز من رموز الإسلام وحركة عظيمة الشأن تميّزت فيها الأشياء، ووضع من خلالها النقاط على الحروف، وأوجدت منعطفاً جديداً فى حياة الأمة من جهة، وفى حياة قادتها الربّانيّين من جهة أخرى؛ إذ دخلت الأمّة فى التيه ولم تخرج بعد منه، وبدأ الأئمّة عليهم الصلاة والسلام نهجاً ثابتاً فى إدارة شأن الأمّة وفى إدارة الصراع مع الطواغيت.

على الوردى:

ومنطق على الوردى أعجب.

أ ـــ فهو يحكم على المقدّمات بحسب نتائجها وقد تقدّم منّا الجواب عن هذه الفقرة.

ب ـــ ويظهر من كلامه أنّه لم يدرس قضيّة مسلم بشكل جيّد بل سمع خطبةً أو قرأ نصّاً وكفى وإلاّ فمتابعة أطراف الموضوع لا تقتضى أن يحكم عليه بأنّه ألقى نفسه فى التهلكة وأنّه لا يهتمّ لنجاح الحركة بل يهتم لنيل الشهادة فقط.

ج ـــ إنّه لا يهتمّ ـــ عند تحليله للحدث ولتحرّك مسلم ـــ للموازين الشرعية ومقدار تأثيرها فى فكر مسلم وسلوكه، بل يقيس عمله بما يقيس به غالب الناس أعمالهم، خصوصاً فى زماننا هذا، أى بملاحظة حسابات الربح والخسارة الآنيّة العاجلة.

د ـــ يقول: فَهُم يثورون ولا يتّخذون فى ثوراتهم سبيل النجاح، وواضح من

التأمّل فی کلام الوردی، مدی ضحالة تحلیله، وجنایته علی مسلم وجهوده، فلو قرأ السیرة وتابع مصادرها وتأمّل فیها لعرف أنّ مسلماً قد أتقن غایة الإتقان عمله فی الکوفة وسعی لسدّ کلّ ثغرة، وجدّ فی أمره، غیر أنّ انهیار الکوفییّن وانسحابهم عنه مع عدم وجود خطر یتهدّدهم فعلاً والحرکة ناجحة مائة بالمائة لو استمرّت فی إمکانیاتها المتوفّرة حتّی مجیء الإمام السبط والتحاق الآلاف التی جاءت معه من مکّة بالحرکة والتحاق بقیّة الکوفییّن والتحاق جیش البصرة ـــ والذی کان فی طریقه إلی الکوفة ـــ وإعلان ابن الزبیر حرکته فی مکّة وأهل المدینة فی المدینة وغیرها من الأمور التی کانت مهیأة أو متوفّرة، لکن ما لیس بالحسبان قد وقع، وفلت الزمام سریعاً، والسبب الوحید: الإشاعات والأراجیف فلا واقع یتهدّد الکوفیین.

ویتّضح من هذا إسفاف الوردی فی قوله ـــ إنّهم ألقوا بأنفسهم إلی التهلکة ـــ ولو عرف مورد الآیة وسبب نزولها ومجال تطبیقها لما استشهد بها.

وقوله: کُتب علیهم الفشل فی کلّ سبیل سلکوه إلاّ سبیل الشهادة؛ فإنّی أجیبه أنّ من یُجاهد ویضحّی فی سبیل دین تعداد نفوس أتباعه الیوم ملیار ونصف من البشر فإنّه لم یکتب علیه الفشل فی کلّ ما سلکه، ومن یعمل ویبلغ أتباع مذهبه وشیعته قرابة المائتی ملیون فلم یکتب علیه الفشل ومن فکرهم وحدیثهم ینتشر یوماً بعد یوم فی کلّ جهات المعمورة حتّی فی أقصی أراضیها فإنّه لم یکتب علیه الفشل ولم یُلقِ بنفسه فی التهلکة، وإنّما الذی ألقی نفسه فی التهلکة من باع دینه وآخرته بمتاع أیّامٍ قلائل ثمّ مات وتبرّأ منه حتّی أهل ملّته

ولاسيما قومه، ثمّ لا أثر لقبره، ولا مأثرة له يُذكر بها إلاّ الخزايا والفضائح.

نحن نفخر بمنهج مسلم الذى هو منهج الإسلام الأصيل، والذى يحوى ضوابط وحدوداً على المرء ألاّ يتعدّاها فهناک ما يجوز فعله دائماً، وهناک ما يجوز فى الضرورات، وهناک ما لا يجوز أبداً، كما أنّ الضرورات لها قانونها أيضاً، فلا تجوز كلّ ضرورة وضمن مساحةٍ مطلقة.

حجر بن عدىّ خيّره معاوية بين سبّ علىٍّ عليه السلام أو ذبحه وذبح ولديه فاختار الذبح لنفسه ولولديه ولم يسبّ عليّاً فهل أنّ حجراً ألقى نفسه فى التهلكة ولم يتّخذ فى عمله سبيل النجاح.

الإسلام والإيمان تشيّد بدم علىّ والحسين صلوات الله عليهما وبدم مسلم ودم حجر وولديه وكلّ من جاهد وأخلص والتزم بحدود الشريعة وضوابطها والنصر من الله سبحانه، وإلاّ فمحمّد وآل محمّد من أقدر الناس على تحقيق ما يأملون لصلتهم بالله سبحانه لكنّ طريق النصر لا يمرّ عبر هذه الطرق وأمثالها.

مناقشة المقالة الثالثة:

ونلمس فى هذه المقالة نفس اللهجة عند التحدّث عن المعصوم عليه السلام وعن مسلم رضى الله عنه ونفس التوجّه الفكرى عند تحليل الأحداث، وكلّها ممّا لا ترقى إلى مستوى الحدث العظيم، ولا تستند إلى الأساس العقائدى المطلوب توفّره قبل التعامل مع النصوص، ولنبيّن مفصّلاً:

أ ـــ إنّ اختيار الإمام لمسلم لم يكن موفقا ـــ:

لقد تحدّثنا عن هذه المسألة فى فصل ـــ اختيار الإمام لمسلم ـــ بل فى ثنايا

مجموعـة من الفصول، ونقول أيضاً: إنّ اختيار الإمام الحسـين عليه السـلام بحكم معصوميّته وعدم إمكانيّة خطئه لدلالة نصوص كثيرة على هذا مرويّة فى كتب الشـيعة والسُنّة ومن أهمّها حديث الثقلين، وحديث السفينة، قائم على قواعد صحيحة ومقتضيات الحكمة ولا شكّ، بل فى خصوص قضـيّة مسـلم فإنّ اختيار الإمام له قائم على ما تقـدّم وعلى واقعيّة كون مسـلم: الرجل المناسب فى الموقع المناسب، وقد دلّ تسـلسل الأحداث على صـحّة هذا الرأى؛ إذ إنّ مسـلماً أتّخذ فى عموم ما مرّ به من أحداث، الموقف الصـحيح، وهذا الموقف إمّا تقتضـيه المصـلحة مع عـدم مخالفته لحكم شـرعىّ، وأمّا موقف مطلوب شـرعاً كعـدم فتكه بابن زياد وهو إنسان متـديّن جاء إلى الكوفة ليقيم قواعد الإسـلام والإيمان فإذا فعل ما نهى عنه الله سـبحانه فقد وقع فى نفس المحذور الذى يُحاربه وهو فعل المنكرات ومخالفة أحكام الشـريعة، وهو تلميـذ على بن أبى طالب والحسن والحسـين، وسـيرة هؤلاء الأئمّـة الثلاثة عليهم السـلام مفعمة بأمثال هذه المواقف والأحداث التى اختاروا فيها رضا الله سـبحانه على فوزٍ معجّل يحصل بطرق غير سـليمة وغير مقبولة ويقتضـيها الغدر، أمّا النتائج فالتوفيق بيد الله سبحانه، وسـيّد الشهداء عليه السلام يقول للفرزدق ـــ وهو فى طريقه إلى العراق ـــ إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجال فلم يتعدّ من كان الحقّ نيّته، والتقوى سريرته.

فليس الباعث لمسـلم على التوقّف فى اتخاذ بعض القرارات أو التمهّل فيها هو ضعف القلب بل التديّن والحكمة، وليس ضعيف القلب من يقدم على مثل

هذه الأمور، وينجح فى جزء كبير منها، ومن يُقاتل المئات وهو فرد وحيد غريب.

نعم، المؤامرة ضخمة، والدولة دموية، والوالى من أمكر الولاة وأشرسهم، وأكثر الناس غَدَرَةٌ خَذَلَة.

أمّا عدم اختيار الإمام لغيره فإنّ هذه مسألة دليلها معها، إذ من اختيار الإمام له نستكشف أفضليّته على غيره ـــ بحكم معصوميّة الإمام عليه السلام المقطوع بها ـــ .

على أنّ محمّد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر كانا مريضين، وابن عبّاس كان بصيراً ـــ أعمى ـــ وليس المطلوب توفّر شرطٍ واحدٍ فى المبعوث لهذه المهمّة المصيرية بل شروط، منها التديّن والإيمان والحكمة والشجاعة والعلم بالأحكام ونحوها من الشروط اللاّزم توفرها لينجح السفير فى تحقيق الهدف الذى يريده الإمام المعصوم ـــ الحسين عليه السلام ـــ.

ولعلّ أهم شرط فى هذه القضية إمكانية انصياع الناس له، وكذلك اعتقاده بإمامة الحسين واستحقاقه لمقام الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكلّ هذه الشروط وغيرها كانت متوفّرة فى مسلم، ولعلّ بعضها لم يكن متوفّراً فى غيره فلا يصلح لهذه المهمّة وإن صَلُحَ لغيرها.

وأمّا عدم اختيار الإمام لغيره من شيوخ بنى هاشم من جهة عدم موافقتهم فهذا الرأى تبرّع من الكاتب إذ لم يرد ـــ تاريخياً ـــ أنّ الإمام عرض هذه المهمّة على أحدٍ من بنى هاشم فرفض، نعم هم أشاروا عليه بعدم التوجّه إلى الكوفة لكنّ هذا شىء وامتناعهم عن الذهاب مع طلب الإمام منهم شىء آخر فدعوى الكاتب لم تقم على دليل بيِّن.

ثمّ أىّ غضاضـةٍ فى أنّ بنى هاشم كانوا شـباباً فهم شـبابيّتهم مانعة من اختيارهم لهذه المهمّات وهذا على بن أبى طالب عيّنه رسول الله ـــ بأمرٍ من الله تعالى ـــ خليفة على كلّ المسلمين من بعده ووصيّاً له وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة أى بقدر عمر أبى الفضل العبّاس رضى الله عنه والذى كان عمره فى معركة الطفّ أربعاً وثلاثين سنة.

أمّا مسلم فكان فى الخامسة والأربعين(1)، وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن أسامة بن زيد وعمره سبعة عشر عاماً قائداً لأعظم جيشٍ إسـلامى ـــ فى العـدد والهـدف إذ المقرّر توجههم لمحاربة الدولة البيزنطيّة ـــ وقد جمع النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى هذا الجيش معظم المسلمين بما فيهم أبو بكر وعمر.

نعم اسـتثنى عليّا صلوات الله عليه، وقد طعن بعض الصحابة ـــ العدول جدّاً ـــ فى تأمير أسامة ـــ مع أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم عيّنه وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى بنصّ القرآن العزيز ـــ إلاّ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم زكّاه من هذه الناحية وأصرّ على أمره المقدّس(2).

وهؤلاء حكّام العالم ـــ قـديماً وحديثاً ـــ فيهم من هو فى العشـرين ومن هو فى الثلاثين وهكذا وقد أداروا دولهم وسـكتت الناس عنهم، فَلِمَ تتحرّك الألسنة

1- فى تنقيح المقال للشيخ المامقانى أن عمر مسلم فى ذلك الوقت كان ثمانياً وعشرين سنة، راجع التنقيح: ج3، ص214.

2- راجع لهذه القضية: النص والاجتهاد للسيد شرف الدين: ص31، فقد نقل هذه القضية عن مصادر العامّة فشكر الله سعيه ونوّر ضريحه.

ضدّ خصص بنى هاشم الذين تلقّوا عقائدهم ودينهم عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم والوصى وسيّدى شباب أهل الجنة عليهم السلام، زعماء الأمّة كلّها وقادتها رغماً عن الكلّ بالنصوص الموجودة فى كتب الكلّ.

ثم مع التسليم بكون عمر مسلمٍ ثمانياً وعشرين سنة فهو غير مؤثر بتاتاً؛ إذ إنّه حين وصل إلى الكوفة استقبله أهلها واخبتوا له وبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، واستمرّوا على هذا الحال حتى ورد ابن زياد الكوفة وبدأت الأمور تنتكس.

وأمّا عدم قتله لابن زياد فقد بحثنا هذا مفصّلا فى فصل خاصّ وبيّنا دواعيه الدينية ـــ للحديث النبوى ـــ أو الاجتماعية، عند طلب هانئ وزوجته، وهم أصحاب الدار التى يسكنها مسلم.

وأمّا أنّ مسلماً لم يكن مقتنعاً بما اسند إليه: فإنّ المرء إذا كان متديّناً فعليه تأدية تكاليفه الدينية سواءٌ أقتنع بها أم لا، خصوصاً إذا كان الأمر صادراً من المعصوم مباشرةً، وموجّهاً إليه بالخصوص، كما هو الحال فى قضيّة مسلم، ومسلم متديّن، وقد قام بما عُهد إليه خير قيام ـــ رضوان الله تعالى عليه وجزاه عن الأمّة كلّها خيرا ـــ وأظهر أشدّ الحرص على إتمامه للمهمّة وفقاً لتوجيهات الإمام وللأحكام الشرعية عموماً، ولم يصدر منه ما هو خلاف الشرع أو ما يُستنكر عليه، ونتائج الأعمال بيد الله سبحانه، وقد حارب النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم بأحُد وانكسر جيشه، كما حارب بحنين وانهزم جُنده والملامة فى الموردين على المنهزمين والمتخاذلين، وما يلحق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الملامة شىء.

والحال فی مسلم کذلک فهو وإن لم یکن معصوماً إلاّ أنّه لم یُخطئ فی خطوةٍ ولو کان أیّ أحدٍ من المؤمنین الخُلّص مکانه لما فعل فی کلّ حدث إلاّ ما صنعه مسلم؛ إذ تصرّفه هو التصرّف الأحسن فی وقته ومن یدّعِ غیر هذا فلیدفع عن نفسه الآثار السیئة لأعماله.

((... وَلَوْ کُنتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لاَسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَمَا مَسَّنِیَ السُّوءُ ...))(1).

ثمّ إنّ اعتراف الباحث بما ذکرناه فی ذیل کلامه دلیل علی عدم صحّة بعض استنتاجاته المتقدّمة.

وأخیراً أقول: الرجاء ممّن یکتب أو یتحدّث عن قادة الأمّة ـــ ولم یکن له غرض سیّئ یدفعه إلی هذا النحو من التحلیل ـــ فلیتّق الله ربّه، ولیخف یوم الحساب، ولیتأکّد من صحّة أدلّته ووجاهة تحلیلاته.

((... فَتَبَیَّنُوا أَن تُصِیبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَی مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِینَ))(2).

وقال تعالی:

((أَن تَقُولَ نَفْسٌ یَا حَسْرَتَی عَلَی مَا فَرَّطتُ فِی جَنبِ اللَّهِ وَإِن کُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِینَ))(3).

1- سورة الأعراف، الآیة: 188.

2- سورة الحجرات، الآیة: 6.

3- سورة الزمر، الآیة: 56.

اختيار الإمام لمسلم

من جملة ما يمكن طرحه من تساؤلات فى إطار قضيّة مسلم رضى الله عنه هو وجه اختيار الإمام له من بين أهل بيته، ودون اختياره لوجه من وجوه الشيعة ممّن له وجاهة وسابقة فى صحبة أو جهاد، والجواب عن هذا التساؤل من خلال حيثيّات:

فيمكن إثبات صلاحيته للمنصب الذى اختاره لأجله الإمام المعصوم عليه السلام، من خلال نفس عملية الاختيار مع ملاحظة الظرف الذى يُحيط بالحسين عليه السلام وقضيّته.

مرّةً، يكون اختيار الإمام شخصاً لمهمّةٍ لا لغرض تحقيق تلك المهمّة وذلک الهدف، بل لأجل غرضٍ آخر يبغيه من خلال هذا التعيين كما ثبت عن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه عيّن بعض الصحابة لمهمّات، ولقيادة جيوش ثمّ عزلهم قبل التنفيذ أو ظهر فشلهم الفظيع فى أداء تلک المهمّات فإنّ الواضح من خلال هذا، أنّ الهدف من التعيين لم يكن لتحقيق ذلک الهدف وإنّما لبيان أنّ هؤلاء لا يصلحون لشىء لقصور قابلياتهم وذاتياتهم عن إمكانية الاعتماد عليهم لشىء.

وقضيّة مسلم لم تكن من هذا القبيل قطعاً، لأنّ الظرف لم يكن ظرف اختبار لكون المرحلة مصيرية فى حياة الإسلام والتشيّع والأمّة.

ولأنّه لا أثر لكشف عدم قابلية مسلم القيادية لعدم ترتّب أثر مستقبلى على هذا الكشف، فمن كلّفه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بتبليغ سورة براءة ـــ مثلاً ـــ وأرجعه قبل أدائه المهمّة، اتّضح حقيقة حاله من خلال الأمر بعزله؛ إذ من لم تكن فيه الجدارة لتبليغ آيات، كيف يؤتمن على الإسلام والأمّة ككلّ، بل كفاءة فيه لهذا بالأولوية.

وكان فى هذا الإيضاح فائدة، لأنّ هؤلاء المعزولين قادوا العالم الإسلامى فيما بعد ورضى بهم بعض الأمة وتلك الحادثة ـــ حادثة العزل ـــ حجّة عليهم.

ومرّة أخرى: يكون التعيين لأجل تحقيق تلك المهمّة وليس من وراء التعيين أىّ هدف امتحانى للأمّة، أو للمعيّن، فلابدّ أن يكون الشخص المعيّن جامعاً للصفات التى يمكن تحقيق ذلك الهدف من خلال تعيينه مع توفّر هذه الصفات فيه.

فإن عُيِّنَ لتحقيق هدف اقتصادى فلابدّ أن تكون له خبرة واسعة فى هذا الميدان وأن تكون له عقلية اقتصادية بحيث يمكن تحقيق الأهداف السامية للأمة فى الحقل الاقتصادى.

وإن عُيّن فى الحقل السياسى فلابدّ أن يكون جديراً بتحمّل هذه المسؤولية وله من الكفاءات فى هذا الميدان ما يُرجى تذليل الصعاب به وهكذا إن عُيّن فى الجانب العسكرى، أو الاجتماعى، أو التربوى.

وخلاصة القول: إنّه لابدّ أن يكون حائزاً ـــ فى الأقلّ ـــ على الكفاءات المطلوبة فى الميدان المعيّن فيه وإن لم يكن هو أفضل الناس من كلّ جانب، وهذا الرأى يلتزمه السيّد الخوئى رحمه الله فى أبحاثه الرجالية حيث يبحث دلالة توكيل الإمام لرجل فى مهمّة معيّنة فهل التوكيل دالّ على جلالته ورفعة شأنه، أو وثاقته ـــ فى الأقلّ ـــ أم لا تدلّ الوكالة على شىء من هذا بل غاية ما تدلّ عليه كفاءته فى المهمّة المعيّن لها، ولهذا المُلتزم شواهد عديدة، والمختار عنده هو الدلالة على ما لابدّ من توفّره فيه لأجل أدائه المهمّة الملقاة على عاتقه غير أنّ دلالة تنصيب مسلم لهذه المهمّة لها شأن آخر مختلف تماماً عن الحيثيتين المتقدّمتين(1).

فخصوصيّة قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام وظرفه لا تسمحان أبداً باختيار مبعوثٍ وفقاً لإحدى تينك الحيثيتين، بل لابدّ من توفّر صفات عالية فريدة فى المكلّف لهذه المهمّة.

أمّا اختياره من بين بنى هاشم، فإنّ جمعاً من هذه العائلة المباركة كانت تعوقه أسبابه الخاصّة عن دخوله فى حيّز إمكانية اختياره.

فمن بين شيبةٍ فاقد للبصر كابن عبّاس، أو مريض كمحمّد بن الحنفية وعبد الله بن جعفر، أو صغير السنّ لا تكاد تنصاع له الأمّة وتلقى بزمامها بين يديه ومنهم من لا يحمل تلك العقيدة الإيمانية المطلوبة للتعامل مع الإمام الحسين كإمام معصوم خليفة لرسول الله بتنصيب من الله سبحانه فهو واجب الطاعة مطلقاً ـــ

1- معجم رجال الحديث للسيد الخوئى: ج1، ص75؛ وراجع بحوث فى فقه الرجال وهو محاضرات للسيد على الفانى الاصفهانى: ص136، حول الوكالة فى الأمور المهمّة والخطيرة.

والموقف يتطلّب من يحمل بين جوانحه هذا المعتقد بمرتبةٍ عالية ـــ كما أنّ هناک من فيه خصوصية تقتضى إبقاءه مع الإمام کأبى الفضل العبّاس.

وأمّا اختياره دون الصحابة والوجهاء فإنّ مسلماً من البيت الهاشمى وکلّما کان المندوب من سلالة هذا البيت الطاهر، کان تأثيره فى تحقيق الهدف أسرع وأوقع وقد عرفنا کم من ثورة وقعت عبر التاريخ وهزّت عروش الطواغيت من زمن بنى أميّة إلى يومنا هذا، کان من أسباب قوّة تأثيرها کون قائدها سيّداً منتسباً للبيت الهاشمى، وممّا عاصرناه الثورة الإسلامية فى إيران التى قادها الإمام السيّد الخمينى رحمه الله، وکان العراقيّون يعبّرون عن الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدولة السادة، وکذا تأثير هذا الأمر فى الانتفاضة الشعبانية المبارکة سنة 1991م فى العراق حيث کان للسادة العراقيّين حضورهم فى هذه الانتفاضة وحتّى تيقّنت الحکومة الصدّامية من تأثير هذه الشريحة فى الشعب والانتفاضة لدرجة تحدُّث صحافتهم عن هذا الجانب.

وهذا الأمر لا يمکن إنکار آثاره لکثرة شواهده ووضوحه حتّى فى مناطق غير الشيعة الإمامية.

والعرب بالخصوص يتفهّمون أمر اختيار المندوب من عائلة المنتدب ويولونه أهمّية أکثر ممّا لو کان المبعوث من غير عائلته ولعلّ الأمر أوسع من دائرة العرب، فإنّ عموم المجتمعات تندفع لاحترام من ينتسب إلى من يقدّسونه ويعظّمونه کما يشمئزون ممّن ينتسب إلى من يعادونه ويبغضونه.

نعم، الأوحدى لا يتأثّر بهذا، بل يأخذ بمقاييس الشرع والعقل فى هذا الأمر

وسواه ـــ وقليل ما هم ـــ .

هذا كلّه مع عدم ملاحظة الصفات الخاصّة المتوفّرة فى شخص مسلم رضى الله عنه ومع عدم ملاحظة الصفات اللاّزم توفّرها فى مبعوث الإمام عليه السلام لهذه القضيّة وفى هذه الظروف بالذات.

فقد دلّ اختيار الإمام المعصوم عليه السلام لمسلم رضى الله عنه لأجل تحمّل أعباء السفارة إلى أهل الكوفة فى ذلک الظرف العصيب، على ملكات وخصال عظيمة ونادرة توفّرت فى هذا الهاشمى الربّانى، وهذا أيضاً ما فهمه الشيخ محمد حسين الأصفهانى وصاغ فهمه فى أبيات جليلة تجدها فى أرجوزته(1)، وكذا الذى فهمه الشيخ المامقانى وذكره فى تنقيحه(2)، لم تكن خصال مسلم ومزاياه الفريدة لتبرز واضحة ومعلنة عن رفعة صاحبها وجلالته لولا تلک السفارة الميمونة، على الرغم من كثرة بنى هاشم وتوفّرهم بمحضر الإمام عليه السلام وتأهّل جملة منهم لأمثال هذا المقام وللمراتب الرفيعة.

فالسفارة فى ذلک الظرف العصيب من عمر الإسلام والأمّة وأهل البيت من أصعب المهام وأعسرها لاسيما إلى ذلک المجتمع الكوفى الذى عانى أمير المؤمنين عليه السلام منه الكثير؛ إذ جاهد عليه السلام لنيل طواعيتهم له، وائتمارهم بأوامره ونواهيه، ولترسيخ مكارم الخصال فيهم ومنها التصبّر على القتال والجلاد.

ولطالما اشتكى أمير المؤمنين عليه السلام تكاسلهم وتقاعسهم وتواكلهم،

1- الأنوار القدسية: ص136، وما بعدها.

2- تنقيح المقال للشيخ عبد الله المامقانى: ج3، ص214.

وهو مَنْ هُوَ فی الصبر والحلم وسعة الصدر.

وأدّی التواکل والتمرّد المتواصل لأهل الکوفة علی أوامر الإمام الوصی إلی أسوأ النتائج وأفدح الخسائر حتّی قال لهم الإمام علیه السلام:

«أفسدتم علیّ رأیی بالعصیان والخذلان حتّی لقد قالت قریش: إنّ ابن أبی طالب رجلٌ شجاع ولکن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدّ لها مِراساً وأقدم فیها مقاماً منّی، لقد نهضت فیها وما بلغت العشرین، وها أنا ذا قد ذرّفت علی الستّین ولکن لا رأی لمن لا یُطاع»(1).

وورد فیهم غیر هذا کثیر، بل اشتهر عنهم الغدر والخذلان فکم من حرکة ثوریة اعتمد قائدها علی نصرة أهل الکوفة وإسنادهم فبایعوه وأعطوه العهد والمیثاق ثمّ غدروا به وخذلوه وفرّوا إلی مأمنهم أو أسندوا عدوّه فی مکافحته.

مثل هذه البلدة تحتاج لسفیر وقائد ذی خصائص استثنائیة، یتمکّن ممّا لا یتمکّن منه غیره بما یمتلکه من سعة صدر وبُعد نظر ومعرفة بطبائع المجتمع ویمتلک العلم والحزم إلی غیرها من الصفات المساعدة له فی مثل هذه الحالة.

لقد کشف مسار الأحداث فیما بعد أنّ الإمام الحسین علیه السلام قد اختار الرجل المناسب لهذه المهمّة الشاقّة العسیرة فقد ظهر منه معتقد عظیم بالإمام وإخلاص ونزاهة وتفانٍ فی جنب الله سبحانه وفدائیة قلیلة النظیر.

سیرته فی الکوفة تدلّ علی دیانة عظیمة تؤکّد علی أنّها ممّا لا مثیل لها فی تلک الأیام وفی مثل ذلک الظرف مکاناً وزماناً.

1- نهج البلاغة للسید الرضی: الخطبة 27.

ومع أنّ الظاهر من بعض المصادر، أنّ تكليف الإمام له مقتصر على استعلام الموقف الحقيقى للكوفيّين والكتابة إلى الإمام عليه السلام بصورة ذلک الواقع مع أخذ البيعة منهم للإمام، ويعجّل.

غير أنّه لم يتوقّف عند حدود هذا التكليف بل مضى أبعد من هذا بكثير بما أدّى به من تكليف كمؤمن يشعر بالمسؤولية تجاه الأحداث الجسام الجارية فى هذا البلد، ويسعى فى إبراء ذمته أمام المولى سبحانه وينصح لإمامه جُهْدَه، كما قام بالتصدّى لما يصطلح عليه فى زماننا بالأمور الحسبيّة وهى الأمور التى تتطلّب موقفاً محدّداً غير أنّه لم يُعلم توجّه التكليف به إلى شخص ما فإنّ مسلماً سعى بكلّ جهده ليكون فى مستوى الحدث فهو يدفع بالأمور إلى اتجاه المحافظة على الوضع الذى يهيئ الأجواء للإمام ويُنجح له سعيه، أمّا أنّ بعض سعيه لم تتحقّق به النتائج فهذا شىء لا يعود ملامته عليه فالمرء عليه أداء تكليفه وليس عليه استحصال النتائج الملائمة فإنّ النتيجة تتحقّق تبعاً لتحقّق أجزاء العلّة كلّها والجزء الذى أمره بيد مسلم قد حصل وبقى ما على غيره والآخرون نكلوا وخذلوا.

الواقع أنّه لم يمكن أمامه أن يفعل أكثر ممّا قام به وأنجزه وقد أدّى ما عليه، وليس على المرء أن يوفّق فى مسعاه ويحقّق بل عليه السعى النزيه فى حدود تكليفه وقدراته، والنجاح إنّما يتنجّز بمطاولة وتحقّق بقيّة الأسباب، ومنها: وفاء أهل الكوفة بوعودهم وصدقتهم فيما عاهدوا الإمام ومسلماً عليه، ولو حصل هذا لكنّا اليوم نعيش فى كنف دول آل محمّد، استمراراً لحال أجدادنا، وستؤول منّا إلى أبنائنا.

ما ظهر من مسلم ضمن دائرة أحداث الطفّ من سلوک دلّ على ديانة وورع، دلّ على التزام بأحكام الإسلام مهما كانت النتائج ولعلّ من أعظم الشواهد على ذلک توقّفه عن قتل ابن زياد مع شدّة حاجة القضية الحسينية إلى التخلّص من هذا الشخص الذى لا يحوى إهابه غير الخسّة والجريمة والإلحاد.

وقد أضحى مسلم بسلوكه هذا مصداقاً لقول عمّه أمير المؤمنين عليه السلام):

«قد يرى الحُوّل القلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له فى الدين»(1).

الإسلام يريد القائد الكفوء للمهمّة التى يُكلَّف بها فضلاً عن ديانته وتقواه وبذا قامت دولة الإسلام المرضيّة.

كفاءة وديانة.

وهما متوفّرتان بنسبةٍ عالية جدّاً فى مسلم، فضلاً على صفات أخرى يعزّ اجتماعها فى واحد قد اجتمعت فى مسلم.

أمّا النجاح فى المهمّة فهو موكول إلى الربّ الجليل.

1- نهج البلاغة للسيد الرضى: الخطبة 14.

مسلم يُعلن هدف الثورة الحسينية

قال مسـلم بن عقيل رائد الشهادة فى ثورة الإمام الحسين عليه السلام العظمى، جواباً لابن زياد لمّا سأله عن علّة مجيئه للكوفة وبعدما اتّهمه بتشتيت أمر أهلها وتفريق كلمتهم:

(مـا لهـذا أتيت، ولكنّكم أظهرتم المنكر، ودفنتم المعروف، وتـأمّرتم على النـاس بغير رضـىً منهم وحملتموهم على غير مـا أمركم به الله وعملتم فيهم بأعمال كسـرى وقيصـر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسّنّة، وكنّا أهل ذلک كما أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله)(1).

هكذا لخّص مسلم قضية الحسين، ومشكلة الأمّة، فى مقرّ الحكم، أمام الطاغية، وجهاز حكمه، وقادة جنده.

نحن نريد الإسلام، نريد تطبيق القرآن، لم نَهْدِم مُلک كِسرى وقيصر، ليظهر من المجتمع الإسلامى كسرى وقيصر.

1- الملهوف للسيد ابن طاوس: ص122.

نريد الإسلام والقرآن، وتحكيم إرادة الله سبحانه وتشريعاته فى الأرض والناس عبيدٌ لله، عليهم إطاعة الله سبحانه والانصياع لأوامره مطلقاً، وعلى الآخرين استحصال رضا الأمّة فى الأمور التى يرجع أمر الاختيار فيها إليها، ومن يتمرّد، يُنهَ ويُدافع، وأحقّ من قام بالأمر والنهى، ذريّة رسول الله، وحَمَلة علمه، وأولياء الأمور بعده، وأعمل الناس بشريعته، من هم مهوى الأفئدة، وملجأ المستغيث، وقد ضجّت إليهم الأمّة وعجّت، إذ طال عليها ليلها، وآن الأوان لإيقاف الانهيار والدمار.

لقد واجه مسلم الطغاة بشجاعة مكتسبة عن أهل البيت النبوىّ، واجههم وبينه وبين الموت شعرة، لم يخنع، ولم يتنازل، ولم يعتذر، بل صرّح بالظلامة أمامهم ونقل إليهم موقف أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

بِمَ أجاب ابن زياد مسلماً؟

أ ـــ واجهه بالشتيمة والسباب.

ب ـــ أوعده أن يقتله قتلةً لم يُقتلها أحد فى الإسلام.

ج ـــ واجهه بالافتراء وتلويث السمعة وسقط الكلام.

إناءٌ ينضح بما فيه.

لا تجد له كلمة شرف، ولا خصلة كريمة، ولا تصرّف ينمّ عن طهارة ذات، واستقامة فكر، وانتماء إلى مبدأ شريف.

ما زالت كلّ الأمم تعظّم أهل بيت قائدها وزعيمها وصانع تأريخها وذاتها،

ومَنْ فی ساحـة الوجود أعظم من رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم الـذی وصل لنا حبلاً بالله سـبحانه بجهوده وتضـحیاته وإخلاصـه وجعل دنیانا دار کرامة قبل أخرانا ونشـر فینا الفضائل والکرائم ومیّزنا علی أمم الأرض بکلّ خصـلة حسنة وإلی یوم الناس هذا، لیس من أمّةٍ فی الأرض کالأمّة الإسلامیة فی جوانب حُسنها، وحتّی حینما تدهورت لم تبلغ فی مجالات کثیرة ما بلغته الأمم من سقوط.

مَنْ فی ساحـة الوجود أعظم من رسول الله، فمن أجـدر من أهل بیته بالتکریم والتعظیم وبالرعایة والالتفات، إذ هم علی نهجه، وحملة لوائه ألیس لهم حقّ التعبیر عن رأیهم، ألیس ـــ لمقام تمیّزهم ـــ لرأیهم تمیّز وتقدّم علی آراء غیرهم.

آل النبیّ الذین قال صلی الله علیه وآله وسلم فی حقّهم:

«إنّی تارکٌ فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی، فإن تمسّکتم بهما لن تضلّوا من بعدی»(1).

1- نفحـات الأزهار للسـید علی المیلانی: ج1، ص347؛ وقـد تعرّض لمصادر حـدیث الثقلین فی کتب العامّـة جمع منهم السـید علی المیلانی فی کتابه نفحات الأزهار حیث خصّ ص له مجلّداتٍ ثلاثة، والسـید مرتضی الفیروز آبادی فی فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ج2، ص43؛ والأـمینی فی الغـدیر: ج3، ص118؛ وسـلطان الواعظین فی لیـالی بیشاور: ص170؛ وقـد عـدّ محقق الکتاب فی هامش: ص115، بعض المصادر السّـنّیة التی نقلته وهاک أسـماءها: مسـند أحمد، صحیح مسلم، صحیح الترمذی، المنمّقات لمحمّد البغدادی، الطبقات الکبری لابن سـعد، المطالب العالیـة لابن مخلّد، إحیاء المیّت، الأناقة، البدور السائرة، الدرّ المنثور، سـنن الدارمی، حلیة الأولیاء إلی تمام 66 مصـدر وقـال فی ختـام کلامه: هـذا قلیلٌ من کثیر، وذکره سـلیمان الحنفی القنـدوزی فی ینابیع المودّة: ج1، ص95؛ ونقل مصادره العامیّة أیضاً السید الخوئی فی البیان: ص501؛ وراجع مائة منقبة لابن شاذان: ص140.

أهكذا تتعامل ساسة الأمّة معهم، أهكذا تُعرِض الأمّة عنهم وعن أقوالهم وسيرتهم؟!

لقد بلّغ مسلم موقفهم إلى الأمة وإلى السلطة فى موقفٍ يُرهب صناديد الرجال، ويُدهشهم.

لقد أدّى مسلم كلّ ما عليه ووفى لإمامه ودينه وأمّته.

فَلَمْ يَقُم هذا القائد الهاشمى العظيم بإبلاغ رسالة الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة وينقل صورة الأوضاع إلى سيّد الشهداء عليه السلام فقط.

لم يحصر نفسه ضمن حدود السفارة المباركة، إذ السفير من يحمل رأياً أو رسالة يبلغها إلى الطرف الثانى، ومن تمامية مهمّته استطلاع رأى الطرف الثانى وموقفه لإبلاغه إلى مُرسله.

لم يقصر مسلم نفسه على هذا العمل، بل قام بمهمّات شاقّة فى تلك المنطقة الحسّاسة من نواحى العالم الإسلامى تزخر بمتناقضات المواقف والآراء والأحداث وتعيش تقلّبات مبدئية وعقيدية وسياسية بشكل دائم وسريع بحكم الأحداث الجسام التى تموج بها وتذهل أهلها لتطلّبها الموقف الحازم السريع.

ومسلم فرع من شجرة متجذّرة فى وادى المكارم، وباسقة إلى عنان السماء فى جميع امتداداتها.

فهو من أبى طالب جدّه العظيم؛ إلى آدم، معروف النسب والمكارم.

ووالده عقيل تاريخه حافل ومشهور.

والأجواء التى تحيط به أجواء النبوّة والإمامة، وأكرِم بها وكفى! فهى دالّة على توفّر كلّ شيم الخير وكلّ موادّ السعادة الأبدية فى هذا المحيط.

ولذلک حينما نقرأ سـيرته من جهة صـفاته الميمونة، نجد دقائق فى سـيرته تجدّد له رفعةً وتثير فينا غبطةً أنْ اشتملت هذه الشخصية الكريمة على أرفع المكارم ولم تهمل التفاصيل الدقيقة.

وشأن مثل هذه الشخصية ـــ دائماً وأبداً ـــ التقديس عند سُلاّک الطريق الإلهى، والإهمال عند أهل الدنيا وعبّاد السلطة والوجاهات.

أهداف حركة مسلم

لا ريب أنّ هـدف مسـلم من حركته ونهضـته، هو نفس الهدف من وراء حركة الإمام سـيّد الشـهداء عليه السـلام تقريباً لتبعيّة حركته لحركة الإمام عليه السلام.

ولتوفّر الدواعى لذكر هذه الأهداف هنا نُجمل ذكر بعضـها تاركين الاسـتقصاء والتوسّع لكتابنا حول الثورة الأصل ـــ ثورة الإمام الحسـين عليه السلام ـــ.

أ ـــ إزاحة بنى أميّة على نحو الحصر والتعيين عن سدّة الحكم فى الدولة الإسلامية، لخصوصيتهم فى ريادة الكفر والكيد للإسلام، ولتجذّر الكفر والشرك فى نفوسهم، وهم فى العداوة للإسلام وأهله كالنار تحت الرماد، فمتى تتهيّأ لهم الظروف المناسبة يدمرون كلّ شىء ويوهون كلّ بناء، وقـد فعلوا كلّ ما وصـلت إليه يـد قدرتهم من حين تولّيهم السـلطة، وقد ابتدأت سـلطة بنى أمية بتولّى عثمان للخلافة، كما ابتدأت سلطة معاوية بتولّيه لحكم الشام بتنصـيب من عمر، وما توقّفوا فيه، فإنّما للعجز عنه أو لعدم الالتفات إليه، وأحد أسـباب عجزهم، المواجهة الدموية الهائلة التى واجههم بها الإمام الوصـى علىّ أمير المؤمنين وسـبطا رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم الحسن والحسـين عليهم السلام وبقيّة الأئمّة

أيّام خلافتهم ـــ السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، وقد سار على نهج هؤلاء الأئمّة وتأثّر بتوجيهاتهم من ذريّتهم وشيعتهم ـــ.

وهناک من قاوم بنى أميّة وإن لم يكن من تيّار أهل البيت إلاّ أنّه تأثّر بنهجهم فى كيفيّة إدارة الصراع مع بنى أميّة، إذ استوعب الدرس من أهل البيت فى أنّ بنى أميّة لا يفهمون غير لغة السيف، إذ لا يحملون بين جوانحهم غير فكر الجاهلية وهمومها، وأين هم من أهداف الأنبياء والربّانيّين.

لقد كسر الأئمّة الأبرار ـــ الخلفاء الحقّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـــ طوق الرعب الذى ضربه بنو أميّة حول الأمّة التى أصابها الهلع والتذبذب والتحيّر، فالأمّة التى حاربت مع النبى على التنزيل، بدأت تحارب مع الوصىّ وخلفائه على التأويل(1)، فالقرآن والكعبة والصلاة وأحكام الإسلام باقية بأسمائها دون محتواها، قد أفرغ آل أميّة تلک الحقائق من الهدف الذى شرّعت لأجله وتركوا الأمّة تحمل اسم الإسلام دون مضمونه.

الأمّة تمرّدت على الأصنام وعلى زعماء مكّة لأجل الله، ثمّ عادت تخنع تحت نفس أولئک الزعماء بنفس الأفكار والمحتوى غير أنّ المظاهر بقيت مظاهر إسلامية.

انظر إلى هذه المحاورة بين معاوية وابن عباس:

يقول معاوية ـــ بعد كلام تقدّم منه ـــ : فإنّا قد كتبنا فى الآفاق ننهى عن ذكر مناقب علىّ وأهل بيته فكُفّ لسانک.

1- راجع مصادر الحديث النبوى فى أنّ عليّاً عليه السلام يقاتل على التأويل كما قاتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على التنزيل؛ فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروزآبادى: ج2، ص349.

فقال: يا معاوية، أتنهانا عن قراءة القرآن؟

قال: لا.

قال: أفتنهانا عن تأويله؟

قال: نعم.

قال: فنقرؤه ولا نسأل عمّا عنى الله به؟

ثمّ قال ـــ ابن عبّاس ـــ: فأيّهما أوجب علينا، قراءته أو العمل به؟

قال: العمل به.

قال: فكيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله به؟

قال ـــ معاوية ـــ: سَلْ عن ذلک من يتأوّل على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتک.

قال: إنّما أنزل الله القرآن على أهل بيتى، أفأسأل عنه آل أبى سفيان؟ يا معاوية، أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام، فإن لم تسأل الأمّة عن ذلک حتّى تعلم تهلک وتختلف.

قال: اقرؤوا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً ممّا أنزل الله فيكم، وارووا ما سوى ذلک.

قال: فإنّ الله يقول فى القرآن:

((يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))(1).

1- سورة التوبة، الآية: 32.

قال: يا ابن عبّاس، إربع على نفسک، وكُفّ لسانک، وإن كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلک سرّاً، لا يَسْمعه أحدٌ علانية(1).

هذا مثال والأمثلة لا تُعدّ ولا تُحصى على نهج بنى أميّة مع الأمّة.

إنّ هدف إزاحة بنى أميّة بالخصوص له ما يبرّره؛ لأنّ أيّة فئةٍ تحكم فإنّما تريد الحكم لشهوة الحكم ولنيل المِتع والامتيازات التى يوفّرها لهم، وبنو أميّة يريدون الحكم لهذا وزيادة، والزيادة هى هدم الإسلام وتحطيمه وإزاحة قوانينه من دائرة التنفيذ وإعادتها جاهلية فكراً وسلوكاً مع لزوم الإبقاء على هذه الدولة المترامية الأطراف بل والسعى لتوسعتها، إذ أصبحت هذه الدولة هى الدولة الأموية لا الدولة المحمّدية الإسلامية فهى تحقّق أهداف بنى أميّة وتبنى أمجادهم وتوفّر الرفاهية لهم ولأولادهم ومن يُحسب عليهم، فكلّ شىء لم يفعله فروع الشجرة الملعونة فى القرآن فلأنّهم لم يجدوا ثغرة ينفذوا من خلالها لتحقيقه، وإلاّ فهم لم يتركوا حجراً على حجر فى الجملة، والتواريخ المدوّنة فى أيّامهم ومن أتباعهم تصرخ بجرائمهم التى لا تُعدّ ولا تنتهى، ولو أردنا تسجيل جرائم معاوية وحده لما تمكّنا من حصرها فكيف بمجموعهم.

2 ـــ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

فإنّ المَلِک الأموى، والولاة الذين يحكمون طبق أوامره وتوجيهاته ويزيدون عليها ـــ لأنّهم يعلمون هدفه ورغباته فيسارعون فى التزلّف إليه بفعلها وهذه تعدّ بنظرهم فطانة وشطارة ـــ قد ملأوا الأرض بالظلم والمفاسد والأفعال

1- الاحتجاج للطبرسى: ج2، ص82.

المخالفة لنصّ الشريعة وروحها وأهدافها.

أيّ شيءٍ يُريده الإسلام من الحاكم والوالى يتحقّق فى عهد بنى أميّة أصلاً أو تحقّق لكم لا بمقاييس الشريعة وشروطها نعم تحقّق عكسه.

فالحُكم يُراد لنشر الإسلام، ولتطبيق القرآن والسُنّة، ولحفظ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم، ولنشر الفضيلة، ولاستتباب الأمن، ولتهيئة الأجواء والأسباب لترقى المسلمين فكراً وسلوكاً وخُلقاً وكمالاً، ولتربيتهم على توجيه النظر أوّلاً إلى الحياة الآخرة مع عدم نسيان الحياة الدّنيا ونحو هذه من الأهداف الكثيرة جدّاً من عُهدة التكاليف المُناطة بها.

غير أنّ الحكم عند بنى أميّة ونحوهم، أضحى لغايات أخرى، وعلى الحكّام والولاة والقضاة والشرطة وعلماء السوء، العمل ـــ كلّ من جهته وبإمكانياته ـــ لتحقيق هذه الغايات ومنها:

أ ـــ حكر السلطة لبنى أميّة، فهم الملوك، وهم الحكّام، وهم الأمراء، وبيدهم أزمّة الأمور، هُمْ ونساؤهم وذراريهم ومن يُحسب عليهم.

ب ـــ فسح المجال لتمتّع بنى أميّة بملذّات الحياة، بأقصى ما يُمكن فلا يتمنّون شيئاً وسُخّرت كلّ الإمكانيات التى يوفّرها الحكم لتحقيقه.

ج ـــ أن تنهج الأمّة النهج الذى يرتئيه بنو أمية فى العقيدة والفكر والسلوك وغير هذه من الغايات التى تدور فى هذا الفلك ممّا لا مجال هنا لاستقصائه.

وقد عمل بنو أميّة وولاتهم على تحقيق غاياتهم وأهدافهم بكلّ قدرتهم وإمكانياتهم فقتلوا، وصلبوا، وسملوا الأعين، وشرّدوا، وهدّموا الدور، وشتّتوا

القبائل، وصادروا الأموال.

ومن أعظم ما جناه بنو أميّة تتبّعهم ذريّة النبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتلاً وتشريداً حتّى جعلوا كلّ واحدٍ منهم تحت نجم، عاشوا متخفّين، وماتوا مجهولين إلاّ أن يخرج ثائر فيستشهد فى المعركة أو يبطش الكيان الحاكم به بعد إلقاء القبض عليه.

والجناية العظمى الأخرى: إزاحة الإسلام الحقيقى عن مسرح الحياة وتضييع جهود النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى ترسيخ الشريعة ونشرها وتحكيمها والارتقاء بالبشرية إلى مراتب أكمل.

3 ـــ إنقاذ الأمة من حالة الاستضعاف:

بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام ـــ الذى حصل نتيجة شدّة مؤامرات معاوية من جهة وتخاذل الأمّة وتكاسلها عن مواجهته العسكرية من جهة أخرى ـــ أظهر معاوية ما تكنّه ذاته من خبث، ونفسه من أحقاد، فأشاع الإرهاب والظلم فى طول البلاد الإسلامية وعرضها، وخصّ الكوفة من ظُلمه بالحصّة الأكبر، فسلّط على حواضر الإسلام وبلدانها أخسّ الولاة وأبعدهم عن الإسلام وتعاليمه، وزوّدهم بتوجيهات تقضى بتركيع الأمّة، وسلب إرادتها، وتشتيت جمعها، وتبديد طاقاتها، وإشغالها بتوافه الأمور، وضروريات الحياة، وإتعابها بملاحقة السلطة، حتّى عاد كلّ امرئٍ همّه كيف يُنقذ رقبته وما يتعلّق به من نفسٍ وعرضٍ ومال، كما أنّه فتح باب الرُشا لشراء الضمائر والذمم لإحكام قبضته على المجتمع فهذا يبيع دينه وضميره والتزاماته بحفنةٍ من الدراهم والدنانير، وذاك يتخلّى عن دنياه حفظاً لدينه إلاّ أنّه ينام

فی خوف ویأکل فی خوف ویتجوّل فی خوف لا یدری متی یُعتقل، وکیف ینجو بجلده، فلا تجد فی الأمّة غیر خاسرٍ لدینه أو خاسرٍ لدنیاه.

توجّهت الأمّة إلی القائد الحقیقی والمنقذ الحقیقی، الذی حذّرهم مثل هذا الیوم نتیجة الإهمال والتقاعس وعدم المبالاة بأداء التکالیف الإلهیة.

توجّهت الأمّة إلی آل محمّد، وکان سیّد آل محمّد فی تلک الحقبة الحسین ابن علی سبط رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وسیّد شباب أهل الجنّة وأحد أصحاب الکساء وآیة التطهیر وآیة المودّة وغیرها من الآیات والنصوص النبویّة التی لا تُحصی ولا تُستقصی، فاستصرخته واستغاثت به.

عن الإمام الباقر علیه السلام:

«محنة الناس علینا عظیمة، إن دعوناهم لم یجیبونا، وإن ترکناهم لم یهتدوا بغیرنا»(1).

فماذا یفعل الإمام وقد استصرخته الأمّة، کما عاهدته علی النهوض معه وعلی مؤازرته ونصرته حتّی تحقیق الهدف من النهضة.

وکتاب الله یقول:

((وَمَا لَکُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِینَ یَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْیَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنکَ وَلِیًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنکَ نَصِیرًا))(2).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسی: ج2، ص65، ح3.

2- سورة النساء، الآیة: 75.

حَزَمَ الإمام أمره، وأرسل مسلماً رائداً له، يستطلع الأوضاع وصمّم على مواجهة بنى أميّة وكسر شوكتهم واستثمار هذه الفرصة السانحة والنادرة لإنعاش الإسلام من جديد، وإعطاء الأمّة فرصة جديدة لتغيير وضعها البائس ولاسترجاع عِزّها الذى كانت فيه أيّام النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأيّام الوصىّ عليه السلام.

إنّ بنى أميّة قد كفأو الإسلام على وجهه، وعادوا بالناس القهقرى إلى جاهلية تفتقد بعض عناصر حُسن كانت فى الجاهلية الأولى، فحرّفوا عقائد الإسلام وأحكامه، وابتزّوا مقام الأوصياء وقتلوا وشرّدوا كلّ من يلتزم بعقيدته ولا ينصاع لتوجيه السلطة الباغية واشتروا الضمائر وسلّموا المناصب لأراذل الأمّة، فتجد أزنى ثقيف يحكم الكوفة ومن لا يُعرف له أب حتّى قيل له ابن أبيه يحكم البصرة وعلى هذه الشاكلة فقِس.

أين ذهب الصحابة والتابعون وقرّاء القرآن وعلماء الأمّة والأتقياء والمجاهدون والأبدال؟

أخَلَتْ بلاد المسلمين من هؤلاء حتّى يُولّى المغيرة وزياد وابن زياد ونحوهم الحكم وفى دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم ومقدّساتهم.

فليحكم ضميرک يا مثقّف القرن الحادى والعشرين!

مسلم يهيئ الوسائل لإمامه

كانت الكوفة ـــ حين وصول مسلم رضى الله عنه إليها ـــ تحت إدارة الوالى الأموى النعمان بن بشير، الذى عيّنه معاوية فى هذا المنصب، وأقرّه يزيد عليه.

ويظهر أنّ وجود هـذا الوالى فى الكوفـة كان سـبباً من أسـباب هيجان أهل الكوفـة، وتصاعد النشاط الثورى فيها فى الحقبة التى زامنت أيّام مرض معاوية وموته وصعود يزيد على دست الحكم فى البلاد الإسلامية.

والسـرّ فى الأمر: ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية من أنّه ضـعيف أو يتضعّف(1)، فلم يتّخذ فى مواجهة الحركة الثورية الناشـطة فى الكوفـة، ما يتناسب وروح السـياسة الأمويـة مع الأمّة، والمبتنية على القسوة وشدّة البطش والتنكيل والأخذ على الظنّة والتهمة، وإخماد كلّ جذوة وإسكات كلّ صوت، وإن كان المصدر بيت النبوّة.

وممّا يُنقل عنه خطبته فى أهل الكوفة بعد قدوم مسلم رضى الله عنه إليها وانثيال الناس عليه تبايعه:

1- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص42.

أمّا بعـد: فاتّقوا الله عباد الله، ولا تُسارعوا إلى الفتنة والفُرقة، فإنّ فيها يهلک الرجال، وتُسـفک الدماء، وتُغتصب الأموال، إنّی لا أقاتل من لا يُقاتلنی، ولا آتی علی من لـم يأتِ علیّ، ولا أنبّه نائمکم، ولا أتحرّش بکم، ولا آخذ بالقَرْف، ولا الظنّة والتهمة، ولکنّکم إن أبديتم صـفحتکم لی ونکثتم بيعتکم، خالفتم إمامکم، فو الله الذی لا إله غيره، لأضـربنّکم بسـيفی ما ثبت قائمه فی يدی، ولو لـم يکن لی منکم ناصر، أما إنّی أرجو أن يکون من يعرف الحقّ منکم أکثر ممّن يُرديه الباطل.

فقام إليه عبد الله بن مسلم بن ربيعة الحضرمی حليف بنی أميّة، فقال:

إنّه لا يُصلح ما ترى إلاّ الغُشم، إنّ هذا الذی أنت عليه فيما بينک وبين عدوّک، رأی المستضعفين.

فقال له النعمان: أکون من المستضعفين فی طاعة الله، أحبّ إلیّ من أن أکون من الأعزّين فی معصية الله(1).

ومن المحتمل جدّاً أنّ معاوية قد عيّنه فی منصب والی الکوفة لغاية محدّدة وهی تتّضح بعد بيان مقدّمة:

إنّ معاوية ـــ بعدما اغتصب مقام الحکم الأوّل من الإمام الحقّ الحسن السـبط صـلوات الله عليه وسلامه ـــ وکان عداؤه الأعظم متوجّهاً إلى أهل الکوفة لأنّهم مادّة جيش الإمامين علیّ والحسن عليهما السلام، وبحکم کون الکوفة عاصمة لدولتی الإمامين فإنّها تحوی شيعتهما وقادة دولتهما وخيرة أنصارهما لإضافة إلى

1- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص41 ـــ 42.

الجند الذى حاربا به الطليق معاوية صبّ غضبه الهائل على العالم الإسلامى ككلّ وعلى هذه المدينة بشكل خاصّ متميّز، وممّا تميّزت به هذه المدينة أنّه نصّب لمقام الولاية فيها أقسى من عرفهم العالم الإسلامى من الولاة، وأغلظهم وأبعدهم عن مظاهر الرحمة الإنسانية والالتزامات الدينية والشيم العربية التى عُرفت حتّى عند أهل الجاهلية، فقتلوا وشرّدوا وسجنوا وعذّبوا وصادروا الممتلكات ونفوا من الأرض وبلغ الأمر أن يصرّح بعض المؤرّخين بأنّه لم يبق فى الكوفة من الشيعة أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد(1)، وما بقى إنسان له عُلقة بعلى وولده ومذهبه إلاّ وقُتل أو أتت عليه الفجائع والدواهى.

ويكفيك لتعرف فظاعة معاوية وشدّة القسوة التى أدار بها رحى الحكم فى العالم الإسلامى أنّه لا يُعرف فى أيّامه خروج أحد عليه بثورة بالرغم من المظالم العظيمة التى وقعت على العالم الإسلامى ككلّ وعلى أهل البيت النبوى وأتباعهم بالخصوص.

وعلامة ثانية: انّه تمكّن من تولية ابنه المستهتر يزيد على العالم الإسلامى ورَفْعِهِ على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما حاول بكلّ قواه إزاحة علىّ عليه السلام أمير المؤمنين، ووصىّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشاد الإسلام بسيفه، ومن نزل ثلث القرآن(2) فى إعلان فضله ومقاماته عن مقام الزعامة والخلافة، ثمّ سعى بكلّ قوّة حتّى نجح، فى إخراج سبط رسول الله صلى الله عليه

1- راجع الاحتجاج للشيخ الطبرسى: ج2، ص84.

2- راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكانى: ج1، ص58، ح59.

وآله وسلم، وابن على وفاطمة عليهما السلام وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن وصفه رسول الله بأنّه سيّد شباب أهل الجنّة وأنّه إمام إن قام وإن قعد(1) من مقام حكم العالم الإسلامى.

ثمّ يأتى بالجاهل الفاجر الكافر الذى لا يعرف من الدنيا غير اللهو والفجور فيرفعه على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويسلّمه زمام حكم العالم الإسلامى ويسلّمه دولة لا تحدّ ـــ شرقاً وغرباً ـــ وآل بيت النبى، والصحابة، والتابعون، والعلماء، والزهّاد، وغيرهم، من أولى المجد والشرف، ملأ بصره فما رعى لأحدٍ حرمة، ولا خاف عذاب القبر، ولا سوء الحساب، ولا السعير، ففرَضَهُ على المسلمين أجمعين وما صنع مثل هذا أحدٌ قبله، بل ما فكّر أحد فيه.

أقول: إنّ معاوية، بعدما نكّل بالأمّة، وهضم حقوقها، واستأسد عليها، وصنع بالكوفة بالخصوص أعظم ممّا صنع بالعالم الإسلامى كلّه، بواسطة زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة فإنّه حاول إظهار شىء من التخفيف ـــ نسبة عن السابق ـــ والتقليل من نسبة الضغط والهضم للمجتمع الكوفى فعيّن لهم النعمان بن بشير الذى هو أموى النزعة والسياسة إلاّ أنّه معدّ لطورٍ ثانٍ من السياسة الأموية، وهذا الذى عرفناه، من ديدن الساسة فى العالم، فإنّهم إذا أرادوا تغيير سياستهم من جهة ما، فإنّهم يعهدون بتلك الجهة، إلى شخصٍ آخر من أنصارهم، تتناسب توجّهاته وحركته مع الخطّة التى يريدون اتّخاذها وتنفيذها فى تلك الجهة.

وهذا هو الذى صنعه معاوية مع الكوفة حينما عيّن النعمان بن بشير والياً

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج1، ص91، ح12؛ وذكر وروده فى الإتحاف بحبّ الأشراف: ص129.

عليها وحينما أراد يزيـد تنفيـذ نظام حكم صارم دموى فى الكوفـة لم يعهد بالأمر إلى النعمان بل عهد بالكوفة إلى عبيد الله بن زياد ـــ لع ـــ لكونه الشخص المناسب فى المكان المناسب للمرحلة الفعلية التى تعيشها الكوفة وذلک بنظر يزيد ـــ لع ـــ.

وهذا الأسلوب فى تعيين المسؤولين وتغييرهم، نراه كثيراً ونلاحظه من مسؤولى الدول، أو المؤسسات، فالأسلوب واحد.

إلاّ أنّ خطأ معاويـة ـــ وهو خطأ كثيراً ما يقترفه الطغاة ويحصل عنه نفس النتائـج، أنّه عهـد إلى النعمان بعـد فعل الأفاعيل بالكوفـة وأهلها بحيث هدم كلّ الجسور فيما بينه وبينهم وأصبح لكثير من الناس ثارات شخصية وعقائدية مع الكيان الحاكم.

فهيّأ تعيين النعمان متنفّساً للناس فى الكوفة، فكثرت التجمّعات والتكتّلات واللقاءات الثورية، وبدأت الناس تتحدّث وتعلن وتحرّض وتتّفق وتراسل الإمام سيّد الشهداء وتعاهده على النصرة وتحثّه على القدوم.

وساعـد على هـذا جـدّاً، انشـغال الدولـة بمرض معاويـة وهلاكه ومجيء يزيد للحكم، ولا خصائص فيه تمكّنه من الإمساک بزمام الحكم والسـيطرة على دفّته كمـا هو الحـال فى أبيه، ولـذلک قـامت عليه ثلاـث ثورات فى سـنين ثلاـث وكلّهـا ضـخمة، وفى أعظم مراكز العـالم الإسلامى: الإمام الحسين فى كربلاء ـــ القريبة من الحاضرة العظيمة: الكوفة ـــ وثورة أهل المدينة، وثورة ابن الزبير فى مكّة.

كـانت الكوفـة تعيش عصـر غفلـةٍ من طرف الكيان الحاكم فى الجملـة فاستيقظت على مسـلم بين ظهرانيها، فأقبلت عليه كتهافت الفراش، وبذلک وصفهم

سيّد الشهداء عليه السلام فى خطبته يوم الطفّ:

«ولكنّكم استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش»(1).

ومسلم رائد للحسين عليه السلام يستعلم له وضع الكوفة وأهلها ويكتب له بمجمل حالها كى يتّخذ الإمام عليه السلام قراره، فرأى مسلم منهم ما اطمأنّ معه إلى صحّة النهضة وأنّ الأوان قد آن، فكتب مسلم إلى الإمام بالأجواء التى عاشها وبحقيقة ما يجرى.

وهو إنّما كتب للإمام، بعدما أخذ البيعة له من الناس، وتوثّق منهم بالمواثيق وتأكّد من إقبال الناس عليه.

ومع كلّ ما تقدّم، لم يترك مسلم الأمر حتّى يحضر الإمام ويعدّ للأمر عُدّته، بل أخذ يهيئ أسباب النهضة والنصر ويستجمع القوى.

أ ـــ اتّخذ مقرّاً منيعاً ـــ لكون صاحبه زعيماً صالحاً موالياً، وهو المختار الذى قاد فيما بعد حركة الأخذ بثأر الإمام الشهيد عليه السلام ـــ.

وحينما اقتضى الأمر ـــ بعد مجيء ابن زياد ـــ انتقل إلى مقرّ جديد أمنع وأخفى هو دار هانئ بن عروة زعيم قبيلة مذحج.

ب ـــ أخذ يجمع الرجال والسلاح والمال وأحاط مقر إقامته بمخيّم يحوى هؤلاء المقاتلين المستعدّين للانطلاق بإشارة منه للانقضاض على الكيان المتجبّر.

1- الاحتجاج للشيخ الطبرسى: ج2، ص98.

ج ـــ أخذ البيعة للإمام من الناس حتّى ورد أنّه بايعه ثمانية عشـر ألفاً من أهل الكوفة وهؤلاء لوحدهم جيش كامل يكفى لهدّ أركان الدولة أو فى الأقلّ، هم الجمع الـذى يصـحّ إشـعال فتيل الثورة به ومناجزة الدولـة وتهيئـة المجال لالتحاق بقيّة البلدان والأقوام بها، فينهار الكيان الحاكم.

د ـــ لقاءاته بالناس وتهيئتهم نفسيّاً، ونفخ الروح فيهم، وإعدادهم لاستقبال الإمام السبط عليه السلام، وللجهاد معه بهمّةٍ عالية.

مسـلم الذى حضر إلى الكوفة دون عُدّةٍ وعدد، لاستطلاع الأوضاع وحكايتها للإمام عليه السلام قد أضحى خلال أيّام متزوّداً بالعدّة والعدد ومتهيّئاً لاستقبال الإمام بعد أن ذلل صعاب له سُبل إنجاح الحركة.

وهذه هى الطريقة الصـحيحة لانتظار الإمام، أى بتهيئة الظروف والأسـباب للظهور والحضور والنصـر، وقد قام مسـلم بهذه المهمّة العسيرة لوحده حين كان الأمر أمره، والمسؤولية مسؤوليّته خير قيام.

ولكن... ما صنعه مسلم، سَبَبٌ ضِمن أسباب، وجزء العلّة، وللأسباب الأخرى أحكامها.

البيعة

يجب إطاعة الله سبحانه وإطاعة رسوله، وإطاعة الإمام المعصوم المنصوب للإمامة ولزعامة وقيادة الأمّة من الله ورسوله، إطاعة تامّة مطلقة لا يستثنى منها حكم ولا حالة، إلاّ ما صدر الترخيص بتركه أو فعله من جهتهم وإلاّ عُدّ المرء عاصياً ومستحقّاً للعذاب الأليم.

ومن موارد الإطاعة اللاّزمة، نصرة النبيّ والإمام المعصوم ـــ المنصّب من الله ورسوله بالاسم والوصف اللّذين يحصران الإمامة فيه ـــ فى جهادهما وفى دفاعهما عن الإسلام والأمّة وكذلک نصرتهما فى الدفاع عن شخصيهما ضدّ كلّ خطر يتعرّضان له، وكذلک فى الموارد التى يأمران الفرد فيها بإظهار النصرة سواءٌ اقتنعنا بوجود الموجب له ظاهراً، أم لا.

فحقّ الإطاعة بشكل عام، وحقّ النصرة بشكل خاصّ، من حقوق النبى والإمام المعصوم، اللاّزم القيام بها وتأديتها من جهة الأمّة، بدون أىّ قيدٍ أو شرط، وهذا كلّه معلوم من الشريعة، بل لعلّه من الواضحات البديهيات.

ومع كلّ هذا لا يبقى وجه للبيعة إذ لا تقدِّم شيئاً ولا تؤخّر، ما دام حقّ الطاعة والنصرة ثابتاً على كلّ حال.

والبيعة أن يَمْسَح المبايع على يد المبايَع قاصداً العهد والعقد والميثاق معه على الولاء والطاعة وأن يقول له: أبايعک على كتاب الله وسنّة رسوله....، هذا ما كان يحصل خارجاً فی المجتمع الإسلامی(1)، وكانت هذه البيعة تؤخذ من عموم الأمّة لإعلان الولاء للخليفة الحاكم، وضماناً لعدم المشاركة فی الخروج عليه فی حملاتٍ عسكرية لقلب نظام الحكم أو لزعزعته ونحو هذه.

أمّا على مستوى الكتاب وسنّة النبیّ وآله الأطهار فقد ورد ذكر البيعة فی الكتاب العزيز كما أخذ النبیّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم البيعة على الناس فی موارد عدّة، وأخذها الإمام سيّد الأوصياء، وكذا الإمام الحسن السبط، والإمام الحسين السبط سيّد الشهداء.

وورد فی النصوص أنّ الإمام المهدی سيُبايع عند إعلان دعوته، وقيام دولته، عجّل الله سبحانه ظهوره ورزقنا رضاه فی ظهوره وغيبته.

قال الله سبحانه:

((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَکَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا))(2).

وقال جلّ جلاله:

1- إذا أردت المعنى الفقهی الدقيق للبيعة فراجع: ولاية الفقيه للشيخ المنتظری: ج1، ص523؛ وراجع لإتمام الاطلاع على جوانب موضوع البيعة: تذكرة الفقهاء للعلامة الحلّی: ج9، ص398؛ المرجعية والقيادة للسيد كاظم الحائری: ص56؛ النظام السياسی فی الإسلام للمحامی أحمد حسين يعقوب: ص69.

2- سورة الفتح، الآية: 10.

((لَقَدْ رَضِیَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَةَ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِیبًا))(1).

وقال تعالی:

((یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذَا جَاءَکَ الْمُؤْمِنَاتُ یُبَایِعْنَکَ عَلَی أَن لَّا یُشْرِکْنَ بِاللَّهِ شَیْئًا وَلَا یَسْرِقْنَ وَلَا یَزْنِینَ وَلَا یَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا یَأْتِینَ بِبُهْتَانٍ یَفْتَرِینَهُ بَیْنَ أَیْدِیهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا یَعْصِینَکَ فِی مَعْرُوفٍ فَبَایِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِیمٌ))(2).

هذه تمام الآیات فی البیعة، وأمّا السنّة والسیرة فقد قدّمنا ذکر بعض منها من أخذ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم وبعض أوصیائه البیعة علی الأمّة فی بعض الموارد ولسنا هنا فی مقام استقصائها غیر أنّا نجیب علی تساؤل نحتمل طرحه فی هذا المجال وهو: إذا کانت البیعة لا أثر لها فی مواردها لوجود حقّ الطاعة التامّ المطلق من کلّ جهة لله ولرسوله وللإمام، ولوجوب نصرتهم وإطاعتهم علی الناس کافّة دون أی استثناء، إلاّ ما رخّصوا هم فیه.

فبم نفسّر ورودها فی الکتاب والسنّة وقیام سیرة المعصومین فی مواردها، وسیرة القادة السیاسیّین والعسکریین من المسلمین ممّن تولّی الخلافة والولایة والحکم أو من هو بصدد العمل للوصول إلیها أو ممّن یعمل للتمرّد علی الدولة وشنّ الغارات علی أطرافها علی أخذها من الأمّة؟

واضح أنّ المستفاد من الآیات المبارکة هو أصل المشروعیة فی تلک

1- سورة الفتح، الآیة: 18.

2- سورة الممتحنة، الآیة: 12.

الموارد لا لزوم الإتيان بها.

ونحن نعلم من مضمون هذه الأدلّة وجوب إطاعة النبیّ والإمام المعصوم علی کلّ حال سواء أکانت هناک بیعة فی المقام أم لا.

إلاّ أنّ البیعة لیست بلا أثر، بل هی عقد صحیح معتبر له واقعیة، وهذا ظاهر من الآیة المبارکة:

((إِنَّ الَّذِینَ یُبَایِعُونَکَ إِنَّمَا یُبَایِعُونَ اللَّهَ یَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ فَمَن نَّکَثَ فَإِنَّمَا یَنکُثُ عَلَی نَفْسِهِ ...))(1).

والذی نستفیده فی المقام هو:

أنّ البیعة تفید التأکید فی الموارد اللاّزمة أصلاً، بحکم وجوب إطاعة النبی صلی الله علیه وآله وسلم والإمام علیه السلام هنا، فإذا نکث المرء بیعته مع أنّ المورد لازم الطاعة حتماً وعلی کلّ حال فقد عصی الأمر الإلهی، وترتّب علی هذا العصیان عقوبته الدنیویة والأخرویة، وآثاره الوضعیة، کما یُعدّ ناکثاً لعهده وعقده ویترتّب علی هذا النکث أثره أیضاً فهنا معصیتان لکلّ منها آثار فی الدنیا، وفی الآخرة.

أمّا فی الموارد التی لا أمر للمعصوم ـــ نبیّاً أو إماماً ـــ فیها ولا إلزام لکن کانت مبایعة المسلمین للمعصوم مؤدّیة إلی تنجّز تکلیفٍ ما علی المعصوم أو علی المسلمین فهنا تظهر فائدة البیعة کعلّة للتنجیز ویتحمّل المرء إثماً کبیراً فی نکث بیعته هذه وقد عُدّ نکث الصفقة ـــ الذی هو تعبیر آخر عن محلّ الکلام ـــ

1- سورة الفتح، الآیة: 10.

فی بعض النصوص من کبائر الذنوب(1) وهو شامل للمقامین والفرعین ـــ هـذا والذی تقدّمه ـــ إلاّ أنّ البیعة فی الفرع الأوّل أثّرت تأکیداً فی أصل اللزوم وعقاباً عند نکثها، بخلاف الفرع الثانی حیث أفادت البیعة إلزاماً وأثّرت عقاباً عند النکث.

ولا ریب أنّ البیعة عقد من العقود، والعقود لا تؤثّر أثرها إن کانت مأخوذة بالإکراه فلا یجب الالتزام بمفادها فی هذه الموارد.

ومن المعلوم فی مـذهبنا ـــ الشـیعة الإمامیـة ـــ حرمـة إطاعة الحکّام الظالمین، وکلّ حاکم لم یقرّ المعصومون صـحّة ولایته علی الأمّة، ویجب خلعهم، وهذا فی غیر موارد التزاحم أو موارد الضرورة التی تسمح بالإبقاء علیهم رعایة لعناوین أخری کما هو مبحوث فی محلّه من الفقه الإسلامی المبارک.

وکما أنّه من المعروف عند الإمامیة أنّ أمیر المؤمنین علیه السـلام طلب معونة المسـلمین بعد یوم السقیفة مع حصول البیعة منهم لصاحبها ولم یُبالِ الإمام بتلک البیعـة مع حراجة الموقف فی تلک الحقبة إلاّ أنّه علیه السـلام لم یکن قد بایع بعد ـــ علی فرض مبایعته علیه السـلام فیما بعد، وقد نفی المفید هذا الأمر بشدّة ـــ .

نعم التزم الحسـنان بعقـد الصـلح مع معاویـة فلم یسـتجیبا لکتب أهل الکوفـة من بعـد الصـلح إلی سـنة ستّین للهجرة وکان جواب الإمام المظلوم سیّد الشهداء علیه السلام إنّه مع حیاة معاویة فلا تحرّک، وبعده فإنّه سیری رأیه:

«فألصقوا رحمکم الله بالأرض وأمکنوا فی البیوت واحترسوا من الظنّة ما

1- بحار الأنوار للشیخ محمد باقر المجلسی: ج27، ص68.

دام معاوية حيّاً فإن يُحدث الله به حدثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي والسلام»(1).

لكنّ هذا التزام بعقد الصلح لا البيعة وهما متغايران.

نعم وردت نصوص على صدور البيعة من المعصومين عليهم السلام، وإنّ بيعتهم هذه وإن كان صدورها تحت ظروف لا يخفى حالها على أحد، وأنّهم عليهم السلام بايعوا والسيوف تقطر دماً، بحيث إنّهم بايعوا وما تُركوا، بل استشهدوا واحداً بعد واحد، وهذا الجواد قُتل وعمره خمس وعشرون سنة والعسكري وعمره ثمان وعشرون سنة، إلاّ أنّهم مع ذلك التزموا بمضمون البيعة ـــ والتوجيه: أنّ لمقامهم مدخلية في الوفاء بالبيعة وإن أخذت منهم تحت تلك الظروف المهولة، وقد ورد عن المهدي عليه السلام إمام عصرنا:

«إنّه لم يكن أحد من أبائي إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإنّي أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحدٍ من الطواغيت في عنقي»(2).

يبقى أمرٌ مهمّ:

وهو أنّ البيعة كان لها أثر كبير ديني ونفسي في ربط المرء بما بايع عليه وفي إظهار التزامه بمضمون البيعة، ولذلك كان الاهتمام بها ظاهراً، وإن لم يهتمّ بها أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الاهتمام فتلك النفس الكبيرة العظيمة التي أذهلت الدنيا في كلّ سلوكياتها لم تحرص على أخذ البيعة من ألدّ الأعداء، فقد

1- حياة الإمام الحسن عليه السلام للشيخ القرشي: ج2، ص230.
2- الاحتجاج للشيخ الطبرسي: ج2، ص545.

عُرف عن جمع تركهم مبايعة الإمام الوصىّ عليه السلام بعد أن بايعته الأمّة جمعاء ـــ غير معاوية ومن تحت إمرته ـــ وبايعه المهاجرون والأنصار والبدريّون وأصحاب بيعة الرضوان لم يتخلّف منهم أحد بل فرحت الأمّة بخلافته وبيعته فرحة لم تحصل لأحد حتّى عبّر عنها الإمام عليه السلام:

«وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاى أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت إليها الكِعاب»(1).

هكذا كانت بيعته ومع ذلک تركها سعد بن أبى وقّاص وأسامة بن زيد وبعض آخر، كما أعرض الإمام عن مبايعة مروان بن الحكم له بعد يوم الجمل وقال فيه:

«أو لم يبايعنى بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لى فى بيعته، إنّها كفّ يهودية لو بايعنى بكفّه، لغَدَرَ بِسُبّته»(2).

مبايعة الكوفة لمسلم:

من جملة ما هيّأه مسلم للإمام القائد الحسين عليه السلام هو أخذه البيعة من أهل الكوفة وهى تدلّ على التزامهم بنصرة الإمام ومعاضدته فى مسيرته التى اعتزم القيام بها بعدما كاتبوه قرابة عشر سنوات لأجلها.

وبأخذ مسلم البيعة منهم، وبجمعه للرجال والمال والسلاح حتّى بلغ عدد المتهيّئين منهم قرابة الأربعة آلاف مقاتل، وغيرها من جلائل الأعمال التى قام بها

1- نهج البلاغة للسيد الرضى: الخطبة 229.

2- نهج البلاغة: الخطبة 73.

عنـد قـدومه يكون مسـلم قد وطّد الأمر للإمام السـبط وأحسن إدارة الأمر فلم يكتفِ بمجرّد اسـتطلاع أوضاع الكوفة والكتابة للإمام بحقيقة الحال بل عمل على تهيئة الظرف الأحسن لاستقبال الإمام.

والأمور تُقاس بظرفها الفعلى ولا تُقاس بنتائجها؛ إذ إنّ النتائج من الغيب ولا يعلمه إلاّ الله سبحانه، ومن آتاه الله من علمه، والإمام الحسين كان يعلم بحقيقة الحال، ومجريات الأحداث، علماً مسـتفاداً عن جدّه الأكرم صـلى الله عليه وآله وسلم، إلاّ أنّه عليه السلام عليه أن يجرى على وفق السـياقات الطبيعية فى التعامل مع الأمّة، فإنّ الأمّة إذا أظهرت البيعة والتأييد فعلى الإمام قيادة الوضع إلى تحقيق أهداف الإسـلام الكبرى، وهكذا فعل النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم، مع العلم أنّ أحداثاً وغزوات متعدّدة، هرب فيها الصـحابة كأحُد وحنين، وخيبر ـــ عند بعث أبى بكر وعمر ـــ وغزوات أخرى نصّ عليها المؤرّخون وكُتّاب السـيرة، ولم يؤثّر هذا فى مسـيرة النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهكذا ـــ أيضاً ـــ صـنع الإمام سـيّد الأوصـياء حينما بايعه الناس بعد هلاک عثمان مع علمه ـــ بتعليم من النبىّ الأكرم صـلى الله عليه وآله وسـلم ـــ بظهور طوائف النـاكثين والقاسـطين والمارقين(1) ضـدّه، وهكذا أبو محمّد الحسن السـبط، والحسـين عليهم السـلام على نهجهم وسيرتهم فى العمل وقيادة الأمّة.

1- فضائل الخمسة للسيّد الفيروزآبادى: ج2، ص358؛ فقد نقل روايات عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فى أنّه صلى الله عليه وآله وسـلم أمر عليّاً أمير المؤمنين بقتال الناكثين والقاسـطين والمارقين، عن كتب العامّة، منها تحديث أبى أيّوب الأنصارى فى خلافة عمر بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر علياً عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

ومع أنّه يجب على الأمّة إطاعة ا لحسين على كلّ حال.

ومع أنّها كاتبته قرابة عشر سنوات.

ومع أنّها كتبت إليه آلاف الرسائل بعد هلاک معاوية تطلب قدومه.

ومع أنّها بايعت سفيره مسلماً وعاهدته على النصرة.

فإنّها خذلته وخذلت سفيره؛ إذ أسلمته إلى العدوّ الأكبر ـــ ابن زياد ـــ ثمّ تحرّكت على الإمام الشهيد، فشاركت فى ذبحه بشكل أو بآخر، فكفأت الإسلام على وجهه، وشربت كأس السمّ إلى آخر قطرة، ولا يزال العذاب المختلف أشكاله وأنحاؤه يصبّ عليها صبّاً، ولعذاب الآخرة أخزى.

الإيمان قيد الفتك

سنحت لمسلم بن عقيل رضى الله عنه فرصة لا تقدّر بثمن، لقتل عبيد الله بن زياد، إلاّ أنّ مسلماً ترک ابن زياد يفلت دون أن يخدشه خدشة.

وكان لقتل ابن زياد ـــ لو تمّ ـــ أن يقلب مسار الأحداث كلّها رأساً على عقب، ويُغيّر مصير الأمّة وإمامها، ويقصم ظهر الدولة الأموية التى اعتمدت على هذا الشخص لإعادة الاستقرار فى الكوفة لصالحها.

والحجّة التى استند إليها مسلم لترک ابن زياد يفلت من قفص الأسر ومن مصيره المحتوم الذى كان بينه وبينه قاب قوسين أو أدنى هى رواية عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تمنع من القتل بهذه الوسيلة.

خلاصة الحادثة:

شريک بن الأعور شخصية إسلامية مهمّة فى المجتمع يومذاک ـــ وهو شيعىّ مُتَسَتِّر ـــ حضر من البصرة إلى الكوفة بمعيّة ابن زياد وذُكر أنّه صَحِبَ ابن زياد ليكون عيناً عليه وليتعرّف على خِطَطِه، وقد تمارض فى طريق البصرة ليعرقل مسيرة ابن زياد حتّى يدخلها الإمام الحسين عليه السلام فلم يُفْلِح(1).

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج2، ص356.

مرض مرضاً شديداً بعد وصوله الكوفة ـــ وكان قد حلَّ فی دار هانئ ـــ.

بلغ ابن زياد خبر مرض شـريک فأرسل إليه من يُبلغه بعزمه على زيارته، فانتهز شريک الفرصة، وحاول الاتّفاق مع هانئ ومسلم على اغتيال ابن زياد عند حضوره، وأن يتولّى مسلمٌ المهمّة بنفسه عند إشارة شريک.

حضر ابن زياد، وتهيّأت الفرصة، وأصدر شريک الإشارة المتّفق عليها، ولم يخرج مسلم من مكمنه لاغتيال ابن زياد وتكرّرت الإشارة حتّى فطن ابن زياد إلى أنّ هناک ما يقتضی خروجه فأسرع بالخروج.

وسُئل مسـلم عن السرّ فی عدم خروجه وتنفيذ ما اتّفق عليه فی ابن زياد فكان من ضمن جوابه أنّه ورد عن النبی الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

«الإيمان قيد الفتک»(1).

فلا مجال إذن لاغتيال ابن زياد وللفتک به وأخذه على حين غرّةٍ وغفلة.

لماذا يا مسلم؟

أهـذا السـبب وهـذه الروايـة، العلّة الحقيقيّة وراء التوقّف عن إزاحة أعظم حجر عثرة فی طريق الحركة الحسـينية؟ أم أنّ هناک أسـباباً أخرى شكّلت بمجموعها العلّة التامّة للتوقّف عن تنفيذه الاغتيال.

وهل هذا الحديث الشريف صادر عن النبی الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟

1- بحار الأنوار للشيخ المجلسی: ج45، ص97، وسيأتيک سرد مصادر أخرى لها؛ وفی لفظ القندوزی الحنفی (لا إيمان لِمَنْ قتل مسلماً) فراجع ينابيع المودّة: ج3، ص57.

كيف والاغتيال السياسى من أركان نجاح القوى الثورية ضدّ الطواغيت والجبابرة الذين أحاطوا أنفسهم بما لا يحصى من أشكال الحماية لوجودهم، بما لا يُرجى معه إمكانية إزاحتهم عن سدّة الحكم ومنصب القهر والجبروت بغير هذه الوسيلة فلا تنفع مفاوضة ولا يصغى إليك أحد والجبابرة لا يُرهبهم، مثل خوف الاغتيال، ولا يؤدّبهم مثيله فهم لا يخشون الحروب؛ لأنّهم أعدّوا لها عُدّتها، أمّا الاغتيال فهو سببُ أرَقٍ دائم لهم وعلّة لاضطرابهم وسلب هناءة عيشهم وسبب أيضاً لصدور بعض القرارات والأعمال المفيدة للأمّة من قِبلهم.

فهل يمكن ترک الطواغيت يسحقون كلّ زهرة ويئدِونَ كلّ مكرمة بالتزام حرمة اغتيالهم، وهل الاغتيال لأمثال هؤلاء ولاسيما فى مثل هذه الظروف ممّا لا حكم للعقل فيه أم يحكم بقبحه؟ الجواب: إنّه يحكم بحسنه التامّ، وقبح تركه، بل شناعته، ففى ترک أمثال هؤلاء، هلاک البلاد والعباد ودمار كلّ المقدّسات، ودخول الناس فى ميادين الكفر أفواجاً، واضمحلال الحقّ وإشاعة الفجور.

وهل يُحتمل أنّ كون مسلم هو المنفّذ أثّر عنواناً ثانوياً لعدم حُسن صدور فعل الاغتيال منه ولو تولاّه أىّ أحدٍ لجاز؟

وقد يكون للأعراف والتقاليد والسّنن الاجتماعية الدائرة أثرٌ فى البين فإنّ الناس فى ذلک العصر كانت تعدّ مثل هذا الفعل غدراً وقبيحاً جدّاً ومن مثل مسلم بالخصوص، أمّا فى مثل عصرنا ومع تغيّر السنن الاجتماعية فليس الأمر بتلک المرتبة من القبح ولاختلاف الزمان والمكان وأحكامهما وتأثيراتهما فى الموضوعات، وللأحكام بالتبع، ففى الحالة الأولى يؤثّر الوضع الاجتماعى عنوانا

ثانویـاً فی المقام فیحرم الاغتیال، دون الحالـة الثانیـة فیبقی الأمر علی عنوانه الأوّلی، إلاّ أن هـذا هنا غیر تام لأن مسـلماً اسـتند إلی الروایة لتعلیل امتناعه، ولم یستند إلی حیثیّته ووضعه الخاص.

روایة ـــ الإیمان قید الفتک ـــ :

فی مرسـلة أبی صـباح الکنانی: قلت لأبی عبد الله علیه السـلام: إنّ لنا جاراً من همدان یُقال له الجعد بن عبدا لله یسبُّ أمیر المؤمنین علیه السلام، أفتأذن لی أن أقتله؟ قال:

«إنّ الإسلام قید الفتک، ولکن دعه فستکفی بغیرک»(1).

وعن أبی جعفر الثانی:

«وإیّاک والفتک، فإنّ الإسلام قد قیّد الفتک»(2).

وما رواه السیّد المرتضی عن مسلم أنّه اعتذر عن عدم قتل ابن زیاد بأنّ النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم قال:

1- بحار الأنوار: ج47، ص137؛ ونقل صاحب وسائل الشـیعة هـذه الروایة باختلاف فی العبارة فراجع الوسائل: ج29، ب22، من أبواب دیّات النفس، ح1؛ إذ صـاحب الوسائل نقلها عن الکافی: ج7، باب النوادر من کتاب الـدیّات، ح16؛ وصاحب البحار نقلها عن المناقب: ج3، ص364؛ وهی فی حقیقتها روایة واحدة عن أبی الصـباح الکنانی إلاّ أنّها تختلف فی اللفظ والتفاصـیل بحسب ما فی الکتابین ـــ وما نقلناه فی المتن فالنصف الأول من روایة البحار، غیر أن نصّ الکافی أهم لاشتماله علی قرینة توضّح المقصود من الفتک. إذ فیها قول الراوی للإمـام: لئن أذِنت لی فیه لأرصـدنّه فإذا صار فیها اقتحمت علیه بسـیفی فخطبته حتی أقتله، قال: فقال: یا أبا الصـباح، هـذا الفتک وقـد نهی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم عن الفتک، یا أبا الصباح إن الإسلام قید الفتک ولکن دعه فَستُکفی بغیرک... إلی آخر الروایة.
2- موسوعة الإمام الجواد علیه السلام: ج2، ص124، عن رجال الکشی.

«إنّ الإيمان قيد الفتک»(1).

ونقلها أبو الفرج فی المقاتل عنه عن النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم:

«إنّ الإيمان قيد الفتک فلا يفتک مؤمن»(2).

والحديث نفسه رواه أبو داود فی سننه عن أبی هريرة(3).

فهـذه الرواية موجودة فی كتب المقاتل، بل فی كتب العامّة والخاصّة غير أنّ المفيد فی الإرشاد وابن طاوس فی الملهوف لم يتعرّضا لأصـل القصّة وللرواية حين سردا أحداث الطف وهو أمر ملفت للنظر.

وتعرّض السـيّد المرتضـی فی ـــ تنزيه الأنبياء ـــ لهذه الواقعة من خلال بيانه: أنّ أسـباب ظَفَرِه ـــ سـيد الشهداء عليه السلام ـــ بالأعداء كانت لائحـة ـــ فذكر هذا الحديث، وهذه الحادثة وقال ـــ ولو كان فَعَلَ مسـلم من قتل ابن زياد ما تمكّن منه، ووافقه شـريک عليه، لبطل الأمر ودخل الحسـين عليه السـلام الكوفـة غير مُدافَع عنها وحسـر كلّ أحد قناعه فی نصـرته واجتمع له من كان فی قلبه نصـرته وظاهره مع أعدائه(4).

وتعرّض لهذا المطلب أيضاً الشهيد المطهری علی ما فی الملحمة الحسينية:

1- بحار الأنوار: ج45، ص97، عن تنزيه الأنبياء للسيّد المرتضی.

2- بحار الأنوار: ج44، ص344.

3- بحـار الأنوار: ج44، ص344 الهامش (1) وهـذه الرواية نقلتها مصادر عدّة فراجع حياة الإمام الحسـين عليه السـلام للقرشـی: ج2، ص365؛ ومسـلم رضی الله عنه للسيّد المقرّم: 194؛ ونصّ أبی الفرج منقول عن الفتوح لابن أعثم: ج5، ص73؛ بحـذف فاء ـــ فلا ـــ علی ما فی كتاب مبعوث الحسين: ص150؛ وراجع أيضاً: مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ص153.

4- بحار الأنوار: ج45، ص97.

ج3، ص116، والمقرّم فی ـــ مسلم: ص194 ـــ وفی مقتل الحسین علیه السلام: ص153، والشیخ باقر القرشی فی حیاة الحسین علیه السلام: ج2، ص365، ومحمد علی عابدین فی مبعوث الحسین علیه السلام: ص149.

فیمکن أن یُقال فی توجیه فعل مسلم وتوجیه الروایة بأنّ معنی الروایة لیس هو تحریم الاغتیال مطلقاً ـــ وإن التزمه بعض الفقهاء، منهم الشیخ المفید، ویحتمل أن یکون افتاؤهم هذا استناداً إلی هذه الروایة ـــ إذ إنّها تنصّ علی تحریم الفتک، والفتک غیر الاغتیال وذلک جمعاً بین هذه الروایة ـــ علی فرض التسلیم بصدورها وهو غیر بعید ـــ وبین ما دلّ علی جواز الاغتیال، منها:

ما عن داود بن فرقد قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: ما تقول فی قتل الناصب؟ فقال:

«حلال الدم ولکنّی أتّقی علیک فإن قدرت أن تقلب علیه حائطاً أو تُغرقه فی ماء لکیلا یشهد به علیک فافعل»(1).

وفی روایة أنّ عبد الله بن النجاشی قال للإمام الصادق علیه السلام: إنّی قتلت ثلاثة عشر رجلاً من الخوارج کلّهم سمعته یبرأ من علیّ بن أبی طالب علیه السلام فسألت عبد الله بن الحسن فلم یکن عنده جواب، وعظم علیه فقال: أنت مأخوذ فی الدنیا والآخرة، فقال أبو عبد الله علیه السلام:

«وکیف قتلتهم یا أبا بحیر؟».

فقال: منهم من کنت أصعد سطحه بسلّم حتّی أقتله ومنهم من دعوته باللیل

1- وسائل الشیعة للشیخ الحرّ العاملی: ج28، ص217.

على باب فإذا خرج قتله(1) ومنهم من كنت أصحبه فى الطريق فإذا خلا لى قتلته، وقد استتر ذلک علیّ.

فقال أبو عبد الله علیه السلام:

«لو كنت قتلتهم بأمر الإمام لم يكن عليک شىء فى قتلهم ولكنّک سبقت الإمام فعليک ثلاث عشرة شاة تذبحها بمنى وتتصدّق بلحمها لسبقک الإمام وليس عليک غير ذلک»(2).

ويؤيّدنا فيما فهمناه، ما عن أبى جعفر الثانى، وننقله بتامه، عن إسحاق الأنبارى قال: قال لى أبو جعفر الثانى علیه السلام:

«ما فعل أبو السمهرى لعنه الله يكذب علينا، ويزعم أنّه وابن أبى الزرقاء دعاةٌ إلينا، أشهدكم أنّى أتبرّأ إلى الله عزّ وجل منهما، إنّهما فتّانان ملعونان، يا إسحاق أرحنى منهما يُرح الله عزّ وجلّ بعيشک فى الجنّة».

فقلت له: جعلت فداک يحلّ لى قتلهما؟

فقال:

«إنّهما فتّانان يفتنان الناس ويعملان فى خيط رقبتى ورقبة موالىّ فدماؤهما هدر للمسلمين وإيّاک والفتک فإنّ الإسلام قد قيّد الفتک وأشفق إن قتلته ظاهراً أن تُسأل لِمَ قتلته؟ ولا تجد السبيل إلى تثبيت الحجّة ولا يمكنک إدلاء الحجّة فتدفع ذلک عن نفسک فيُسفک دم مؤمن من

1- الصحيح: قتلته، كما هو الظاهر.
2- وسائل الشيعة: ج29، ص230.

أوليائنا بدم كافر، عليكم بالاغتيال»(1).

فيظهر من كلام الإمام ـــ من خلال نهيه عن الفتك تجويزه للاغتيال ـــ أنّ هذا غير ذاك.

وورد أنّ معاوية دخل على عائشة، فقالت له: أما خِفتَ أن أقعد لک رجلاً يقتلک؟ فقال: ما كنت لتفعليه وأنا فی بيت أمان وقد سمعت النبیّ صلی الله عليه ـــ وآله ـــ وسلم يقول ـــ يعنی: الإيمان قيد الفتک ـــ كيف أنا فی الذی بينی وبينک وفی حوائجک؟

قالت: صالح، قال: فدعينا وإيّاهم حتّی نلقی ربّنا عزّ وجلّ(2).

ومن الواضح أنّ معاوية لم يستشهد بالرواية وإنّما أشار إليها كما فهمه شارحها ولعلّه أحمد صاحب المسند.

ثمّ إنّ الشيخ الأمينی صاحب الغدير ـــ الذی نقل الرواية المتقدمة ـــ لم يعترض على تطبيق الفتک على هذا المورد، فيظهر ارتضاؤه له وهذا يؤيّد ما سنذكره من معنى الفتک، كما أنّه أثبت مضمون الرواية ـــ الإيمان قيد الفتک ـــ فانظر ما قال: أما كان لعائشة أن تُفحم الرجل بأنّ الإيمان لو كان قيّد الفتک ـــ وهو قيّد الفتک ـــ فلماذا لم يقيّده؟ وقد فتک بآلافٍ من وجوه المؤمنين، وأعيان الأمّة المسلمة، ولم يأمن من فتكه أهل حرم أمن الله ـــ مكّة ـــ ولا مجاورو بيت أمانه ـــ المدينة(3) ـــ .

1- موسوعة الإمام الجواد عليه السلام للشيخ الخزعلی: ج2، ص124؛ عن رجال الكشی: ح1013.
2- الغدير: ج10، ص485؛ عن مسند أحمد: ج4، ص92.
3- الغدير: ج10، ص486.

والذی تبیّن لنا من خلال نصوص القضیّة وکلام أهل اللغة(1):

أنّ الاغتیال: مفاجأة بالقتل، والقیام به عن غفلة من القتیل.

أمّا الفتک: فقتل مع الغفلة وزیادة، أی هو اغتیال وزیادة، وهذه الزیادة هی السبب فی اختلاف حکمه عن الاغتیال، للاختلاف فی حقیقتهما.

فالفتک هو اغتیال والظرف ظرف أمن، إذ یأمن المجنی علیه من الجانی سواءً أکان هناک وعد بالأمان أم لا.

فقتل امرئ فجأة وفی غفلة منه والظرف ظرف أمان کوجود ابن زیاد فی دار هانئ لعیادة مریض، فابن زیاد بحکم وجوده فی دار هانئ وبحکم الأعراف السائدة فی مثل هذه الحالة فی تلک الأزمنة بل حتّی فی زماننا هذا ـــ وإن کان بنسبة أخفّ ـــ مطمئن تماماً عن أن یصدر من صاحب البیت تجاهه ما یهدّد حیاته؛ إذ هو نحو غدرٍ وهو من أعظم العار علی مرتکبه فی العُرف یومذاک فمثل هذا

1- فی النهایة لابن الأثیر: الإیمان قید الفتک، أی الإیمان یمنع عن الفتک کما یمنع القید عن التصرّف النهایة: ج4، ص130، والفتک أن یأتی الرجل صاحبه وهو غارٌ غافل فیشدّ علیه فیقتله، المصدر نفسه: ج3، ص409، فراجع: البحار: ح47، ص137. وفی المنجد: ص568، فتک بفلان: بطش به، أو قتله علی غفلة. وفی هامش البحار، شَرَحَ محقّق الکتاب هذه الروایة بقوله: إنّ الإیمان یمنع من الفتک الذی هو القتل بعد الأمان غدراً کما یمنع القید من التصرّف؛ البحار: ج44، ص344، هـ1. ولا یخفی علی القارئ الکریم ـــ بعد ملاحظته لما سنبیّنه ـــ أنّ ما فهمناه من الروایة بمعونة بعض الروایات وقرائن أخری منها طبیعة ما فهمه مسلم رضوان الله تعالی علیه منها وتطبیقه لها، وبعد ملاحظة أن لم یکن أمان من مسلم أو هانئ أو شریک لابن زیاد حین حضوره لدار هانئ، هو أنّ الفتک یُراد منه: الاغتیال فی وقت کون المستهدَف ـــ بالفتح ـــ فی مأمن من المستهدِف ـــ بالکسر ـــ لحصوله منه علی تصریح بالأمان أو لوجوده فی داره ـــ کما هو الشأن عند العرب ـــ أو لأمثال هذه من الفروض التی تؤدّی مؤداها وتختلف ـــ مصداقاً ـــ بحسب الزمان والمکان.

الاغتيال والظرف هذا الظرف يُعدّ فتكاً.

والمسألة ـــ من وجهة فقهيّة ـــ تحتاج لتوسعة فى البحث للبتّ فيها.

النتيجة: إنّ مسلماً امتنع عن قتل ابن زياد فى دار هانئ والأسباب المذكورة لهذا الامتناع:

1 ـــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الإيمان قيد الفتك».

أو الإسلام، على اختلاف الروايات.

2 ـــ إنّ هانئاً منع مسلماً من قتل ابن زياد فى داره(1).

3 ـــ إنّ امرأة هانئ منعت مسلماً من قتل ابن زياد فى دار هانئ(2).

4 ـــ إنّ مسلماً لم يحبّ قتل ابن زياد(3).

فإن كان السبب الأوّل هو علّة الامتناع، فلأنّ ابن زياد قد أرسل إلى شريك أنّه يريد زيارته، وحضر فعلاً، فحصوله فى دار هانئ لأجل أمثال هذه الغاية وفى ضمن تلك الأجواء والتقاليد فيه تأمين عُرْفىّ، فامتنع مسلمٌ من قتله لانطباق الرواية على هذا المورد.

وإن كان للسببين الثانى والثالث، فقد احترم مسلم إرادتهما، لأنّ البيت لهما، والموقع موقع عشيرتهما، وهانئ زعيم العشيرة، وقتل ابن زياد سيجرّ العشيرة إلى

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشى: ج2، ص362 وص365.

2- مسلم للسيد عبد الرزّاق المقرّم: ص94.

3- إبصار العين للشيخ محمد السماوى: ص43.

فاجعـة كبرى، إذ تتعرّض إلى مواجهة شاملة مع أتباع ابن زياد وحرسه ومع جيش الشام الذى سيحضـر بلا شكّ لإخماد ثورة الأهالى ضـدّ السلطة والأخذ بثأر ابن زياد.

كمـا أنّه يحتمل أنْ يَلحق بالعشـيرة عار لقتلها الضـيف ـــ وهو ابن زياد ـــ (وذلک بحسب حسابات هانئ وزوجته إن كان تمنّعهما لأجل هذه السنن وأمثالها) وهذه السُنّة وأمثالها ممّا تراعيها القبائل العربية أشدّ المراعاة.

ونحن وإن كنّا نتوقّف عن اسـتحقاق هـذه المسألـة للمراعاة لأنّ لولى الأمر وهو الإمام المعصوم ومن ينوب عنه ملاحظة جهات المصـلحة والمفسدة والتصـرّف على وفق العناوين الأوّلية والثانوية لمراعاة مصالح الإسلام العليا وأهدافه الكبرى فكان من حقّ مسلم أن يخالف رغبة هـانئ وزوجته ويقتل ابن زياد مهما كانت النتائـج المترتّبـة لتوقّف حفظ الإمام الحسـين وتحقيق أهـدافه واسـتمرار مسـيرته على قتل هـذا الطـاغوت، وأمّـا رغبـة هـانئ وزوجته وحرمـة دارهما ونحو هـذا فإنّ الإمام المعصوم أولى بكلّ إنسان من نفسه، وما يتعلّق به بنصّ حـديث الغـدير الـذى نصّ فيه النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم على أنّه (مَنْ كنت مولاـه فهـذا علىّ مولاـه)(1) وهـذا التنصـيب جارٍ لبقيّة الأئمّة المعصومين عليهم

1- حديث الغدير العظيم، ألّف فيه العلاّمة الكبير الشـيخ عبد الحسين الأمينى موسوعة الغدير، فى أحد عشر مجلّداً استقصى فيه رواته من الصـحابة والتـابعين والعلماء عبر القرون، وأسـماء مؤلّفات فيه فراجع: ج1، ص26 ـــ 27؛ إذ سـرد إجمالاً أسـماء المؤرّخين والمحدّثين الـذين ذكروا واقعة الغدير وحديثها، بل راجع المجلّد الأوّل بعمومه لفائدته التى لا يمكن الاسـتغناء عنها. وراجع لحديث الغدير أيضاً ـــ فـإنّه من أهمّ الأحـاديث، ويومه من أهمّ الأيّـام فى تاريـخ الإسـلام ـــ نفحات الأزهار للسـيد على الميلانى: ج6 ـــ 9؛ وراجع فضائل الخمسة: ج1، ص349.

السلام بحكم الأدلّة الأخرى المبيّنة لمشاركة الأئمّة بعضهم لبعض فى مجموعة من الخصائص والمناصب وتميّز بعضهم عن بعض بخصائص أخرى ـــ وليس هنا محلّ التفصيل ـــ ولعدم القول بالفصل.

إلاّ أنّه يمكن أن يقال: إنّ الإمام المعصوم ـــ ومن يقوم مقامه فى بعض المهمّات والمناصب ـــ لم يُعمل صلاحيّاته فى هذا الميدان لعدم تبلور هذه المفاهيم فى المجتمع الإسلامى وعند الشيعة أيضاً فلذا اضطرّ مسلمٌ رضوان الله ـــ تبارک وتعالى ـــ عليه إلى ترک ابن زياد، وعدم قتله مراعاةً لهذه الأمور، التى هى من الأمور القاهرة فى تلک الأيّام.

وهذا كلّه من التوسّع فى البحث، ومن باب تكثير الافتراضات ـــ الواردة تاريخياً بطبيعة الحال ـــ والتأمّل فى وجهها والجواب عن الإشكالات الواردة بسببها لو صحّت، إلاّ أنّ الكلام ـــ كلّ الكلام ـــ فى تحليل رواية ـــ الإيمان قيد الفتک ـــ وتوجيه انطباقها على المقام، وقد قدّمنا الوجه فيه، أسأل المولى سبحانه التسديد فيه، والعفو عن كلّ زلل.

مسلم يُشعل فتيل الثورة

لم يكن من المقرّر أن يبادر مسلم بإعلان الثورة، بل كان عليه استطلاع الأوضاع، والكتابة إلى الإمام بشأنها، وتهيئة الأجواء لاستقبال الإمام، وهو الذى يقرّر طريقة العمل بعد وصوله إلى الكوفة، ويشرف ميدانياً على حركة الجمع الثائر.

ولكن مسلماً أشعل فتيلها للإمساك بزمام الأمور قبل أن تفلت نهائياً ولمّا يحضر الإمام السبط، القائد الأصيل والحقيقى للثورة.

الذى غيّر مجرى الأحداث: حصول ابن زياد على خبر مكان اختفاء مسلم فى الكوفة.

فقد سخّر ابن زياد جاسوساً من أتباعه، ليحصل له على هذه النتيجة.

فتفنّن الجاسوس فى طريقة التوصّل إلى معرفة المكان، وذلک بالاتّصال برجال من الشيعة وتوثيق نفسه لديهم، والتمويه عليهم بأنّه من محبّى آل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه يحمل مالاً لمسلم يسند به ثورته على أن يلتقيه شخصياً فيُسلّمه المال وهكذا كان.

فعرف مكان مسلم وأبلغ ابن زياد أنّ سكنى مسلم رضى الله عنه فى دار هانئ بن عروة.

بعث ابن زياد إلى هانئ، وواجهه بالجاسوس، فأسقط فى يد هانئ، إذ لا يستطيع بعد هذا إنكاراً.

إلاّ أنّه رفض رفضاً قاطعاً تسـليم مسلم إلى ابن زياد، نعم، أن يُخرجه من داره فهذا ممكن، أمّا أنْ يُسلّمه إلى التعذيب والقتل وهو ضيفه فهذا المستحيل بعينه، وإن ترتّبت عليه العواقب الوخيمة.

عُذّب هانئ التعذيب الشديد، وألقى به فى السجن.

لقد انكشف محلّ اختفاء مسلم لابن زياد.

ومن قبل قد انكشفت أهداف وجوده فى الكوفة.

وابن زياد هو من يُعرف بالدموية والجبروت.

وقد اعتقل الشخص الذى هو من قادة جنده ـــ أى جند مسلم ـــ وزعيم قبيلة عظيمة، ومن هو مقيم فى داره.

واعتقاله كان بسببه، ولعلّه يُقتل.

فوجوده ـــ مسلم ـــ أصبح فى خطر فقد يتعرّض للاعتقال وللقتل.

والأسباب التى هيّأها مهدّدة بالانفراط.

والناس بالمُبايعة مُعرّضة للاعتقال والتعذيب وللتشتّت فى الأقلّ.

والحركة الحسينيّة كلّها أصبحت فى معرض الخطر والانطفاء.

والإمام السبط نفسه فى خطر، فهو مطلوب للسلطة التى تريد قتله بأيّة وسيلة.

البناء المحمّدى كلّه فى خطر.

سينهار كلّ شىء، بسبب غير متوقّع وغير محسوب.

وعشيرة هانئ، أستهدأ لو قتل زعيمها؟ أم ستنقلب على مسلم وتُلقى عليه اللوم لأنّه سبّب الكارثة؟ فهذه العشيرة المتهيّئة لنصرة الإمام ستكون معارضة لحركة الإمام أو خاذلة ما دام الحال هكذا.

لابدّ من عمل شيء يوقف الانهيار.

ما من حلّ غير إعلان الثورة والإمساك بزمام الأمور قبل أن تفلت نهائياً.

إنّ ترك الأمور تجرى كيفما اتّفق، وتحمّل عواقبها، قد يؤدّى إلى نتائج غير مرضيّة إطلاقاً.

منها: أن يشنّ ابن زياد هجوماً مباغتاً على مساكن عشيرة هانئ لاعتقال مسلم رضى الله عنه، وهذا يستلزم لحوق تدمير واسع النطاق بعشيرة هانئ وممتلكاتها، وقد يعرّضهم هذا الهجوم للإبادة، ولمختلف ألوان البطش الأموية، كالاعتقال والقتل ومصادرة الممتلكات وهدم البيوت والتهجير، والمعروف عن بنى أميّة عدم تورّعهم عن شيء بما فيه بيع نساء المسلمين فى الأسواق واستباحتهنّ، كما صنع بسر بن أرطأة أيّام معاوية بأهل اليمن المسلمين المؤمنين.

ومنها: أن يؤدّى ضغط السلطة المتجبّرة ببعض أفراد عشيرة هانئ إلى تسليم مسلم إلى ابن زياد، وفيه الخطر العظيم على مسلم وحركته ومن يرتبط به، كما به إلحاق العار بعشيرة هانئ، وتفتّت جيش مسلم، ووقوع الفتنة بين أنصاره.

فلم يكن أمام مسلم إلاّ احتمال أقلّ ما يُمكن من الخسائر،واستباق الأحداث بإعلان الثورة، وكفّ يد السلطة لحين قدوم الإمام عليه السلام.

وهكذا كان.

لِمَ استعجل مسلم المواجهة

قـد يُستشـكل، ويُثار تساؤل على أنّ المهمة المبعوث مسـلم إليها، هى اسـتطلاع أحوال الكوفة وإبلاغ الإمام بالحال كى يتّخذ الإمام القرار المناسب، فلِمَ وَسَّعَ مسـلم رضـى الله عنه ساحة عمله، واتّخذ مواقف متعدّدة، آخرها وأعظمها إعلان الثورة، واحتلال الكوفة، والدخول فى المواجهة المباشرة مع النظام الفاسد.

وقد يستشهد لانحصار مهمّته فى مساحة ضيّقة ببعض النصوص الروائية والتاريخية، منها على سبيل المثال:

ما عن الشيخ المفيد رحمه الله: أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة كتاباً أرسله مع مسلم رضى الله عنه حين بعثه إليهم:

«وإنّى بـاعث إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهـل بيتى فـإن كتب إلىّ أنّه قـد اجتمع رأى ملئكم وذوى الحجا والفضل منكم على مثل ما قدِمت به رسلكم وقرأتُ فى كتبكم أقدِم عليكم وشيكاً إن شاء الله».

قال المفيد: ودعا الحسـين بن على عليهما السـلام مسـلم بن عقيل بن أبى طالب رضـى الله عنهم فسـرّحه مع قيس بن مسـهّر الصـيداوى، وعمارة بن عبيد السلولى وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبى وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف

فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلک(1).

وقال أيضاً: وقدّم أمامه ابن عمّه مسلم بن عقيل رضى الله عنه وأرضاه للدعوة إلى الله والبيعة له على الجهاد(2).

فلا يظهر من كلام المفيد أنّ هناک أمراً من الإمام لمسلمٍ بالقتال بل عليه استعلام الوضع وأخذ البيعة والكتابة إلى الإمام بحقيقة الحال.

ويُمكن أن يُجاب:

بـأنّ النصوص التاريخيـة لا يمكن لها أن تنهض ببيان جميع ما اتّفق عليه بين الإمام ومسـلم، إذ لعلّ هناک وسائل أخرى، أو أوامر وبيانات شفهية مباشـرة من الإمام إلى مسلم قبل سفره، أو بعد سفره بواسطة ثقات ونحو هذه، إذ لا يُعقل أنّ الإمام اختصر مراده وتوجيهه لمسلم بما ذكرته النصوص التاريخية.

ثمّ إنّ مسـلماً عاش دهره فى بيت الإمام ووعى التشـريع بكليّاته وجزئياته من خلال المعايشة اليومية مع الأئمّة الأطهار عليهم السـلام كما عاش الأحداث بالتفصيل، ووعى كيفيّة معالجة الأئمّة للأحداث ووجهة تصريفهم لها بما يناسب التشريع والمصالح.

فهـو خزانـة علم يحمـل بين جوانحه الكـثير من العلم والتجـارب والإحسـاس بالمسؤوليـة والمعانـاة فهو يُمكن له أن يباشـر بعض المهـام ويعالجها بما اختزنه طيلة هذه السنين.

1- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص39.

2- الإرشاد للشيخ المفيد: ج2، ص31.

وثانياً: إنّ بعض توضيحات الإمام له، يمكن أن لا تصلنا تاريخياً للزوم التكتّم فى هذه الإرشادات والبيانات والتوجيهات، كما هو الحال فى مثل هذه المهمّات ومثل هذه الظروف، ثمّ تذهب هذه الأسرار والبيانات مع صاحبها إلى العالم الآخر وتبقى الأمور مبهمة تاريخياً، حتّى يوضحها أحد المعصومين، أو تبقى سرّاً من الأسرار.

وثالثاً: على مسلم الالتزام بما فى الرسالة إضافة إلى أوامر الإمام الشفهية والمتتابعة إليه أيضاً عبر السفراء الآخرين.

إلاّ أنّه ـــ بحكم علمه وتديّنه وتقواه ـــ يلزم عليه القيام بتكاليف أخرى دينية أو إنسانية بحسب متطلّبات الظروف ومستجدات الأحاديث.

الكوفة كانت تعيش غلياناً وأحداثاً مصيرية متسارعة، إذ هَلَكَ معاوية وقام يزيد مكانه، فقبل أن يلتقط يزيد أنفاسه ويعى الأمور، ويدرک وجهة الأحداث، لابدّ من عمل شىء سريع يقصم ظهره، ويشغله بجراحه، فعلى رئيس القوم أن يدير دفّة الأحداث ويوجّه جمهور الأمّة زعماءها لما فيه لمّ الشمل وحفظ النظام وإعداد العدّة للمواجهة ومشاغلة السلطة إلى حين تسديد الضربة القاضية.

الكوفة مقبلة على حدثٍ عظيم وهو قدوم سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليها لقيادة أهلها إلى ما به إحداث زلزال فى كيان السلطة الحاكمة وإيقاظ الأمّة فى عموم العالم الإسلامى وما به إنهاء مأساة البشرية المعذّبة المنهكة والإجهاز على البغاة المرتدين المجرمين، فكيف يمكن ترک الكوفة تجرى فيها الأحداث كيفما اتّفق وبدون توجيه مركزى ودون السيطرة على الدفّة فيها

ولاسيما بعدما كتب مسلم إلى الإمام عليه السلام بالقدوم.

حاول الطاغية يزيد تضييق الأرض برحبها على الإمام عليه السلام، وبدخول مسلم إلى الكوفة وأخذه البيعة من الناس فإنّ الإمام عليه السلام قد أصبح فى مواجهة مكشوفة تماماً مع السلطة الجائرة وقد قرّر عليه السلام الحضور مع نسائه وصِبيته وخُلّص صحبه إلى الكوفة ليأمن على الجميع وليبدأ حركته المقدّسة، فهل يمكن ترك الكوفة تفعل فيها الأعاصير دون ضبط حركتها حتّى وصول الإمام عليه السلام؟

إنّ ما حصل فيما بعد كان يخشاه مسلم ويحذره وقد حاول وقف عجلة التدهور واستمات فى هذا السبيل.

لم يكن لمسلم أن يترك الأمور تجرى دون اتخاذ الموقف المناسب.

لم يكن له ترك الكوفة فى مرجل دون إعمال جهده فى تسيير وتوجيه الحدث.

العمل كلّه فى هذا اليوم، وما بعد، سيترتّب على أحداث اليوم.

لكنّ الكوفة قلبت له ظهر المجنّ وتركته وحيداً يصارع الطاغوت، فسقط البطل شهيداً وحرمت الأمّة نفسها من نسائم الحريّة من جديد.

وهناك رأى ـــ وهو غير مرضىّ على أىّ حال ـــ يقول: إنّ مسلماً أعلن الثورة بعد اعتقال هانئ، لعلمه بأنّه سيلقى نفس المصير(1).

وسبب عدم ارتضائه:

1- حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القريشى: ج2، ص380.

أ ـــ إنّه رأى يحتاج إلى دليل يدعمه وهو مفقود فى المقام.

ب ـــ إنّ هـذا الرأى لاـ يمكن المصـير إليه مـع وجود الوجوه الأـخرى، وهى أقرب إلى الواقع بكـثير من هـذا الرأى مع ملاحظـة جوانب الموضوع الفقهية والعقائدية والواقعية.

ج ـــ إنّ هـذا الوجه ينـاسب إمرءاً يسـعى إلى سـلطان، وهمّه بناء كيان يتمتّع به ويغرف من طيّباته، ولا يناسب امرءاً جاء للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولتحكيم الإسـلام فى الأرض، ولإطاعـة إمام معصوم هو خليفة الله فى الأرض، ولفعل المسـتحيل من أجل إنقاذ أهل البيت من المصائب والمكائـد والمؤامرات المحيطة بهم، ولإنقاذ الأمّة المؤمنة المستضـعفة من أحطّ مجرمى الأرض، ولإنهاض الإسـلام والشريعة من جديد.

أمّا مسألـة الخوف من الاعتقال فهـذا آخر ما يفكّر به مسـلم لدلالـة النصوص والسـيرة على هذا، لا لمجرّد حسن الظنّ به، وللتبرير لمنهجه على كلّ حال، فهو رضوان الله تعالى عليه غير محتاج لتبرير شىء من عمله، ومراجعة النصوص التاريخية المتوفّرة بحقّه بدقّة وإمعان تُفضى إلى هذه النتيجة.

نعم، إن كان المقصود من تخوّفه الاعتقال، إنّما هو لتخوّفه على حركة الإمام ونهضته من أن تكبو، وتكبو معها كل الآمال، بل يتعرّض الإمام معها للخطر العظيم القطعى، فهذا فى محلّه تماماً، إذ عليه المحافظة على نفسه لدفع عجلة الأحداث إلى الأمان، إلى أن يتمكّن من تسـليم الأمانة ـــ وفيها الروح ـــ إلى ولى الأمر، الإمام القائد الحسين بن على عليهما السلام.

مسلم فی الساحة

أعلن مسلم الثورة، وسيطر على الأوضاع بسرعة.

وأوّل ما يلاحظ فی طريقة إدارته للأحداث؛ تواجده المستمرّ بين الناس لتوجيههم التوجيه الصحيح، ولشحذ هممهم.

ومعلوم أنّه لولا تواجده فی الساحة لحصلت استباحة للطرف المغلوب، وهرج ومرج كما يحصل فی كلّ مكان تنحسر عنه يد السلطة وتفلت مقاليد الأمور، وما يُخاف منه لم يحصل.

مسلم المشبع بالروح الإيمانية، المتمثّلة قوانين الإسلام فی سلوكه، الذی بلغ التزامه إلى مرتبة بحيث لم يقتل ابن زياد وهو العدوّ الأوّل ورأس الحربة عند حضوره فی دار هانئ، لأنّ مبدأً إسلامياً يمنع من استعمال الفتک فی مثل هذا الحال فكيف به فی بقيّة الأمور.

ألقِ بصرک حيث شئت فی شرق الأرض وغربها، أتجد لمسلمٍ نظيراً؟! وهكذا هو الإسلام.

مسلم هاشمیّ متشبّع بالروح والمفاهيم الهاشمية وكلّها نُبل وسموّ وتعالٍ عن سفاسف الأمور ورذائلها، فتجلّت تلک الروح فيه حتّى كفّ يد أنصاره عن رذائل الأعمال ووجّههم نحو الهدف السامی المراد تشييده.

واقلب الحال عند ذكر عدوّه ـــ آل أميّة وأنصارهم ـــ الذين يقتلون الرضيع، ويسلبون المرأة حجلها بدعوى: إن لم أسلبها سلبها غيرى، ويقتادون عائلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ـ النساء والصِبية ـ بأسوأ حال، ولم يُعرف عنهم أنّهم أسروا أحداً من ساحة المعركة بل كان همّهم القتل، وقطع الرأس، ونيل الجائزة، وكفى.

إن تواجد مسلمٍ فى ساحة الأحداث إن لم يُفِد الحركة ويدفع بها إلى الأمام ويبث فيها روحاً حماسياً عالية فهو لم يؤثّر فيها سلباً قطعاً.

كيف: وجوده أدّى إلى إقبال الكوفيين من كلّ حَدبٍ صوب للمشاركة فى التعجيل بانهيار الكيان الحاكم ولطىّ صفحة بنى أمية ولتعضيد حركة مسلم رضى الله عنه، ولعلّ المشاركة الواسعة هى أحد أسباب الانهيار السريع؛ إذ ظهرت فيهم روح التواكل واضحة مما دفع هذا وذاك إلى الانسحاب من الساحة، وإذا بالانسحاب يستشرى ويتوسّع وهذه إحدى الآثار السيئة لجريمة ـــ الفرار من الزحف ـــ فالانهيار حدث: لروح التواكل، وحب السلامة، والخوف العظيم من بطش الأمويين.

مسلم يقود المدينة الأعتى:

الكوفة مدينة الأجناد، أسّست لتكون مقرّاً للعساكر ومجتمعاً لها فمنها يكون الانطلاق إلى فتح البلدان، ومن خلالها تُرفد الجيوش الإسلامية لما تحتاج إليه من عدّةٍ وعَدَد.

فهى من أهمّ المدن فى المجتمع الإسلامى وأكثرها تحسّساً لمجريات

الأحداث، ومن أمسک بها أمسک بزمام الأمور، وبخناق الدولة.

هذه المدينة أرّقت كلّ من حكمها، أتعبت أمير المؤمنين، كما أتعبت أعداءه، أرّقت الدولة الأموية كثيراً وشغلت ساستها وأرعبتهم حتّى ما رأوا لها علاجاً غير عتاة الولاة وأشرسهم وأقذرهم وغير سياسة الفتک والإبادة والقتل والنفی وهدم المنازل.

هذه المدينة العصيّة علی قادتها، اختار لها إمام الهدی الحسين بن علیّ ابن عمّه مسلم بن عقيل قائداً ومرشداً لها، ورائداً له.

كيف يتمكّن غريب ليس من أهلها من الدخول إليها ومن الإمساک بزمام الأمور فيها ومن السيطرة علی شيوخها ورؤسائها وأهلها مع الالتفات إلی حضور كيان الدولة الطاغوتية وجهازها فی ساحتها بوجود الوالی وأتباعه وحرسه وجنده ومواليه.

يا له من تكليف شديد يُناط بمسلم ذی الروح الملائكية.

إنّ هذا التكليف كشف عن جوانب العظمة فی مسلم.

علمه، استقامته، ورعه، إيمانه، فدائيته، هيبته، بلاغته وفصاحته، معرفته بخصوصيات المجتمع وسننه، تمسّكه بإمامة الحسين عليه السلام وبحقّه فی القيام مقام النبیّ الأعظم صلی الله عليه وآله وسلم لحراسة دينه، وإدارة شؤون دَوْلَتِه، وإرشاد أمّته.

مسلم فی الأسر

لم تتمكّن القوّة العسكرية الضاربة الأموية من إلقاء القبض على مسلم، وهو فرد واحد لم يتصدّ لإعانته أحد غير ما صدر من طوعة، وهم جند مدرّب مسلّح يعدّون بالمئات.

لم يتمكّنوا منه أبداً رغم سيوفهم ورماحهم ونبالهم وجموعهم حتّى فعلوا فعلة الجبناء الغدرة اللئام.

لقد عرضوا عليه الأمان وأن لا خوف عليه، ونصبوا له الكمائن.

ومن نافلة الكلام أن نبيّن أنّ مسلماً يعلم علماً قطعيّاً أن لا أمان لهؤلاء إذ لم يُعرف فی قاموسهم عنوانٌ لفضيلة أو مكرمةٍ، أو معانٍ إنسانيةٍ نبيلة، أو احترام ميثاقٍ إذ الغدر شأنهم فی طول مسيرتهم الوجودية جيلاً بعد جيل.

معاوية غدر بالإمام الحسن بعد عقد الصلح ونكث على منبر المسلمين أمام الإمامين السبطين، وأمام الجيشين وفی بيت الله ـــ مسجد الكوفة ـــ عهوده والتزاماته، ثمّ ما فتئ حتّى قتله.

أيّ أمانٍ لجمع بايعوا الإمام المعصوم بعدما كاتبوه واستنهضوه عشرة أعوام، ونكثوا خلال يوم، ومنهم أماثل الكوفة وعيونها، فكيف بذوى نزعة السوء منهم، لقد أخذ منهم الوعد بالأمان، وإنْ علم أن لا أمان لهم ولا ميثاق، لأنّه لا حلّ آخراً فى البين ـــ وفى نصٍّ آخر أنّهم مع وعده بالأمان فقد حفروا له حفيرة فسقط فيها وتمكّنوا حينذاك منه ـــ.

إذ لو لم يلتزموا بالأمان فسيقتلونه وهو مصيره المحقّق على كلّ حال، وقتله بأمان أفضل؛ لأنّه سيحقّق نتيجةً أفضل، إذ فيه إلحاق الخزى والعار بالفئة الحاكمة ويظهر حقيقة التزامها بالخطّ الإسلامى أمام أوليائها الذين ما فتئوا يوالونها ويَدينون بطاعتها والتزام إسلاميّتها مع كلّ ما جرى منها وهل هذا منهم إلاّ مخادعة لأنفسهم.

الفئة الحاكمة ما تمكّنت من أسر شخص واحد إلاّ بالخديعة ثمّ غدرت به وقتلته وما تحمّلت التزاماً إسلامياً واحداً إلاّ وحلّت عقدته ونقّذت فى سيّدها الحقيق مأربها الخسيس.

ثمّ إنّ قبول مسلم بالأمان يعطيه فرصة لتدارک بعض أموره؛ منها: محاولة إيصال خبر وضع الكوفة الفعلى إلى سيّد الشهداء كى يتّخذ موقفاً إزاء الوضع الجديد، فلا يصل إلى الكوفة، أو يقدمها بعد الاستعداد لها استعداداً أمثل، يناسب ما بلغت إليه الأمور وأظهرته الفئة المتغطرسة من بطش.

مسلم يحاول المستحيل

ما إن ننتهى من ذكر مكرمة لمسـلم رضوان الله تعالى عليه، أو مأثرة عنه، حتّى تطالعنا أخرى تحكى عن جوانب العظمة فى هذه الشخصية، ممّا يكشف عن سموّها وكمالاتها، وعن استحقاقها لرفيع المقام، وللمنصب الذى عهد إليها.

ومن مآثره: اهتمامه بإيصال خبر الوضع الجديد لأهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

إذ إنّ الكوفة بعدما بقيت تُراسل الإمام عليه السلام سنين عِدّة كى يقدم إليها ويتسلّم زمام أمرها إلى حيث إسقاط دولة أمية ـــ فروع الشجرة الملعونة فى القرآن ـــ وإقامة دولة آل محمد سفينة نجاة الأمة، ومن بعدها أرسل الإمام مسـلماً ليطّلع على أحوال الكوفيّين عياناً فوصـلها مسـلم ورأى إقبال الناس عليه ومبايعتهم له مع أن الحكومـة الأمويـة قائمـة ووالیها فى الكوفة موجود مبسوط اليد، كتب مسـلم إلى الإمام بالحضور وإذا بأهلها ينكثون عهدهم ويتنصّلون من بيعتهم بعد بدء الإمام بمواجهة السلطة وحيث لا يمكن التوقّف.

فحاول مسلم المستحيل فى سبيل إيصال خبر انتقاض وضع الكوفة وانقلاب الأمور فيها وغدر أهلها إلى سيّد الشهداء عليه السلام.

إذ كلّف اثنين من قادة الجيش الأموى بإيصال الخبر إلى الإمام عليه السلام، أحدهما: محمد بن الأشعث بن قيس، قائد الجيش الأموى الذى اعتقله، والذى بذل الأمان له.

وثانيهما: عمر بن سعد بن أبى وقّاص قائد جيش الكفر الذى حارب ابن رسول الله وذبحه وقتل خيرة الهاشميّين والمؤمنين، وسبى نساء النبىّ وعائلته وصغار أولاده.

ومن هذا الاختيار نعلم ظروف مسلم رضى الله عنه ومستوى الأناس المحيطين به فى تلك الساعات الأخيرة من حياته المقدّسة، وشدّة إصراره على إيصال الخبر بكلّ طريق ممكن إلى الإمام القائد صلوات الله عليه.

وهنا أمران نؤكّد عليهما:

الأمر الأوّل: الإيثار ونكران الذات من مسلم تجاه إمامه وقائده خليفة رسول الله وحامل رايته الحسين بن على عليهما السلام، وهذا ظاهر فى طول مسيرة مسلم.

إلاّ أنّ دلالته هنا وعبرته أعظم لأنّ الخطر الفعلى محدِقٌ به ومع ذلک لم يأبه لنفسه، ومسلم فى سلوكه هذا يمثّل الطرف الآخر فى الوجود الإنسانى والطرف الأوّل يتمثّل فى غالبية الناس من التفكير فى أنفسهم أوّلاً والتأمّل فى حسابات الربح والخسارة الآنيّة قبل الإقدام على عملٍ ما.

الأمر الثانى: محاولة مسلم تدارک ما قام بإبلاغه للإمام فى رسالته السابقة، من توفّر الأوضاع الملائمة للثورة ضدّ الأمويين، والتزام أهل الكوفة بنصرة الإمام عليه السلام عبر العقود والوعود التى قطعوها على أنفسهم لمسلم.

وكـانت محاولـة مسـلم لإيصـال الخبر للإمام كى يتـدارک الأمر ويتّخـذ الموقف المناسب، فيها اسـتماتة واضـحة، إذ التجأ ـــ لعـدم توفّر المعاضد والنصير ـــ إلى تكليف رجلين هما من قادة الجيش الأموى للقيام بهذه المهمّة.

ولكن، هل وَثِقَ مسلمٌ حقّاً بقيام هذين بهذه المهمّة فيوكل إليهما هذا الأمر العظيم؟

والجواب يتّضح من خلال التأمّل ممّا قدّمناه.

إذ لم يكن لمسـلم خيار، وما من أحدٍ يثق به الوثاقة المطلوبة كى يكلّفه فقد احتوشه الذئاب من كلّ مكان وقطعوا كلّ صلةٍ بينه وبين كلَ من له عُلقة ولاءٍ بمسلم فأنّى له بمن يُرسله إلى الإمام.

ثمّ إنّ هـذين ـــ عمر بن سـعد ومحمـد بن الأشـعث ـــ لم يكونا فى تلک الآونة، عدوّين لمسـلم تلک العداوة المطلقة التى يحدّث عنها التأريـخ فى ابن زياد وفى شـمر بن ذى الجوشن، نجـد مثلاً أنّ عمر بن سـعد حاول التنصّل من الخروج لحرب الإمام حينما كلّفه بهذا ابن زياد غير أنّ الأخير خدعه بولاية الرىّ وجرجان إن حارب الإمام وأنهى له هذه القضية بما تُريده الفئة الحاكمة الفاسدة فوقع فى الفخّ وتمكّن منه الشيطان إذ أتاه من نقطة ضعفِه.

ثمّ لم يزل ابن سـعد يحاول الوصول إلى حلّ وسط فى كربلاء مع الإمام وقارب الأمر هذا، إلاّ أنّ ابن زياد ـــ بتحريض شـمر ـــ قطع عليه محاولاته وألجأه إلى اعتقال الإمام باستسـلام تامّ أو قتاله وقتله، وعنـد هـذه النقطـة من الأحـداث انقطعت العُلقة تماماً بين ابن سـعد وبين الطرف الآخر ـــ طرف الإمام وصحبه ـــ

فهو إلى ما قبل المعركة بأيّام كان قابلاً لانتهاج خط أبى هريرة وخط أبيه سعد بن أبى وقّاص وهو خط الصعود إلى الجبل أو خط الحياد كما هو مصطلح هذا الزمان.

وأمّا محمّد بن الأشعث فهو وإن كان من خط الكيان الحاكم إلاّ أنّه كان يمكن تكليفه بمهمّة من هذا القبيل، إذ إنّ إيصال الخبر إلى الإمام ليس فيه إذكاء خطرٍ ضدّ الكيان الحاكم بل على العكس فيه إيقاف خطرٍ يتهدّده ولا يُعلم عواقبه.

مسلمٌ إذن، فعل ما نالته يد قدرته فى إيصال الخبر إلى الإمام.

وأمر آخر يُنبئ عن شدّة إيمان مسلم وقوّة يقينه:

روى أنّه طلب من جلاّديه أن يمهلوه كى يصلّى ركعتين قبل أن ينفّذوا جريمتهم العظمى فيه، فصلّى ثم دعا الله سبحانه أن يوصل الخبر إلى سيّد الشهداء بما جرى.

الواضح: إنّ كلّ ما صنعه مسلم فى هذا الغرض قد آتى نتائجه وحصل ما كان يرجوه.

أمّا ابن سعد وابن الأشعث فقد بعثا ـــ كلٌّ على انفراد ـــ من يُبلّغ الإمام رسالة مسلم بما آلت إليه الأحداث.

فعن تاريخ الإسلام للذهبى: أرسل ابن سعد رجلاً على ناقة إلى الحسين يُخبره بقتل مسلم بن عقيل(1).

1- تأريخ الذهبى: ج2، ص270 و ص344.

وفی الأخبار الطوال؛ وصول رسول محمّد بن الأشعث وعمر بن سعد إلی الإمام بما کان سأله مسلم أن یکتب به إلیه من أمره، وخذلان أهل الکوفة إیّاه، بعد أن بایعوه(1).

وروی الطبری(2): أنّ محمّد بن الأشعث أرسل إیاس الطائی وقال له:

القِ حسیناً فأبلغه هذا الکتاب، وکتب فیه الذی أمره مسلم بن عقیل وقد التقی إیاس بالإمام وأخبره الخبر وبلّغه الرسالة(3).

وأمّا نتیجة الدعاء، فإنّ الإمام التقی بفارسین فی منطقة تُدعی زرود عندهما خبر من الکوفة فأبلغاه خبر مسلم وهانئ وما جری علیهما.

بل إنّ الإمام التقی هذین الفارسین، ومبعوثی ابن سعد وابن الأشعث، والفرزدق أو الطرماح وغیرهم وکلّهم أخبره خبر مسلم بالخصوص، أو بانقلاب الأوضاع فی الکوفة لصالح بنی أمیة.

ومن نافلة القول أن نوضّح أنّ الإمام کان علی علمٍ مسبق بجمیع أحداث مسیرته، عِلماً استقاه من جدّه النبیّ الأعظم، ومن أبیه الوصی، ومن طرقٍ أخری تتهیّأ للإمام المعصوم، حجّة الله علی البشر وخلیفته فی خلقه.

1- الأخبار الطوال لأبی حنیفة الدینوری: ص248.

2- تأریخ الطبری لمحمد بن جریر الطبری: ج6، ص211.

3- معالم المدرستین للسید مرتضی العسکری: ج3، ص65 __ 66.

مسلم فی مجلس ابن زیاد

دخل مسلم مجلس حکم ابن زیاد وملء إهابهِ تلک النفس الهاشمیة الکبیرة المتسامیة التی لا تأبه لظالم أو متجبّر.

دخل علی ابن زیاد دون أن یُسلّم علیه بالإمرة.

کان أعظم همّ مسلم فی تلک الساعة أن یوصی ما فی نفسه؛ لأنّ القتل أصبح منه قاب قوسین أو أدنی فلا فائدة من الاهتمام لهذا الأمر والأجدر الالتفات إلی الأهمّ.

الأهمّ فی نظر مسلم فی تلک الساعة وذلک الظرف:

أ ـــ تسدید دیونه.

ب ـــ ضمان دفن جُثّته.

ج ـــ إیصال أخبار الکوفة وأهلها ـــ بحسب وضعها الأخیر ـــ إلی الإمام الحسین کی یتّخذ الموقف المطلوب.

بعدما أوصی بما یهمّه.

التفت ابن زیاد إلی مسلم قائلاً: إیهٍ یا ابن عقیل، أتیت الناس وهم جمیع فشتّت بینهم، وفرّقت کلمتهم، وحملت بعضهم علی بعض.

نفس المنطق الـذى كان يتحـدّث به زعماء مكّـة فى مقابل الدعوة المحمّدية فى أيّامها الأولى، وكأنّ بقاء الناس وحدة واحدة، وكلمة متّفقة، من المهمّ المطلوب وإن كانت وحدتها واتفاقها على خلاف إرادة الله، وعلى خلاف أمره ونهيه.

أجابه مسـلم: لستُ لذلک أتيت، ولكنّ أهل المصـر زعموا أنّ أباک قتل خيارهم وسفک دماءهم وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب.

فما ردّ ابن زياد بغير الشتائم.

لقـد لطم مسـلمٌ ابن زياد اللطمـة الشديـدة ببيانه هـذا، وأذهله عن الجواب وصـرّح بزيفه وزيف الجهـة التى يعمل تحت إمرتها فى مجلس سلطانه، وبينه وبين الموت خطوة.

ثمّ ما كان جواب الطاغية على بيان مسلم وحديثه إلاّ أن قال له: قتلنى الله إن لم أقتلک قتلة لم يُقتلها أحدٌ فى الإسلام من الناس.

فأجابه صـهر علىّ عليه السلام وربيبه: أما إنّک أحقّ من أحدث فى الإسلام ما لم يكن، وإنّک لا تدع سوء القتلة وقُبح المُثلة وخُبث السريرة ولؤم الغلبة، فما زاد ابن زياد على شتائمه إلاّ بشتائم، ثمّ أمر بضرب عنق مسلم.

استشهاد مسلم ومدفنه

استعمل الجند الأموى أساليب عِدّة للتمكّن من مسلم ولإلقاء القبض عليه، بعد استعلام مكان وجوده.

1 ـــ فأوّل ما فعلوه أنّهم وضعوا الجائزة المُغرية لمن يجىء به.

وجعل الجوائز يُنبئ عن حقيقة من حقائق بنى أميّة: تفضيل الذات فى التمتّع بمزايا الدولة وخيراتها، ومن هو كالذات كالأولاد والأزواج والأقارب، ومن هم فى خدمة الذات المتسلّطة ومن يتعلّق بها كالمحاسيب والأتباع والأذناب وهذا ابتداءً جليّاً أيّام عثمان.

أمّا غير من تقدّم فإنّ الخطّة قائمة على ترغيب ذوى الشأن والإمكانات فإن خضع ودخل فى زمرة الأتباع، فإنّه يُعطى الشىء وإن كان ما يُعطاه دون ما تناله الطائفة الأولى بكثير، وإن أبى حَلّت به الكوارث وسُلبت منه النِعم.

أمّا عامّة الأمّة فلا نصيب لها فى خيرات الدولة ومِتعها ومزاياها من قليل ولا كثير، وإنّما نصيبها البؤس والجوع والضُرّ على كلّ حال، وعليها الخضوع لأمر الرؤساء القبليّين أو الحكّام المنصّبين فإن أطاع نال ما لا يُسمن ولا يُغنى من جوع وإن عصى فالموت ينتظره.

فالحرمان هو القاعـدة ولا تفكّر والحال هـذا إلاّ بلقمة الغد والأمن من سـطوات الحاكمين، وهذا فى الواقع جزء من المحنة التى أوقع الأمّة فيها من تسـلّط على رقابها بالسـيف والإرهاب بعد رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم ـــ غير علىّ أمير المؤمنين وولده السـبط الحسن المجتبى صـلوات الله عليهما ـــ كما أنّ هذا الحال جزء من الامتحان الربّانى لهذه الأمّة، وعلى الأمّة اتّخاذ الموقف الصحيح عند المحنة كى تنصر الله سبحانه:

((... إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))(1).

وتنجو من سطواته سبحانه، إذ سطواته محيطة بالظالمين ومن يشدّ أزرهم ويعينهم على مرادهم.

على أنّ الأمّة سقطت فى بحر الفتنة، والامتحان الإلهى نتيجة فعلها وغبائها وسوء اختيارها إذ اختارت غير ما اختاره الله لها وخضعت لمن لاـ لزوم فى اتبـاعه وتركت من عيّنه الله تعـالى بالنصّ الواضـح والاسم الصـريح وسـيرة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ونصوصه الكثيرة المتضافرة المتواترة حجّة على الكلّ، ولاتَ حين مندَم.

وممّا يَحْسُن التنبيه له هنا والتأكيد عليه وإلفات النظر إليه، والرجاء إعطاء التأمّل فيه حقّه:

أنّ البحث فى جوانب سـيرة المعصومين عليهم السلام والتأمّل فيها يُعطى ويُفيد أنّ الأئمّة استفادوا من المال فى سبيل دعم الإسلام ونشره وتقوية الإيمان

1- سورة محمد، الآية: 7.

والترفيه عن المحرومين ودفع غائلة النواصب والمخالفين والحاقدين، وقضاء حوائج المحتاجين، وكانوا يفضّلون الأبعد على الأقرب ومن الخوالد فى هذا المجال ما نزلت له سورة الدهر:

((وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا))(1).

ومن المعلوم أنّ الأسير من الكفّار، وأنّ أمير المؤمنين والأبرار الذين معه قدّموا الأسير على أنفسهم.

فالأئمّة عليهم السلام يسخّرون المال لدعم الإسلام ولما تدعو إليه مكارم الأخلاق، ولا يسخّرونه للضغط على إنسان لإركاعه ولسلب إرادته، أو يتركونه فريسة الجوع والحرمان كى ينالوا طاعته وامتثاله، والقاعدة التى ينظر من خلالها إلى محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم لا مثيل لهم فى مكارم الأخلاق وسموّ الأهداف وليس لشيعتهم إلاّ أن ينهجوا نهجهم، والإجمال فى هذا المقام أجمل، وللتفصيل محلّ آخر.

2 ـــ تهديد كلّ من يؤويه بإهدار دمه.

3 ـــ تهديد ابن زياد لمدير الشرطة بإعدامه إن أفلت مسلمٌ منه.

4 ـــ بثّ العيون والجواسيس لمراقبة الأزقّة.

5 ـــ تخويل الشرطة بل توجيه الأوامر لهم بتفتيش جميع الدور فى الكوفة.

1- سورة الدهر، الآيات: 8 ـــ 11.

6 ـــ إرسال جمعٍ كثير من الجُند لإلقاء القبض عليه.

7 ـــ اختيار الجُند من عشيرة معيّنة لا تأبه لمقاتلة مسلم وتأمير أحد شيوخ هذه العشيرة عليها فى هذه المهمّة كى تأخذ الأوامر الموجّهة إليهم تأثيرها المؤكّد.

8 ـــ رميه بالأحجار وبأكوام القصب المحترق مع احتشاد العشرات عليه ومقاتلتهم إيّاه بكلّ سلاح، وهو واحد ولا نصير له.

9 ـــ ثمّ ختموا خطّتهم ببذل الأمان المؤكّد له وكان قد عجز عن القتال وأثخن بالجراح وكانت النتيجة ميؤوساً منها جدّاً لعدم المعاضد والنصير، غير أنّهم بمجرّد تمكّنهم منه سارعوا لنكث عقدهم ووعدهم وإبداء معالم الغدر له.

10 ـــ ويُقال إنّه إضافة إلى ما تقدّم فإنّهم حفروا له حفيرة وألجأوا إلى السقوط فيها فتمكّنوا منه حينذاك(1).

بعد إلقاء القبض عليه، جرّدوه من سلاحه، ثمّ قدّموه إلى ابن زياد، لم يترك مسلم الوصيّة فى هذه الساعة، وهو محتوَشٌ بهذه الفئة المستهترة، وقد تقدّم الحديث عنها وعن المقابلة التى تمّت بينه وبين الطاغية ابن زياد.

ثمّ بعد هذا أمر ابن زياد بكر بن حمران ـــ وكان قد ضرب مسلماً فى أثناء القتال فردّ عليه مسلم ضربته بضربة عظيمة ـــ بأن يُنفّذ الجريمة، فصعدوا به فوق قصر الإمارة يسبّح الله ويحمده ويستغفره شاكراً له على حُسن بلائه، شاكياً إليه سوء الناس وسيّئات مواقفهم، ويصلّى على ملائكة الله ورسله ويقول:

1- ينابيع المودّة لسليمان الحنفى القندوزى: ج3، ص58.

«اللهمّ أحكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا»(1).

وروى أنّه صلّى ركعتين ودعا الله سبحانه.

ثمّ ضربوا عنقه، ورموا برأسه وجثمانه المقدّسين من أعلى القصر.

واليوم: مرقد مسلم بن عقيل يُناطح السحاب، ويقصده الملايين من شتّى بقاع المعمورة، يستنشقون عطر الكرامة والشمم، ويستذكرون المواقف العظيمة لبطل الإسلام مسلم، ويلعنون قتلته ويتبرّأون منهم ومن نهجهم وأهدافهم وفكرهم ورجالهم ومن يُحسب عليهم ومن يُدافع عنهم ومن يُبرّر لهم.

مسلم بن عقيل يرقد اليوم فى موقع يأخذ شكل الزاوية بين المسجد الأعظم فى الكوفة وقصر الإمارة الذى عفى على بنائه الزمن وليس منه اليوم غير حُفرة أساسه، ويقع مرقده فى الجهة الشرقية من مسجد الكوفة، ويُقابله ـــ بُعْدَ أمتار ـــ مرقد ناصره هانئ بن عروة، كما يرقد إلى جنبه المختار بن أبى عبيد الثقفى الآخذ بثأر الحسين وأهل بيته وصحبه بل بثأر الإسلام.

وبلغ خبر استشهاد مسلم للإمام القائد وهو فى طريقه إلى الكوفة فارتجّ الموضع بالبكاء والعويل لقتله وسالت الدموع عليه كُلّ مسيل.

1- مبعوث الحسين عليه السلام لمحمد على عابدين: ص222.

المرقد المبارک

فی أيّامنا هـذا، فی وسط مدينـة الكوفة، وعلى يمين المتوجّه من مدينة النجف الأشـرف إلى بغداد، وبجوار مسـجد الكوفة، من جهة حائطها الشرقی.

توجد مراقد ثلاثة متجاورة.

أعظمها وأشمخها وأهمّها: مرقد مسلم بن عقيل.

وبجواره مرقـد المختار بن أبی عبيـدة الثقفی، الآخذ بثأر الحسـين من قتلته المباشـرين ويقابله مرقد هانئ بن عروة، قرين مسـلم فی الكفاح والشهادة.

يرقد فی تلک البقعة الشريفة أوّل شهيد من القافلة الحسينية.

شهيد عزّ علی الحسين مصرعه، وأورث قلوب أهل البيت النبوی وشيعتهم كُرَباً وأحزاناً، وأجری دموعهم عبر السنين المتطاولة.

بل أبكی رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم وأجری دموعه وهيّج شكواه إلى ربّه علی ما فی أمالی الصدوق.

هاهنا مَعْلَمٌ شامخ لأهل البيت، يحكی تأريخهم ومحنهم مع الأمّة.

يحكی ما قدّموه من تضحيات جسام، لإرجاع الأمّة إلى الطريق القويم.

يحكى المستحيل الذى سلكوه، لإنقاذ رقبة الأمّة من مشانق سفلتها المتأمّرين الغاصبين بعنوان أمير المؤمنين وخلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأولياء الأمور، هؤلاء الذين ورد بحقّهم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّهم أصحاب الملک العضوض.

هؤلاء هم القرود الذين نزوا على منبر رسول الله وغفلة من الزمن وكسالةٍ من معظم الأمّة.

هؤلاء هم الشجرة الملعونة فى القرآن.

فماذا تريد معرِّفاً أجلى من هذا، لكى تنبذهم وتعرف حقيقة خبثهم الذاتى، أصلاً وفرعاً وثمراً وآثاراً.

مسلم بن عقيل يرقد، لكنّه يحكى للأجيال المتتابعة المتسائلة، عمّا فعله آل البيت وذرّيتهم وشيعتهم المخلصون الفدائيوّن الربّانيوّن لتمهيد الحياة الأسعد لهم.

لكنّ العائبة علينا.

أنحن خلف ذلک السلف؟ الذى نَبَذَ زُخْرُف الحياة ولبس أكفانه وحمل عمود صلبه معه، وصدع بأمر الله، وجهر بالحقّ فأحيا الحقّ ونشره، من بعدما اقتصر على قلائل بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعدما كاد كلّ شىء ينتهى وتسدَلُ الخاتمة.

هل انتهت قضية مسلم؟

لقـد جاهـد مسـلم وفـدى بنفسه الزكيّـة، لتحقيق أهداف مازالت بعيدة المنال إلى اليوم، غير أنّ قضـيّته لا يمكن إسدال السـتار عليها لأنّها أهداف القرآن.

أهداف أمر الله سبحانه ورسوله بها، وقام لأجلها نظام التكوين والتشريع، فلابدّ لها أن تتحقّق وإن طال الزمان وتضافرت الصِعاب إلاّ أنّها لن تتحقّق على أيدى المنحرفين والخائبين ـــ وما ينبغى لها ـــ ولن تتحقّق على أيدى أصحاب المطامع والنظرات الضيّقة.

لابدّ لها من نفوس عامرة بالهدى، هدفها تحقيق الإرادة الإلهية وسيادتها فى الأرض، وتحقيق الحياة النظيفة الكريمة، يتّخذ الناس فيها الدنيا مزرعـة للآـخرة وقنطرة لحياةٍ أكرم وأجلّ وأسـمى، لا أن تكون الـدنيا بنظرهم نهايـة المطاف، فعليهم أن يحتلبوها بكلّ قواهم، وبكلّ طريقةٍ أتيحت لهم، إذ هى بئس الحياة، وأسخفها وأرذلها.

والذين أراد لهم مسلم علوّ الكلمة وظهور الأمر ما زالوا يعيشون أجواء التقيّة درعاً وشعاراً وآخرهم فى الغيبة منذ قرابة الألف ومائتى عام.

وقوانين الحياة التى أراد لها مسلم السريان والشيوع والتطبيق ما زالت غريبة فى ديار المسلمين.

والفئة التى حاولت محقها ما زالت هى المسيطرة على مقدّرات بلاد المسلمين وعلى عقول المسلمين.

قضيّة مسلم لم تنتهِ، وساحة كفاحه مشغولة بالصراع، ولابدّ لحركته أن تستمرّ وتدوم؛ لأنّنا ندّعى أنّنا على نهج أولئک الأبرار وحمل قضيّتهم.

غيبة قادة الأمّة عن الساحة لا تخوّلنا إهمال الأمانة التى نحملها منذ أكثر من ألف عام، هى تركة ثقيلة ومسؤولية جسيمة ولا ريب، لكن ثمن القيام بها الجنّة وهو ثمن ربيح.

نحن من تعهّد بمواصلة الطريق والاستمرار فى حمل الأمانة إلى ظهور صاحب الأمر وبعد ظهوره، نحن الذين فى أعناقنا ديون كثيرة لأولئک الأبرار، فهم سبب طهارة ذاتنا وسبب ارتباطنا بالسماء وانتمائنا للإسلام والإيمان، وسبب بقاء الصلاة فى هذا الارتباط والانتماء بعد أربعة عشر قرناً على ظهور الإسلام العزيز، الظلامة التى ناضلوا من أجل رفعها مستمرّة.

وثأرهم الشخصى ممّن ناهضهم وقتلهم ووقف أمام تحقيق أهدافهم لم يؤخذ، وليست حركة المختار بآخر المطاف.

آخر المطاف: النهضة الإسلامية العظمى التى يُعلنها ويتقدّمها ويرفع لواءها الإمام المنقذ أمل الأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء.

كنز ادّخره المولى سبحانه لقلب صفحة الظلم والجور والفجور والطغيان وإلى الأبد.

كنزٌ مخفىّ ومنسىّ.

على أعتاب حضرته، تقف كل جيوش الله سبحانه، تنتظر الأمر منه، وتهرول إلى الهدف بإشارة منه.

أمّا هو فينتظر الأمر الإلهى فقط.

لن يتحرّك لرسائل جهة ما، ولا لوعودٍ وإن صاحبتها مواثيق وعهود.

لن يسمحَ بطفّ ثانية.

حينما يظهر.

سيحقّق أهداف السماء فى الأرض.

سيحقق الأهداف التى سعى الأنبياء ومن على دربهم لتحقيقها وحال دونها الطغاة والفجرة وأهل الأطماع.

وسيأخذ ثأرهم جميعاً.

ومساحة الانتقام لا تقف ضمن الحدود التى توقّف عندها المختار الثقفى.

بل ستشمل كلّ من رضى بقتل الحسين عليه السلام.

الحسين ثأر الله، وثأر الله يأخذه الله، بِيَدِ كَنْزِهِ المذخورِ لِيَوْمِ الله.

عجّل الله سبحانه له الفرج والظهور، وكتبنا فى المرضيّين عنده، فى غيبته وظهوره.

كيف نحيـ ـى ذكرى بطل الإسلام مسلم؟

لا ريب أنّ للقائد الإسـلامى العظيم، مسـلم بن عقيل، خصوصـية وتميّزاً عن بقيّة القادة، والشـهداء، ممّا يستدعى اهتماماً بإحياء ذكراه مما ليس لغيره، ولابدّ من التأكيد على تلك الخصوصية حتّى يتّضح تماماً وجه تخصيصه بإحياء ذكراه بما يتميّز به عن بقيّة شهداء الأمّة.

وكتابنا هـذا يتكفّل ببيان جوانب مشـرقة عن هذا البطل العظيم، وبيان أوجه تميّزه عن بقيّة الشـهداء، ممّا يسـتدعى اهتماماً اسـتثنائياً لإحياء ذكراه.

وأمر آخر أهـمّ.

أنّ مسـلماً وحركته تابعان للقضـيّة المركزية ـــ قضـية الإمام الحسـين عليه السلام وحركته ونهضته المقدّسة ـــ التى هى ثورة الإسلام كلّه على خطّ الانحراف والطغيان والارتداد عن الإرادة الإلهية والتعاليم القرآنية والوصايا النبوية المؤكّدة.

الإسلام صراط مستقل وخط واحد لا يقبل الميلان عنه قليلاً أو كثيراً، فمن أخذ يميناً وشمالاً فقد زلّ عن خطّ الإسلام وخرج عن المطلوب الربوبى فمن أخطأ الطريق أرشـد إلى الصواب وأخـذ بيده، ومن تعمّد الانحراف فلا جواب له إلاّ القوّة وحدّ السـيف، فكيف بمن عقد العزم على نسخ الإسلام، وجعل القرآن

كتاب تلاوة لا كتاب عمل ومنهاج حياة، وعزل القادة الحقيقيّين للإسلام وخلفاء الرسول بالنصّ ـــ فى الكتاب والسنّة ـــ ومفسّرى القرآن الوحيدين، وسفينة نجاة الأمّة وأولياء الأمور، الذين من آذاهم فقد آذى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن أبغضهم فقد أبغض الله ومن ردّ عليهم فهو فى أسفل دركٍ من الجحيم.

أقول: إنّ قضيّة مسلم جزء من قضيّة الحسين، وقضيّة الحسين ومظلوميّته، هى قضيّة الإسلام كلّه ومظلوميّته، فالتعامل معها على هذا الأساس.

وممّا يتميّز به مسلم أنّه لم يشر على الإمام عليه السلام ترك التوجّه إلى الكوفة والإعراض عنها وعن رسائل القوم إليه كما أشار به ابن عبّاس وغيره.

وقد دلّ هذا على عقيدة صحيحة وسلوك سليم لمسلم تجاه الإمام المعصوم الذى هو فى غنىً عن أمثال هذه النصائح؛ إذ هو مسدّد من المولى سبحانه وموجّه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلاّ فما معنى عصمته، وكيف يجعل الله سبحانه أهل البيت عليهم السلام عموماً كسفينة نوح سبب نجاة الأمّة جمعاء، وأخبر عنهم أنّهم مع القرآن ومع الحقّ وأنّهم أحد الثقلين من تمسّک بهم لم يضلّ ولن يضلّ أبداً.

والوجه الثانى لتميّزه: نفس اختيار الإمام له فى هذه المهمّة الهائلة والمصيريّة فإنه كاشف عن وجود ملكات وخصال واستقامة فيه، ميّزته وأدّت إلى أن يختاره الإمام، ولو لم يكن فى سبب الاختيار غير استعداده لإطاعة الإمام وبذله نفسه فى سبيله ونكوص الآخرين أو تردّدهم، أو عدم إعلانهم لموقفهم لكفى فى إثبات التميّز له.

والوجه الثالث: إخلاصه المنقطع النظير للإمام، وفدائيّته النادرة، وخلقه الرفيع، وتديّنه فى أعظم أوقات الحرج وفى أدقّ المواقف، ووجوه أخرى لتميّزه.

وإذا كان غيره يتمتّع بخصلة أو أخرى مرتبتها أعلى ممّا عند مسلم فإنّ ما يجتمع فيه لا يجتمع فى غيره ـــ ما خلا الإمام المعصوم ـــ وهم ثلاثة فى ذلک الوقت الحسين السبط، والسجّاد، والباقر صلوات الله عليهم أجمعين ـــ وكذا نستثنى أبا الفضل وعليّاً الأكبر.

وكلّ ما تقدّم يدلّ على إيمان عقدىّ عالٍ فى مسلم وتديّن شديد يعزّ نظيره فى تلک الحقبة إلاّ من أوحدى الناس.

ولا تنس أنّ قضيّته قضيّة الحسين وإحياء ذكره إحياء لقضيّة الحسين بكلّ أبعادها وفضحٌ لأعدائها، وإماتة لذكرهم، فى أىّ زمانٍ كانوا وبأىّ مكانٍ حلّوا.

الأمّة الإسلامية بشكل عام، فى يومنا هذا فئات أربع مع هذه القضيّة:

فئة تعمل على طمس هذه القضيّة، وعلى تشويهها، وعلى تشجيع الآخرين لإهمالها، وعلى قلب الحقائق فيها، ومحاولة فعل المستحيل من أجل إيجاد المبرّر لأعظم جريمة وقعت فى تأريخ الإسلام من أناس يُسمّون أنفسهم بالمسلمين، وهذه الفئة هى الأقلّ من بين الفئات المتقدّم ذكرها.

وفئة تتعامل مع هذه القضيّة تعامل اللامبالاة، فلا تنعكس على سلوكها وصايا النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلام وأوامره بشأن أهل بيته، وبخصوص ولده الحسين، وبشأن الفئة المرتدّة التى قامت بالجريمة، وهذه الفئة هى الأكثر فى المجتمع الإسلامى.

وفئة تتعاطف مع الحسين وأهله وصحبه وقضيّته، وتستنكر ما صنعه يزيد وجنده، إلاّ أنّها لم تتّخذ الموقف الحازم الحاسم فى هذه القضية؛ إذ إقرارها بما تقدّم له لوازم فهم اعترفوا بالملوم وأهملوا لوازمه، والحساب على الله تعالى.

وفئة أعلنت وقوفها صفّاً واحداً مع الحسين وصحبه ضدّ يزيد وجنده وحزبه فحملوا قضيّة الحسين عبر التأريخ وكتبوا عنها وأذاعوها وعقدوا المجالس لها وفعلوا كلّ ما تصل إليه يد قدرتهم فى إحياء ذكر الحسين وقضيّته وفضح يزيد وأهدافه، كما أنّهم تأمّلوا للحسين وبكوه دمعاً ودماً واستخدموا كلّ الوسائل المعبّرة عن هذا التمسّك الصميمى بالحسين وأعلنوا أنّ ثورة الحسين لم تنتهِ ما دامت أهدافه لم تتحقّق كاملة وأنّ طىّ صفحات مصيبة الحسين بظهور المهدى المنتظر، الذى سيضع كلّ شىء موضعه.

أمّا اليوم، وقبل اليوم:

فقد التزم عموم الشيعة الإمامية الاثنى عشرية بالخصوص ـــ من دون فرق المسلمين كلّها ـــ بإقامة شعائر الإحياء من جهة، وإظهار معالم الحزن من جهة أخرى للقضية الحسينية ككلّ ولمسلم بن عقيل بالخصوص.

وكما قدّمنا فإنّه ما من شىء وصلت إليه يد قدرتهم، والتفتوا إليه، ممّا كان جائزاً فى الشريعة، إلاّ وصنعوه.

فالمطلوب: المحافظة على الشعائر الموجودة، والالتزام بإحيائها، مع ملاحظة عنصر الزمان والمكان، والعناوين الثانوية، المؤيّدة بفتاوى العلماء الأعلام لتحقيق الهدف من وراء هذه الشعائر الكريمة.

فقد يقتضـى الأمر الزيادة فى سـبل الإحياء بحسب ما يتيحه لنا زماننا ومكاننا من مجالات كالاسـتفادة من وسائل الإعلام المختلفة لنشـر القضـية الحسينية وأهدافها من خلالها ومنها الانترنت والأقراص الكومبيوترية ووسائل المراسلة المختلفة، والنشرات الجامعية وغيرها ممّا لا يُحصى من مجالات الإحياء والاستفادة فى عصرنا.

كما قد يقتضـى الأمر الغضّ عن بعض سـبل الإحياء واسـتبدالها بأخرى أجدى منها وأنفع فى خدمة الدين وشريعة سيد المرسلين وتوضيح القضية الحسينية والتعريف برجالها والفضح لمناهضيها وأعدائها.

والمسألـة تحتـاج إلى ورع ووعى وإلى إحسـاس بالمسؤوليـة الجسـيمة الملقـاة على عاتق رجالات الأمّـة فى حفظ الـدين وشـريعة سـيّد المرسـلين ومواريث الأنبيـاء والأوصـياء حتّى ظهور صـاحب الأـمر، خليفـة الله فى الأرض، الـذى يضع الأمور مواضـعها التى تسـتحقّها والتسديد والتوفيق من الله سبحانه وهو المسؤول أن يأخذ بأيدينا إلى مراضيه.

غير أنّنا لا يفوتنا أن نفهرس سُبل الإحياء المعمول بها فى زماننا.

وينبغى الالتفـات إلى أنّ بعض سـبل الإحياء هـذه منصوص عليه بخصوصه من المعصومين خلفاء الله فى الأرض وبعضـها لم يُنص عليه بخصوصه وإنّما استحبّ العمل به أو جاز بحسب ما تسمح به القواعد العامة الفقهية أو دخل تحت عناوين أعمّ وأشمل، مستحبّة أو جائزة.

1 ـــ عقد مجالس عامّة يذكر فيها الخطيب قضيّة كربلاء بتسلسل أحداثها أو

باختيار مقطع منها، مع أبيات شعرية ترثى الحسين وصحبه وتمجّد مسيرتهم وتبث روح الحماسة والثورة على الظلم والانحراف فى نفوس الجالسين، وهى أهمّ شعائر الإحياء على الإطلاق.

2 ـــ الخروج فى مواكب ومسيرات جماعية تندب الحسين وصحبه، وتلعن قاتليه، مع حمل اللافتات المكتوب فيها كلمات الحسين عليه السلام، أو معاهدة الناس لإمامهم الحسين عليه السلام على حمل مشعله، وتبنّى قضيّته، وتلبية ندائه.

3 ـــ لطم الصدور حزناً على الحسين.

4 ـــ البكاء على الحسين كلّما ذُكر، وقد ورد عن الحسين:

«أنا قتيل العبرة، لا يذكرنى مؤمن إلاّ استعبر»(1).

5 ـــ السير على الأقدام من أماكن السّكنى إلى حيث قبر الحسين عليه السلام ولاسيما فى مناسبات بعينها كمناسبة عاشوراء، وزيارة الأربعين، وزيارة النصف من شعبان وغيرها.

المعبّر عنها ب_(البيادة).

6 ـــ زيارة الحسين(2) فى كلّ أيّام السنة، وفى كلّ الأوقات، وأفضلها فى أوقات معيّنة، وهى: كلّ ليلة جمعة، وزيارات عِدة مخصوصة فى السنّة، منها: زيارة عاشوراء، زيارة الأربعين، زيارة النصف من رجب، زيارة النصف من شعبان، ليلة القدر، زيارة العيدين الفطر والأضحى.

1- كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد القمى: ص215، الباب 36.

2- راجع: كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولوية القمّى.

وشعيرة الزيارة هى أعظم الشعائر طُرّاً وتتقدّم على شعيرة إقامة المجالس ولها الأثر العظيم فى إحياء ذكر الإمام وقضيّته، وفى تحقيق أهداف يصعب حصرها.

وقد حاربها الظالمون أشدّ المحاربة عبر التأريخ، ومن أفظعها محاربة المتوكّل.

7 ـــ تقديم أنواع معروفة من الأطعمة والأشربة، وبكميّات كبيرة، وتوزيعها على عامّة الناس فى المجالس المعدّة لذكر قضية الحسين عليه السلام، أو فى الشوارع العامّة لكلّ صادرٍ وواردٍ، ويُنفق شيعة أهل البيت فى هذا السبيل ما ليس له مثيل فى العالم كلّه عند أتباع الأديان والمذاهب الأخرى فى مناسباتهم الدينيّة.

8 ـــ إعمار المراقد المقدّسة للحسين عليه السلام ولكلّ من يتعلّق بثورته، فالإعمار يشمل مرقد الإمام الحسين ومرقد أبى الفضل العبّاس وكلاهما فى كربلاء طبعاً، ومرقد مسلم ومرقد هانئ بن عروة وكلاهما فى الكوفة، ومرقد ولدى مسلم فى المسيّب ـــ العراق، ومرقد المحسن فى سفح جبل الجوشن بغربى حلب، ومرقد رقيّة بنت الحسين فى دمشق.

كما يشمل مشاهد رأس الحسين المقامة فى أماكن متعدّدة منها ما فى القاهرة وما فى مدينة مزار شريف فى أفغانستان.

ويشمل مرقدين لزينب أخت الحسين أحدهما فى الشام فى حىّ السيّدة زينب، والثانى فى القاهرة على الخلاف فى مكان دفنها عليها السلام(1).

1- راجع: السيدة زينب للشيخ القرشى: ص326.

ويشـمل مشـهد النقطـة المقـام فى حلب لأجل نقطـة دم سـقطت من الرأس المقـدّس للإمام المظلوم الحسـين عليه السـلام حين التوجّه بالرؤوس المقدّسة إلى دمشق.

والمكان الذى وضع فيه رأس الحسين فى خربة الشام المجاور للجامع الأموى.

كما يشمل (الزينبية) وهو المكان الذى وقفت فيه زينب عليها السلام ونادت سيّد الشهداء عليه السلام ساعة استشهاده، وهو فى كربلاء.

و(المخيم) وهو المكان الذى نصبت فيه خيم الحسين وعائلته وصحبه فى كربلاء.

ومرقد المختار بن أبى عبيد الثقفى داخل حرم مسلم.

ومرقد زين العابدين قبل التهديم الذى حصل من الوهابيين.

وفى يومنا هذا تشـمخ مراقد أهل الطفّ جميعاً تناطح السـحاب إلاّ قبر زين العابدين فى بقيع المدينة ويشاركه فى المظلومية التى لحقته قبر الحسن السبط وقبر الباقر وقبر الصادق صلوات الله عليهم أبد الدهر.

ويُضاف إلى الإعمار المتقدم ذكره إعمار قبور الشهداء وقبر على الأكبر وقبر عبد الله الرضيع وهم داخل حرم الحسين عليه السلام.

واعمار قبر حبيب بن مظاهر الأسدى وهو داخل حرم الحسين عليه السلام.

واعمار قبر الحر بن يزيد الرياحى وهو فى كربلاء ويبعد قليلا عن حرم الحسين عليه السلام.

ولعل هناک مراقـد أخرى غابت عن الـذاكرة فعلاً، أو جهلنا أمرها، والكلّ محلّ اهتمام الشـيعة ـــ حرسـهم الله تعالى ـــ على تفاوت فى مستوى الاهتمام بحسب أهميّة المقام، وإمكانية إعماره.

على أن إعمار هـذه الأماكن المشـرفة المنتسـبة إلى الإمام الحسـين وحركته، لم يقتصـر على بنائها بل تزيينها بالـذهب والفضّـة والقاشانى والزجاج وتزيين أرضـيّتها وحيطانها بالمرمر، وفرشـها بأنواع الفرش الفاخرة، ونصب الأضـرحة على القبور المقدّسـة وإهـداء نفائس الهدايا إليهـا، ووقف أنواع الموقوفـات كالقرآن العزيز وكتب الأدعيـة والزيارات ونحوها ممّا به تأديـة مختلف الخـدمات إلى زوّار هـذه المقامات الشريفة.

9 ـــ إقامة مختلف الاحتفالات العامة باسم الحسين وإحياءً لقضيّته وهى غير المجالس المتقدّم ذكرها، فتلقى فيها الكلمات والقصائد.

10 ـــ تسـمية المولودين الجدد ـــ ذكوراً وإناثاً ـــ بأسـماء الحسين وأهل بيته وصحبه من الرجال والنساء، فهذا اسمه حسين وذاک عبّاس والآخر على أكبر وتلک اسمها زينب أو رقية وهكذا تخليداً لذكرى أبطال الطفّ وتبرّكاً بأسمائهم.

11 ـــ كتابة الموسوعات والكتب والمقالات المختلفة فى الحسين وقضيّـته وصحبه.

12 ـــ نظم الشـعر العمودى والحرّ فى الحسـين وقضـيّته وصـحبه وأهـل بيته حـتّى جمع الخطيب المجاهـد السـيد جواد شـبّر بعضه فى موسوعته الضخمة (أدب الطفّ) التى تمّت مجلّداتٍ عشرة ولو تُرک فلربّما شفعها بأجزاء أخر.

13 ـــ تمثيل الواقعة فى أفلام وتمثيليّات ومسرحيات فى المؤسسات الإعلامية المهمّة وفى الهواء الطلق، بعمل تختلف جودته وروعته بحسب إمكانيات الطرف القائم بها.

14 ـــ قراءة مقتل الحسين عليه السلام فى مجالس خاصّة يوم عاشوراء ومن أشهرها المقتل المسجّل بصوت الخطيب الشهير الشيخ عبد الزهرة الكعبى الذى يُذاع كل عام من اذاعة العراق ومن إذاعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

15 ـــ كتابة ـــ المقتل ـــ بسرد أحداث قضيّة كربلاء متسلسلة وقد تعارف تسمية هذا النوع من الكتب ب_(المقتل).

16 ـــ التأليف فى الأحداث المتعلّقة بالثورة الحسينية كثورة التوابين وثورة المختار وحركة سبايا آل محمد من كربلاء إلى الشام ثمّ إلى كربلاء فالمدينة.

17 ـــ توزيع الماء ـــ بالخصوص ـــ على كل صادر ووارد بواسطة الأجهزة المبرّدة، وباليد مباشرة، وبذل قوالب الثلج الكثيرة فى هذا السبيل، تذكيراً بعطش الحسين وأهل بيته وصحبه.

18 ـــ خروج مواكب ضخمة يمارس فيها المشاركون ضرب ظهورهم بالسلاسل الحديدية المعبّر عنها ب_(الزناجيل) تعبيراً عن تألّمهم وعظيم مصابهم واستعدادهم لتحمّل المشاق والمصاعب فى سبيل الحسين، ولكى يتحسّسوا معاناة الحسين وجنده من ضرب السيوف ومختلف الأسلحة ومع وضوح (أين هذا من ذاك) إلاّ أنّه نوع استشعار ومشاركة، ومواكب (الزناجيل) هذه تمارس فى إيران على نطاق واسع جدّاً.

19 ـــ خروج مواكب يضـرب فيها المشاركون رؤوسهم بالسيوف المعبّر عنها بـ(مواكب التطبير) ويُصطلح على السيوف بـ(القامات) مشاركة منهم فى ذوق ألم المعاناة التى عاشـها الحسين وصحبه ـــ وأين هذا من ذاک ـــ , لإبداء استعدادهم للتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل الإمام عليه السلام.

20 ـــ استعمال السواد بكثرة فى اللباس الشخصى وفى الشوارع العامّة وفى داخل المساكن إظهاراً لشعائر الحزن.

21 ـــ رفع الأعلام السوداء واللافتات التى تحمل أقوال الإمام عليه السلام وأهدافه.

22 ـــ عدم إظهار مظاهر الزينة فى اللباس الشخصى وفى داخل المساكن وفى الشوارع العامّة.

23 ـــ تعزية الناس بعضهم بعضاً باستشهاد الحسين وصحبه.

24 ـــ تسمية الكتائب العسكرية والثورية بأسماء الحسين وصحبه وبالأسماء المعبّرة عن ثورة الحسين مثل اسم كربلاء، الطف، الغاضرية، عاشوراء ونحوها.

25 ـــ كتابة القصـص والروايات والمسرحيات حول ملحمة كربلاء بشكل عام، أو عن حياة الإمام سيد الشهداء أو قصّة أبطال الطفّ ومنها مسرحية عن سيد الشهداء لعبد الحميد جودت السحّار.

26 ـــ بناء (الحسينيّات) فى طول بلاد التشيّع وعرضها.

والحسينيّة: مبنى يجتمع فيه المؤمنون لإقامة المراسيم الخاصة بإحياء ذكرى

استشـهاد الإمام الحسـين عليه السـلام وأهل بيته وصـحبه فتُعقـد فيه مجالس الخطابة، والوعظ والإرشاد الدينى، كما تقام فيه طرق الاحياء الأـخرى، ويُسـتخدم أيضاً كأماكن انطلاق للمسـيرات والمواكب فى أيام المحرم بعـد اجتماع الناس فيه، ويُسـتخدم أيضاً كأماكن استراحة ومبيت لممارسـى إقامـة هـذه الشـعائر المباركـة، وعلى الإجمال هو مبنى يسـتخدم فى كل ما له علاقة بإحياء ذكرى استشـهاد الإمام عليه السـلام فى أيام المحرم، بل فى طول أيام السنة، ولا يمنع تأسيسه لهذا الغرض من استخدامه لأغراض عبادية أخرى كالصلاة وإلقاء الدروس الدينية وتعليم القرآن.

ومن الطبيعى أنّ الحسـينية ليست كالمساجـد فى الأحكام المترتبـة عليها فيجوز دخول المحدث بالحدث الأكبر لها ـــ كالجنب ـــ وإن كان لها احترامها الخاص لارتباطها باسم الحسين عليه السلام.

27 ـــ السجود على التربة الحسينية فى أثناء الصلاة:

معلوم من فقه الإمامية أن الصـلاة عندهم لا تجوز إلاّ على الأرض أو ما أنبتت من غير المأكول أو الملبوس(1)، وقد ورد عن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«جُعلت لى الأرض مسجداً وطهورا»(2).

ومع ثبوت صدور هذا الحديث الشريف عن النبى الأكرم صلى الله عليه

1- جواهر الكلام: ج4، ص71 و ج3، ص478 بشكل مفصّل.

2- راجع: السجود على التربة الحسينية للشيخ الأمينى: ص32؛ فقد نقل الرواية عن مسلم وغيره.

وآله وسلم إلاّ أن جمهور المسلمين أجازوا السجود على غير الأرض من فراش ونحوه مع منافاته لهذا الحديث الشريف.

أمّا الامامية فقد حصروا ما يجوز السجود عليه بما تقدّم ذكره.

وقد وردت روايات عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فى فضل تربة الحسين ـــ وقد سُجّلت هذه الروايات فى كتب الشيعة والسُنّة ـــ ممّا أدّى هذا إلى التزام الشيعة بالتقرب إلى الله سبحانه بالسجود له على التربة الحسينية بالخصوص لما فيها من فضل وثواب.

وقد شنّع بعض من لا تحصيل له ولا ورع من المنحرفين عن آل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على الشيعة لسجودهم على التربة المأخوذة من أرض كربلاء، ولا وجه لكلامهم هذا غير التهريج، إذ إنّ ما قام الدليل عليه وفى كتب الشيعة والسنّة جميعاً يلزم العمل به ومن يعارض فهو رادّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورادّ على الله وهذا على حدّ الشرك بالله كما فى الخبر.

فالأولى لمن يُعارض عمل الشيعة فى هذا المجال ـــ مع توفّر الدليل لهم فى كتب عامّة الفرق الإسلامية ـــ أن يصحّح أعماله ويلتمس لها الدليل أفضل من أن يتّكئ فى فتاواه وأعماله على القياس والظنون التى لا تُغنى من الحق شيئاً، إذ شريعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم متكاملة ولا تحتاج إلى من يُشرّع لها من ظنونه وقياساته وعندياته.

وللتوسع فى مسألة السجود على التربة الحسينية تُراجع الكتب التالية:

أ ـــ السجود على التربة الحسينية / للشيخ عبد الحسين الأمينى.

ب ـــ الأرض والتربة الحسينية / للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

والشيخان: كاشف الغطاء والأمينى من فقهاء الإمامية الأجلاّء.

ولعلّ هناك ما لم نلتفت إليه، أو هناك طرقاً أخرى للإحياء موجودة عند الشيعة فى أماكن مختلفة من نواحى العالم الإسلامى بل فى غيره أيضاً.

مسلم قدوة

من أيّة جهةٍ كان مسلم قدوةً لنا؟

أ ـــ أوّل جهـةٍ وأهمّ جهـةٍ ينبغى ملاحظتهـا فى مسـلم ـــ كمـا ينبغى ملاحظتهـا فى غيره عنـد التقييم ـــ قيـامه بما يجب عليه من إطاعة الحسـين كإمام منصوب للمسـلمين وغيرهم من الله تعالى وبنصّ من رسول الله، وخليفة لله ولرسوله فى الأرض وبما يستحقّه الحسين فى هذا السبيل من الناس عموماً ومن مسلم بالخصوص.

من هذه الناحية: فإنّ مسـلماً أظهر إطاعةً مطلقة، وتعامل مع الحسـين عليه السلام من هذا المنطلق، أى منطلق كونه إماماً للأمّة وخليفة لله ولرسوله.. الـخ، ولـم يتعامل معه على أساس أنّه ابن عمّ له أو من منطلق المصاهرة، أو الصداقـة، أو كتعامل قائـد عسـكرى مع قائده الأعلى وغير هذه من المنطلقات والعناوين التى لا تحفّز فى المرء دوافع الإطاعة بالمستوى الذى صدر من مسلم.

إذ الواجب على كلّ مسـلم أن يطيع المعصومين وخلفاء الله فى الأرض وأوصـياء الأنبياء ـــ والحسين عليه السلام أحدهم بالنصّ الذى لا يقبل المناقشة ولا يُورث الاختلاف ـــ إطاعة مطلقة، ويمتثل الأمر كما هو بشكل فورى، لأنّه أمرٌ

صـدر عن معصوم لا يُخطئ وطاعته مفروضـة لازمـة ممّن خلق العالمين على كلّ إنسان دون أنْ يُتْرَك لهذا الإنسان مساحة للردّ والمناقشـة والاختيار، وقد قام مسلم بالمطلوب على وفق الوجه الأكمل.

إنّ هـذا المسـتوى من الإطاعـة من الأمور التى لـم تألفها الأمّـة تماماً عبر تأريخها ـــ إلاّ أن المجموعة الأقلّ ـــ وقد لاقت الأمّة كلّ شـرّ، وانحرفت أىّ انحراف بسـبب سـلوكها فى التعامـل مع أوامر الكتـاب العزيز والنبىّ الأطهر وأهل البيت المعصومين على أساس الانتقائيّـة، وبمقـدار ما تفقه وجه المصـلحة والفائـدة من امتثال هذه الأوامر، مع أنّ فى امتثال بعض الأوامر منافع يخفى أمرها على الذهنيّة العاديّة ولا يظهر وجهها إلاّ بعد شىءٍ من الوقت، ولكن حين يستوعب المرء وجه الفائدة فإنّ أمد التدارك قد انتهى وفات.

والمأساة مستمرّة، وما زال الكتاب مهجوراً، والسنّة مضيّعة، والعلماء يكتبون لأنفسهم ولثلّة قليلة من أبناء الأمّة.

غير أنّ من الأمور التى لا يمكن نكرانها تغيّر أوضاع الأمّة الإسـلامية فى طول البلاد وعرضـها فى العقود الأخيرة نتيجة صـحوة عامّة، إلاّ أنّ الأمر ليس بالمسـتوى المطلوب وما زال ضـمن مساحة ضـيّقة لو لاحظنا مسـتوى ما نتج عن هذه الصحوة من أثر، ولعلّ الغيب يُخفى خيراً وبركات فى طريقها إلى الينع.

ما أشـدّ حاجة الأمّة إلى أسوة وقدوة ومثالٍ صالح كمسـلم يكون مناراً نصب أعين الأجيال المتتابعة؛ لتعلم أنّ بعض معجزات النبىّ صـلى الله عليه وآله وسلم تتمثّل بتربيته لأمثال هؤلاء الأبطال الذين كانوا ملء سمع الدنيا وبصرها، الذين

صدرت منهم أفعالٌ على أرقى مستوى من الخلق الرفيع والتضحية العظيمة بحيث لو قورنت أفعالهم فى هذا السبيل بمستوى ما صدر من باقى أفراد الأمّة لعلم أنّهم أتوا بالمعجزات الأخلاقية والتضحوية.

ب ـــ جهة النُصح للإمام والأمّة: وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما نظر الله عزّ وجلّ إلى ولىّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلاّ كان معنا فى الرفيق الأعلى»(1).

وفى صحيحة معاوية بن وهب عن مولانا الصادق عليه السلام:

«يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له فى المشهد والمغيب»(2).

وهذه خصلة ثانية، عزّت فى هذا الزمان، وفى كلّ زمان، بأن يبذل المرء جهده فى العمل بإخلاص وتفانٍ وبما يحقّق أهداف الإمام ويكلّل جهوده ومراده بالنجاح، على المرء أن يسدّ الثغرة وإن لم يطلب منه ذلك، وأن ينبّه للخطر وللمشكل وإن لم يكن هذا من وظائفه، وأن يعمل كأنّ القضية قضيته والربح له والخسارة عليه وأن لا يتعامل مع الأحداث بروح اللامبالاة وبروح الحسابات والمغانم، فما كان ربحه آنياً، ومحسوم النتيجة لصالحه عَمِلَ له واندفع لتحقيقه، وإلاّ فهو آخر من يتحرّك لسدّ الثغرة، التى لعلّ خطرها يأتى على الجميع فلا يُبقى ولا يذر كحال أكثر المشاكل الاجتماعية، التى يصيب ضررها الجميع بشكل أو بآخر.

1- الأصول من الكافى للشيخ الكلينى: ج1، الباب 104، من كتاب الحجة.

2- حدود الشريعة للشيخ محمد آصف المحسنى: ج4، ص233؛ عن وسائل الشيعة: ج16، ص381.

ج ـــ إنّ مسلماً كان يعمل ويُحكم عمله فى كلّ خطواته؛ إذ نرى هذا واضحاً فى طول مسيرته وما لم يصنعه فلعدم التفاته إليه أو لوجود المانع الطبيعى، أو الشرعى من فعله وهو غير معصوم على كلّ حال إلاّ أنّه لم يترك أمراً يستوجب الحال قيامه به.

د ـــ إنّه مثّل الإمام الحسين عليه السلام خير تمثيل فلا ترى فيه خصلة الكِبَر، أو خصلة عدم الإقدام فى المواقف التى تتطلّب الإقدام، وكان رحيماً بالمؤمنين، رفيقاً بهم عند تعامله معهم، وشديداً على الظالمين من غير أن تُخرجه شدّته عن الشرع، أو إلى ما لا يليق، بل نبله مع الأولياء والأعداء على السواء.

والحاصل: أنّه لم يصدر منه إلاّ ما يليق بمن يمثّل الإمام المعصوم، وخليفة الله ورسوله فى الأرض.

هـ ـــ إنّه حارب أراذل بنى أميّة وتوقّف عن قتالهم، وقع فى أسرهم، وواجه الطاغية ابن زياد، وسمع منه تصميمه على إعدامه وصعد أعلى قصر الإمارة وتقدّم لنيل مرتبة الشهادة والسعادة، وهو فى كلّ هذا مرفوع الرأس، عزيز النفس، عالى الهمّة، غير مبالٍ بالحتوف، ولا متهيّب فى مختلف المراحل التى مرّ بها حتّى تعجّب منه ابن زياد نفسه، مع ما هو واضح من توقّف مسيرة حركته التى كان يعمل لإنجاحها، غير الآثار الهائلة التى ترتّبت فعلاً، وستترتّب مستقبلاً، وغير الموت الذى ذاقه بكلّ رحابة صدر.

ملكات أعلنت عنها الطف

كلّ أناءٍ بالذى فيه ينضح.

مقولة صادقة، أحد مصادقيها الحركة الحسينية وما يتّصل بها، ومنها حركة مسلم رضى الله عنه.

أن نُقارن بين مسلكى طرفى النزاع فى الطفّ فهو أمرٌ نافع وجدير بالذكر.

ونفعه للمؤمن: كى يزداد إيماناً إلى إيمانه بصحّة طريقه، وانحرافيّة الطريق الآخر.

وللمتمسّك بالنهج المنحرف: إذ هذه المقارنة حجّة على خطئه فى اختياره، وخطيئته فى تمسّكه.

وهى، كانت نافعة لأهل ذلك العصر ـــ عصر الحدث ـــ: ليتميّز لهم الحقّ من الباطل ـــ لكنّ الفتنة إن أقبلت شبّهت وإن أدبرت نبّهت ـــ.

وهى نافعة لأهل هذا العصر: كى يحسم المرء أمره مع ربّه، ويتّخذ الوسيلة إليه إن شاء، وينصر ربّه وسبيل ربّه وأولياء ربّه.

على أنّه لا وجه لهذه المقارنة: من جهة أنّ أحد طرفى النزاع قد تمثّل القرآن فى سلوكه كما أنّه تحت قيادة خليفة رسول الله فى أمّته ـــ الحسين ـــ وسيّد

شباب أهل الجنّة وقد أخذ هذا الفريق بكلّ خصال الفضل والكرامة وتحلّى بمكارم الأخلاق بأعلى مرتبة.

بينما فاحت من الفريق الآخر كلّ خصال السقوط والانحطاط بأدنى مرتبة فلم يترك خصلة معبّرة عن عدم التزامه بمبدأ أو قيم أو دين إلاّ وارتكبها، فلا مجال للمقارنة بعد أن تزعّم هذا الفريق شخص هو من أبعد الناس عن الإسلام والفضائل ـــ يزيد، وقد تقدّم الحديث عنه ـــ فكيف يَرشُحُ عنهم خيرٌ أو مكرمة.

لكن، ما تقول لمن يشتبه عليه الطريق، ويقع فى التيه، فلا يُحسن الاختيار، بين مسلكين؛ أحدهما فى أعلى مرتبة والثانى فى أسفل دركة، ولله فى خلقه شؤون.

الإنسان المسلم، الإنسان ذو القيم، الإنسان الذى يحترم إنسانيّته وعقله، الإنسان الذى يتمسّک بدين ويكون هذا الدين صادراً عن الله سبحانه خالق الوجود وخالق الجنّة والنار، وجاعل العقاب والثواب.

لابدّ لمثل هذا الإنسان أن تكون له موازين، وأن تكون عنده حدود بين ما يمكن فعله وما لا يمكن فعله، ما بين الجائز والحرام، أمّا أن يفقد الإنسان كلّ ميزان، وكل حدّ، وكلّ قيمة، ويفعل كلّ ما تصل إليه يد قدرته غير عابئ فعلته هذه حرام، أو عيب، أو عار، أو منقصة، أو خلاف الإنسانية، أو معبّرة عن انحطاط صاحبها، أو عن فقدانه للقيم، أو أنّ فعله سبب لهدّ أركان الدين، أو المجتمع، أو باعث للفتن، وللأحقاد، فمثل هذا المرء لا يُعدّ إنساناً وبل مسخاً عُدّ من البشر شكلا وانتفى عنهم حقيقةً ومضموناً.

كيف يعتدى من ينتسب للإسلام على نساء بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والأطفال الصغار من عائلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وما أحلّت شريعة سماء ولا شريعة عشائر مثل هذه الأفعال غير شريعة الغاب والوحوش، على أنّ من يتأمّل فى شريعة الغاب والوحوش يعلم أنّ لها حدودا أيضاً وضوابط نابعة من استرسال هذه الكائنات مع ما جُبلت عليه وما خُلقت لأجله، فهناک ما تسترسل فى فعله وهناک ما لا تقدم عليه أو تفرّ منه، وبنو أمية فعلوا مع عائلة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما تأباه الإنسانية والمروءة بغضّ النظر عن انتساب المرء للإسلام أم لا.

لا أعدّ لک كلّ ما فعلوه فهو لا ينحصر وإنّما أقدّم لک مثالاً مما رشح عنهم:

فبربّک أجبنى: لِمَ قتلوا فى ساحة المعركة وفى الساعات الأخيرة من حياة سيّد شباب أهل الجنة مجموعة من الصغار ممّن يتّصل نسبه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم؟

قتلوا القاسم بن الحسن. وقتلوا عبد الله بن الحسن.

وقتلوا ـــ تأمّل بربّک هذا ـــ عبد الله بن الحسين وهو رضيع وعمره قُرابة ستة أشهر ولعلّه يموت بعد دقائق لانعدام الحليب عند أمّه، ولنفاد الماء فى قافلة الإمام عليه السلام، ولأجواء الحرّ الشديد فى منطقة المعركة، ولعلّ بلوغه حدّ الموت هو الذى دعا الإمام إلى عرضه على جيش الضلالة كى يأخذوه بأنفسهم ويسقوه ماءً إن خافوا أن يستفيد خليفة الله ورسوله وسبط النبيّ وسيّد شباب أهل الجنّة من الحالة فيشرب قليلاً من الماء من خلال التماسه الماء لرضيعه، ومع ذلک لم يفعلوا

بل بادروا برمی الرضیع بسهم فی نحره المقدّس فذبحوه من الورید إلی الورید وهو فی ید والده مرفوعاً أمام الجیش الکافر الفاقد لکلّ القیم غیر قیم المائة درهم التی وعدهم إیّاها الغادر الفاجر ابن زیاد.

بربّک ماذا یغیّر من معادلة القتال لو سُقی الرضیع، أو لو تُرک حیّاً لکنّها الرذالة المعبّرة عن فقدان القیم، وانقطاع الارتباط بالإسلام، وعدم الخوف من العذاب الإلهی والسخط الربوبی الذی قضی علی إبلیس بالهلاک الأبدی لمعصیته الأمر بسجدة وعلی قوم عاد باعتدائهم علی ناقة، وعلی أصحاب السبت لصیدهم السمک فمسخوا قردة:

((وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِینَ اعْتَدَوْا مِنکُمْ فِی السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ کُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِینَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَکَالاً لِّمَا بَیْنَ یَدَیْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِینَ))(1).

ما صدر من الفریق الثانی المقابل لأهل البیت علیهم الصلاة والسلام یُنبئ أنّ لیس وراء هؤلاء القوم ارتباط بالسماء، أو قیم کریمة، أو أهداف نبیلة، بل هی الدنیا یتقاتلون علیها کما تتقاتل الوحوش والکلاب علی فرائسها، بمجرّد أن یحصل سبب، تنتکس کلّ الدعوی، وترتفع کلّ الحجب، ویظهر خواء هذه الفئة وبعدها العظیم عن أحکام الإسلام، وعن قیم الإنسانیة معاً.

ومثال ثان:

کیف تؤخذ نساء عائلة النبی صلی الله علیه وآله وسلم وفیهم ابنة فاطمة الزهراء علیها السلام، وحفیدة النبیّ صلی الله علیه وآله وسلم، وربیبته، زینب،

1- سورة البقرة، الآیتان: 65 __ 66.

أسارى سبايا من بلد إلى بلد وهنّ بأفظع حالةٍ وأسوأ مركب، وقد فقدن أعزّتهن أبناء البيت النبوى، وقادة الأمّة الإسلامية، ذبحاً أمامهنّ وهنّ من هنّ فى العفاف والستر والصون، وعظيم المقام.

أى قلم يُعبّر، وأىّ بلاغـةٍ تؤدّى وترسم حقيقة ما جرى، ولو أردت أن أصف الكارثة بحقّ امرأة من عامّة المسـلمين لما تمكّنت فكيف ببنات النبى ونسائه ولا حدّ لشرفهنّ، ولصونهنّ وقد أسرهنّ من لا فضيلة فيه.

نعم، إنّ اللطف الإلهى حرسـهنّ، وقد وعدهنّ الحسـين المظلوم بأنّ المولى سبحانه سيحرسهنّ وينجيهنّ من كيد الأعداء لكنّ النجاة التى حصـلت لهنّ كالأمر الاعجازى، لطف خاصّ صـنعه الله سـبحانه بهنّ وإلاّ فمقتضى الحال غير الذى جرى، واستمع إلى زينب سلام الله عليها تُخاطب ملكهم يزيد ـــ لعنه الله ـــ:

«أمِنَ العـدل يا ابن الطلقاء، تخـديرک حرائرک وإماءک، وسَوْقُکَ بنات رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم سـبايا، قـد هُتكت سـتورهنّ، وأبـديت وجوههنّ يحـدو بهنّ الأعـداء من بلـدٍ إلى بلـد، ويستشـرفهنّ أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهِل، ويتصـفّح؛ وجوههنّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والدنىء والرفيع، ليس معهنّ من رجالهنّ ولىّ، ولا من حماتهنّ حمى، عتوّاً منک على الله، وجحوداً لرسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، ودفعاً لما جاء به من عند الله، ولا غرو فيک، ولا عجب من فعلک، وأنّى يُرتجى الخير ممّن لفظ فوه أكباد الشهداء ونبت لحمه بدماء السُعداء، ونصب الحرب لسيّد الأنبياء، وجَمَعَ الأحزاب، وشَهَرَ الحِراب، وهزّ السيوف

فی وجه رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أشـدّ العرب لله جحوداً، وأنکرهم له رسولاً وأظهرهم له عـدواناً، وأعتـاهم علی الربّ کفراً وطغیاناً»(1).

وعظیمـة العظائم التی اقترفها فروع الشـجرة الملعونـة فی القرآن؛ ذبحهم سـیّد شـباب أهل الجنّـة، وابن رسول الله، وخلیفة الله ورسوله فی الأرض، آخر أصـحاب الکساء، ومن وردت فی بیان عظمته وعظمة مقامه فی الدنیا والآخرة الکثیر من الآیات والروایات بعد أن ضـیّقوا علیه فانتقـل من بلـد إلی بلـد حتّی ارتحل إلی بلـدٍ عاهـده علی حمایته وحمایـة أهل بیته وحمایـة قضـیّته والـدین الـذی یریـد له البقاء والحیاة والاسـتمرار والتطبیق إلاّ أنّه ـــ صـلوات الله علیه ـــ وجد الجیوش الجرّارة بانتظاره قد سدّت الأفق، وحاصـرته مع نسائه وصبیته ومجموعة قلیلة من شباب أهل بیته ـــ 17 نفراً ـــ ومجموعة قلیلة من صـحبه فیهم الصحابی وفیهم التابعی وفیهم معلّم القرآن ـــ ومعلّم القرآن فی تلک الحقبة مرتبة علمیة عالیة فی المجتمع ویُعدّ العالمَ الذی یشار إلیه بالبنان ویُلتفت إلیه بالتعظیم وتؤخذ منه أحکام الدین ـــ .

لو أردنا استیعاب الجریمة التی أقدم علیها الأمویّون بحقّ الحسین وبحقّ الإسلام فعلینا استیعاب: من هو الحسین، وما موقعه فی الإسلام؟

عود علی بدء:

نُلاحظ أنّ کلّ من استلم السلطة من بنی هاشم، لم ینتقم من مناوئیه من بنی أمیّة مع مرارة أفعالهم، وشدّة وطأتهم.

1- الاحتجاج للشیخ الطوسی: ج2، ص125.

هـذا النبىّ صـلى الله عليه وآله وسـلم فتـح مكّة، واعتقل كل من بقى على الكفر إلى ذلک اليوم، فأصـبحوا عبيداً للنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم بحسب قانون الحرب والأحكام الإسـلامية، وكانوا هم يتوقّعون القتل لعظم جرائمهم التى ارتكبوها بحقّ النبىّ والإسلام والمسلمين طول مدّة الصراع التى بلغت واحداً وعشرين عاماً، فما كان من النبىّ إلاّ أن أطلقهم وقال لهم:

«اذهبوا فأنتم الطلقاء».

فسـرّحهم ومنّ عليهم بالحياة والحريّة، وكان بينهم وبين الموت أو العبوديّة شعرة، وكانت النتيجة أن بقى اسم ـــ الطلقاء ـــ سُبّة عليهم إلى آخر الدهر، كى لا تنسـى الأمّة حقيقة هذه الفئة وتعرف كيف تتعامل مع أناس بقوا على الكفر إلى آخر لحظة وما أسـلموا إلاّ بعدما استولى الإسلام على جزيرة العرب وانتهى كلّ شىء، وممّن شملته أحكامهم: معاوية ـــ خال المؤمنين ـــ الذى ما فعل أحد بالمؤمنين من جرائم كأفعاله التى لا تُعـدّ ولا تستقصـى، فما كان من بعض الأمّة إلاّ وأسـبغت على الطليق معاوية لقب ـــ خال المؤمنين ـــ ومكّنته من رقاب جميع الأمّـة، وسـلّمته منصـباً يحتـاج لإيمـانٍ عظيم، وعدالـةٍ لا تُضاهى، وصـفاتٍ أخرى يقلّ حاملوها، وقـدّمته على عظماء المهاجرين والأنصار والبـدريّين وأهل السابقة، والجهاد، والعلم، والورع، بل ويُسـلّم ولاية من أعظم ولايات الدولة الإسـلامية ثمّ لا يُحاسب ولا يُعزل ولا يُتابع فى شىء، إنْ هى إلاّ الخيانة العظمى والله.

ثم تعال معى فألقِ بصـرک إلى مسـيرة علىّ أمير المؤمنين مع معارضـيه والمتألبين عليه طيلة خمسة وعشـرين عاماً، فانظر كيف عاملهم يوم تولّى الخلافة.

لم يُعرف عنه أبداً أنّه التفت إلى أحدٍ منهم أيّام حكمه، أو تابع أحداً وحاسبه على ما مضى.

بل أهمل حتّى الذين امتنعوا عن بيعته ومنعوا عنه نصرهم وخذلوه فى كلّ شؤونه وأنت تعلم ـــ ولا ريب ـــ أن ليس للحسين صلوات الله عليه ما يقتضى من بنى أميّة محاصرته وإصدار حكم القتل عليه، وهو بَعْدُ فى المدينة لم يحرّک ساكناً، إلاّ امتناعه عن البيعة.

وهذا الإمام على عليه السلام فى سماحته وإغضائه عن المتألبين عليه والعاملين على إطفاء جذوة ولايته وحكمه، من الناكثين (عائشة وجيشها) والقاسطين (معاوية وجيشه) والمارقين (الخوارج) فإنّه لم يصدر منه تجاههم بعد تشتيت جموعهم وكسر شوكتهم، إلاّ الإعراض والغضّ وإيكال أمرهم إلى الجبّار المنتقم، فلم يتتبعهم اعتقالاً وقتلاً ونفياً ومصادرةً للأموال وسملاً للأعين وهدماً للدور كما هو فعل معاوية وبنى أميّة بشكل عام.

بل هذا الإمام على عليه السلام مع من أسر يوم الجمل وهم عائشة وعبد الله ابن الزبير ومروان بن الحكم قادة الفتنة وفى عنق كلّ منهم جرائم لا تُحصى، كيف وكل أمرهم إلى انتقام الله سبحانه وعمل جُهده فى إطفاء نيران الفتنة التى أوقدوها، حبّاً بالخلافة وامتيازاتها، كما أنّه لم يُطارد أحداً أيّام حكمه وكان كلّ همّه هو كفّ يد العدوان وكفى.

وعلى نهجه سار ولده الإمام السبط الحسن خليفة الله ورسوله، والخليفة المنتخب من الأمة برضاها وطواعيتها فلم ينتقم من أعدائه ولا من أعداء أبيه.

هـذا الإمام الـذى ظلمه كُتّاب الأمّـة ومؤرّخوها حيث يلوون عنان القلم حينما يقتضـى الأمر ذكره عنـد عدّهم لخلفاء الأمّة إذ ينتقلون من ذكرهم لأبيه أمير المؤمنين على عليه السلام إلى ذكر صاحب الملک العضوض معاوية مع أنّ الإمام أبو محمد الحسن إمام الأمّة بنص النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والنصوص القرآنية والنبوية فى حقّه لا تعدّ ولا تنحصر.

وإن اعتـذروا بقصـر مدّة خلافة مروان بن الحكم ـــ الوزغ بن الوزغ ـــ ثمانية أشـهر أو تسـعة ومع ذلک يجد لخلافته الاهتمام الكبير من جهتهم.

هـذا وغيره، يعرّفک أيّـة أمّـةٍ هذه، وأىّ علماءٍ هؤلاء، تأمّل واحكم، ولا تنسَ أنّ الله جلّ وعلا خلق الجنّة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشـيّاً، وخلق النار لمن عصاه وإن كان سيّداً قرشيّاً.

لاحظ أيضاً مسـلماً حين تمكّن من السـيطرة على الكوفـة فلم يُعرف عنه أنّه انتقم من أحـد، وهـذا الإمام الرضا عليه السـلام يوم تولّى ولاية العهد فلم يحرّک ساكناً ضدّ أحد بأىّ شكل يمكنه من الانتقام.

وبقيّة الأئمّة من أهل البيت حالهم كما تقدّم، فما كانت تعوزهم القدرة للانتقام ولو شاءوا لفعلوا بالرغم من الظروف العصيبة والحالكة التى يمرّون بها بسـبب هذا الطاغوت وذلک الظالم وبسبب كثير من أعوان الظلمة والنواصب والمنحرفين عن خطّ أهل البيت ونهجهم، ومع كلّ المظالم التى نالتهم، لم يألوا نصـحاً للأمّة ولمن تزعّم أمر الأمّة واسـتلم دفّة الحكم، حفظاً للإسـلام ولجهود النبىّ الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وتضحياته وأهدافه.

واعكس الأـمر مع كلّ ناصب ومنحرف وحاكم فإنّهم ملأوا البلاد الإسـلامية طولاً وعرضاً بآل محمّـد، فتكوا بهم وتركوا فى دورهم النوائح ـــ وما فيها غير الأرامل والصبية الأيتام ـــ والبؤس والفقر، وها هى قبورهم تملأ الأرض لكنّها تناطح السحب علوّاً وعلى كلّ ضريح منهم يتكـدّس الـذهب والفضّـة، وتقبّل الناس قبورهم وأعتابهم وحيطان مشاهـدهم وتقصـدهم من أقاصـى الأرض، وتبـذل فى سبيلهم النفس والنفيس وتُوجّه السـلام عليهم من قُرب وبُعد (السـلام عليک يا ابن رسول الله... أشـهد أنّک أقمت الصـلاة وآتيت الزكاة وأمرت المعروف ونهيت عن المنكر وأحللت حلال الله وحرّمت حرامه.. لعن الله من قتلک واستحلّ بقتلک حرمة الإسلام).

هذه قبور آل محمّد فبربّک قُلْ لى أين انتهى أعداؤهم ومناوئوهم ولِمَ لم يهتمّ بها أعوانهم وأولياؤهم ومن سلک دربهم وحافظ على فكرهم:

((بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ))(1).

فى الطفّ ظهرت صـفة الوفاء، من خلال الحسـين الذى وفى بوعده لأهل الكوفة بالقدوم عليهم واستعداده لعمل ما يخلّصهم من ظلم بنى أميّة، ومن خلال صحبه الذين وفوا بعهدهم معه، وظهرت صفة النصح للأمّة، وصفة حفظ الوعود والعهود، وظهر التديّن، والورع، والعِفّة.

ومن الجانب الثانى تفوح صفات الغدر، والاحتيال، والكذب، والغشّ، والفسق، والتمرّد على الله ورسوله وعلى كلّ القيم والمعانى السامية.

1- سورة القمر، الآية: 46.

سبب انهيار الحركة

لا ريب فى أمرٍ واحدٍ، علينا التسليم به قبل تناول جوانب الموضوع.

وهو أنّ مسلم بن عقيل لا يتحمّل أيّة تبعة فى انهيار الحركة الحسينيّة حقيقة وواقعاً.

بل الصحيح أنّه مهّد لها ووطأ الأسباب وعمل المستحيل فى سبيل إنجاح الحركة الحسينية إلاّ أنّ عوامل قويّة حالت دون تمام المراد، ليس هو منها فى شىء على أىّ حال.

والركن الأساس فى الانهيار هو ابن زياد ـــ لعنه الله ـــ وأيضاً نفس الشىء الذى كان المقوّم للثورة والمنجّز لها وهم أهل الكوفة الذين استغاثوا بالإمام طيلة عشرة أعوام فنهض الإمام لإغاثتهم ولرفع الحيف عنهم ولإعادة الروح إلى المجتمع الإسلامى المحتضر.

وقد قال أبوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من قبل:

«لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه أهون عندى من عفطة عنز».

وبعد أن كان توفّر الأنصار أحد أهمّ المقوّمات للثورة فإذا بهذا المقوّم ينهار عند أوّل ضربة وتتداعى الحركة كلّها بعد انهياره.

السبب الرئيس فى الانهيار ما تقدّم، ويمكن تلخيص عوامل الانهيار عند أهل الكوفة بما يأتى:

1 ـــ انعدام الدافع العقائدى أو ضعفه عندهم.

جمعٌ مهمّ ممن كتب للإمـام لـم يكونوا من الشـيعة وليسوا ممّن يعتقـد بإمامـة الإمام ووجوب طاعته على أساس أنّه خليفـة الله ورسوله فى الأرض.

هـذا ـــ مثلاً ـــ شـبث بن ربعى من قادة الخوارج قبل الحركة الحسـينية ومن قادة جند ابن زياد فى الجيش الخارج لمحاربة الإمام، مع أنّه كان من جملة المكاتبين للإمام عليه السـلام؛ إذ هؤلاء كانوا ناقمين على الوضع تحت وصاية بنى أميّة وكانوا يطمحون للخلاص منهم، فلمّا سنحت الفرصـة بهلاک معاويـة كاتبوا الإمام عليه السـلام، ثمّ لمّا قويت شوكـة الدولة من جديد بقدوم ابن زياد إلى الكوفة عادوا إلى إظهار الموالاة للدولة وموادعتها والتزلّف إليها تخلّصاً من شرّها واستدراراً للمغانم منها.

كما أنّ بعض المتخاذلين هم ممّن يظهرون الحبّ والولاء لأهل البيت إلاّ أنّ هـذا الحبّ والولاء لـم يرتكز على قاعـدة عقائديـة متينة فانهار ولاؤهم سريعاً بمجرد التعرّض للضغط والإرهاب الأموى.

2 ـــ حبّ الحياة والتعلّق الشديـد بالـدنيا، فلم يكونوا يتمتّعون بالروح التضـحوية والفدائيـة التى كانت متوفّرة فى شـرطة الخميس مثلاً ـــ وشرطة الخميس قرابة

الخمسة آلاف رجل شرطوا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام نصرته حتّى تتحقّق أهدافه أو يموتوا دونه وشرط لهم على الله الجنّة منهم مالک الأشتر وأمثاله ___ .

ونلاحظ أنّ من جملة التهديدات التى أدّت إلى انهيارهم: ___

أ ___ التهديد بجيش الشام.

ب ___ قطع الرواتب.

ج ___ تشتيت جموعهم فى سرايا الغزو والجهاد.

وقد أعلنها الإمام صريحة لمّا قال له الفرزدق عن أهل الكوفة: (قلوبهم معک وسيوفهم عليک)، إذ أجابه الإمام عليه السلام:

«الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»(1).

وقد صاغ الشيخ فتح الله الاصفهانى ___ شيخ الشريعة قائد ثورة العشرين نفس المعنى بصياغة ثانية لظرفٍ عاشه: (أقول هذا مع علمى بأنّ الناس لا خير فيهم إذا مسّ الدين دنياهم)(2)، وهذا معناه أن المأساة مستمرة، لأن سببها قائم.

ولو كانت الروح التضحوية الفدائية متوفّرة كما هو المطلوب فى مثل هذه الظروف والثورات المصيرية التغييريّة، لما انهاروا سريعاً خلال يوم واحد، بل واصطفّوا فى سرايا وكتائب الجيش الأموى وخرجوا لحرب الإمام عليه السلام.

3 ___ عدم توفّر جانب الوعى عند الكوفيّين فمن يُقاسى مختلف ألوان الذُلّ

1- العبّاس عليه السلام للشيخ القرشى: ص167.

2- لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث للكاتب على الوردى: ج5، ق2، ص78.

والضـغوط من آل أميّة وولاتهم قرابة العشـرين عاماً وقد لاحت له تباشـير الفرج والخلاص كيف يصـغى للأراجيف وللتهديد بجيش الشام وقطع العطاء مع أنّهم خبروا هـذه الدولـة وحكّامها وخبروا عـدل عليّ وولده وقد اسـتماتوا طيلة هذه السـنين لتحصـيل موافقة الإمام على إكمال مسيرة والده وأخيه فى الكوفة وقد جَدّ منه العزم على تغيير الأوضاع من جديد.

4 ـــ الحركـة السـريعة التى قام بها ابن زياد بمساعدة جمع من أتباع السـلطة وأدواتها فى بثّ الإشاعات والأراجيف والتهديدات بجملة من العقوبات ممّا حدا بأكثر الناس إلى الانسحاب من ساحة المواجهة وتخذيل بعضهم لبعض تحاشياً لغضب الدولة ورهبة صولتها.

5 ـــ دور بعض شيوخ العشائر والوجهاء وأصحاب المصالح فى توهين عزائم الناس، وتثبيطهم، وإدخال الخور والرُعب فى نفوسهم وتأكيد التخويف بجيش الشام وقطع العطاء والأرزاق.

6 ـــ قساوة الجهاز الحاكم ودمويّته المعروفة فى التعامل مع حالات العصـيان والتمرّد فإنّ تجربة أهل الكوفة معهم مُرّة وقاسية جدّاً، إذ إنّ المعروف عن بنى أميّة والحكّام الذين يعملون تحت إمرتهم أنّهم لا يتوقّفون عن فعل أيّة جريمة مهما كانت ولا يخافون حشراً ولا عقاباً.

إلاّ أن هـذا الأمر ـــ فى الواقع ـــ من دوافع أهل الكوفة للاسـتغاثة بالإمام السـبط وطلب إنجاده لهم لتخليصـهم من الحكم الأموى وكان الأجدر عند استذكارهم لهذا، التصلّب والاستماتة فى نصرة الإمام حتّى تحقيق الهدف

المشترک إلاّ أنّ انضمام هذا السبب إلی عوامل الانهیار الأخری أثّر تأثیراً عکسیّاً وقلبهم إلی أعضادٍ لبنی أمیّة اجتناباً لسخطهم ونتائج غضبهم وهم یشبهون فی مسلکهم هذا طائفة الیزیدیة الموجودین فی بعض نواحی العراق ـــ سنجار ـــ إذ یعبدون الشیطان ویقدّسونه(1) بدعوی أنّه شرّ کلّه، وإنّهم إنّما یعبدونه للنجاة من شرّه...!!

1- ألّف فیهم الباحث السید عبد الرزاق الحسنی، المؤرّخ العراقی المعروف کتاباً یحکی عقائدهم وسلوکیاتهم وحیاتهم عن معاشرة واطّلاع شخصی، وقد طبع الکتاب فی العراق وطبع له کتابان آخران الأوّل عن الصابئة، والثانی عن البابیة والبهائیة.

دروس من حركة مسلم

حركة مسلم جزء من حركة الإمام الحسين صلوات الله عليه وسلامه.

وبانهيار حركة مسلم بدأ التداعى فى حركة الإمام سيّد الشهداء عليه السلام.

ومن حركة الإمام الشهيد نستلهم الدروس والعِبر فى مجالات شتّى.

وكذا من حركة مسلم.

والدروس المستفادة من حركة الإمام الشهيد لها موضع آخر فلنعرّج إلى ما يُستفاد من حركة مسلم.

وقبل البدء نقول: إنّ فاجعة كربلاء من أوجع الكوارث التى حلّت بالإسلام ومن أكثرها مرارة بكلّ تفاصيلها وأحداثها، ولو لم يكن من أحداثها غير أنّ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحرّر الإنسانية من الشرك والخرافات والحياة الرذيلة يتحوّل من بلدٍ إلى بلد بنسائه وأطفاله وأهل بيته وخيرة صحبه فلا يجد له مأوى ولا مقرّاً إذ تلاحقه أجهزة الدولة لاغتياله أو لكسر مقاومته للدولة المتجبّرة ولإخضاعه لخلافة يزيد مُذلّ المؤمنين وهاتك حرمات الإسلام.

لو لم يكن من كوارث تلك الحقبة غير تنقّل الإمام من مكان إلى مكان، لكانت القاصمة، كيف وقد جرت الأحداث بما لا يرتضى جريانه على أىّ مسلم.

ستبقى مصيبتنا بالحسين خالدة، وإن ثار المختار وقتل قَتَلة الحسين عليه السلام وحصل أقصى ما يمكن فعله للأخذ بثأر الحسين، فإنّ حرارة المصيبة لن تبرد.

لقد فعل بنو أميّة ما لا يتدارک أبداً، ولن ينجو أحد من عاره إلاّ بالبراءة كلّ البراءة من القتلة وأفعالهم وصبّ اللعنات عليهم وهذا أضعف الإيمان.

نعود إلى الدروس المستفادة من حركة مسلم:

1 ـــ الدرس الأوّل الذى نستفيده من حركة مسلم ومن نفس سلوک مسلم رضوان الله تعالى عليه: أنّه يلزم علينا التحرّک لسدّ الثغرات على الدين وأهدافه، ولتحقيق أقصى ما يمكن فعله فى سبيل إنجاح الحركة الدينيّة وفتح المسار لها وذلک بمتابعة الواقع الخارجى، والتأكد من صحة تشخيصه لاتخاذ الموقف المناسب بإزائه، ومما يملأ النفس مرارة عظم الثغرة فى جانب التشخيص هذا وصحّته؛ إذ يقع المرء كثيراً بين الافراط والتفريط فتختلّ النتائج والله المستعان.

ومسلم بن عقيل أخذ البيعة من الناس وجمع الرجال والمال والسلاح ثمّ أعلن الثورة على ابن زياد واحتل الكوفة إذ الحزم والإمساک بزمام الأحداث بقوّة كان يقتضى هذا، وكان الصلاح ظاهراً فيما فعله ولو عادت الأحداث القهقرى لما وجدنا الصلاح إلاّ فيما فعله ورغم كلّ حزمه وضبطه فإنّ البناء الذى شاده بإحكام وإتقان قد انهار وليس الانهيار بسببه بل لخذلان أهل الكوفة له وعدم جدّيتهم فى نصرة الإمام عليه السلام فهم يريدون قلب الأوضاع وكسح بنى أميّة من الساحة إلاّ أنّهم يريدونها كالغنيمة الباردة، تحصل بدون متاعب تذكر وحالهم كحال من

خاطب موسى عليه السلام:

((... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّکَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ))(1).

وما سلكه مسلم ليس بغريب عن المبانى الفقهيّة المعمول بها فعلاً والمستفادة من النصوص المباركة؛ إذ هى نفس ما نعبّر عنه اليوم بالأمور الحسبية.

والأمور الحسبيـة: هى الأمور التى نعلم بالـدليل إرادة الشارع المقـدّس لها إلا أنّه لم يظهر لنا ـــ بدليل ـــ إناطة القيام بها وطلبها من جهة معيّنـة بالـذات فيلزم صدورها على نحو الواجب الكفائى إلاّ أنّه يحتمل لنظر نائب الإمام مدخلية فى صـحّة صدورها أو يكون القدر المتيقّن ممّن يصحّ صدورها منه هو الفقيه فلابدّ من إذن الفقيه الذى هو نائب الإمام فى المقام.

وما قام به مسـلم هو من تطبيقات هـذا الأمر؛ إذ هو ممثّل الإمام ونائبه فى الكوفـة فلابدّ له من التصدّى للأمور الهامّة التى بها تحقيق مهمّة الإمـام عليه السـلام وإنجاحهـا وهى من أخطر الأعمال التى تصـدر عن الإمام المعصوم؛ إذ عليها يتوقّف مصـير الإسـلام ومصـير الإمام ومصير الأمّة، وكذلک عليه سدّ الثغرات التى تحصل فجأة فى حركة الإمام ونهضته وإلاّ اتسع الخرق وعسر العلاج.

ولعلّ فى مجموعـة من الظروف التى تواجه الإسـلام والحركة الإسـلامية اليوم والعلماء والحوزة والمذهب أموراً من هذا القبيل التى لو كان مسـلم حيّاً لسارع وبادر إلى العمل الجادّ المضنى لسدّ الثغر وتهيئة الفرصة لإعادة الروح للوجود الإسلامى وللمجتمع الإسلامى، وأىّ أمرٍ حسبىّ أهمّ من هذا؟

1- سورة المائدة، الآية: 24.

أمّا ترک الأمور علی علاّتها، بدعوی أنّ فی ازدیاد الأمور سوءاً ظهور الإمام أو تحقّق الآمال بوجه آخر، فمن یضـمن هذا؟ وعلی أیّة ضابطة؟ ولعلّها تفتح علی الإسلام باباً من الشرّ لا یُسدّ وبلاءٍ لا ینقطع، وتغرق السفینة بمن فیها والشواهد لا تُحصی.

والحقیقة أنّ الأمور تبشّر بالخیر، ورعایة ولیّ الله الأعظم للإیمان وأهله وللعلم وأهله لا تخفی بل هی الیوم ظاهرة للعیان، أسأل الله سبحانه تحوّل الأـمور من الحسن إلی الأـحسن حتّی تختم بظهور بقیّـة الله فی أرضه، وأسـأله سـبحانه أن یرزقنا رضاه فی غیبته وظهوره وأن یجعلنا محلّ عنایته وتسدیده ومورد عفوه وصفحه فإنّه أهلٌ لکلّ هذا وأعظم من هذا لی ولکلّ محبّیه.

2 ـــ من الأسـباب المهمّـة التی أدّت إلی کشف مکان مسـلم، وإلی کشف طبیعـة المهمّة التی جاء بها، والأعمال التی یمارسـها فعلاً فی الکوفـة، تمکّن جاسوس ابن زیاد ویـدعی ـــ معقل ـــ من الوصول إلی معرفة ما تقدّم عبر تعرّفه علی إحدی الشخصـیات المهمّة الموثوقة عند مسلم رضی الله عنه وهو: مسلم بن عوسجة ـــ أحد أبطال الطفّ ومن أبرز الشهداء ـــ .

روی: دعـا ابن زیاد مولیً له یقال له معقل، فقال: خُـذ ثلاثـة آلاف درهم، ثمّ اطلب مسـلم بن عقیل، والتمس أصـحابه، فإذا ظفرت بواحدٍ منهم، أو جماعـة، فأعطهم هـذه الثلاثـة آلاف درهم، وقل لهم: اسـتعینوا بها علی حرب عدوّکم، وأعلمهم أنّک منهم، فإنّک لو قد أعطیتها إیّاهم، لقد اطمأنّوا إلیک، ووثقوا بک ولم یکتموک شیئاً من أخبارهم، ثمّ اغدُ علیهم ورُح حتّی تعرف مستقرّ مسلم بن عقیل وتدخل علیه.

ففعل ذلک، وجاء حتّی جلس إلی مسلم بن عوسجة الأسدی فی المسجد الأعظم وهو یصلی، فسمع قوماً یقولون: هذا یُبایع للحسین، فجاء فجلس إلی جنبه حتّی فرغ من صلاته، ثمّ قال: یا عبد الله، إنّی امرؤٌ من أهل الشام، أنعم الله علیّ بحبّ أهل هذا البیت وحبّ مَنْ أحبّهم، وتباکی له وقال: معی ثلاثة آلاف درهم، أردت بها لقاء رجل منهم بلغنی أنّه قدم الکوفة یُبایع لابن بنت رسول الله فکنتُ أرید لقاءه فلم أجد أحداً یدلّنی علیه ولا أعرف مکانه، فإنّی لجالسٌ فی المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنین یقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البیت، وإنّی أتیتک لتقبض منّی هذا المال وتُدخلنی علی صاحبک، فإنّما أنا أخٌ من إخوانک وثقة علیک، وإن شئت أخذت بیعتی له قبل لقائه.

فقال له مسلم بن عوسجة رحمه الله: أحمد الله علی لقائک إیّای، فقد سرّنی ذلک، لتنال الذی تحبّ، ولینصر الله بک أهل بیت نبیّه علیه وآله السلام ولقد ساءنی معرفة الناس إیّای بهذا الأمر قبل أن یتمّ مخافة هذا الطاغیة وسطوته، فقال له معقل: لا یکون إلاّ خیراً، خُذ البیعة علیّ، فأخذ بیعته وأخذ علیه المواثیق المغلّظة لَیُناصحنّ ولَیَکْتُمَنّ، فأعطاه من ذلک ما رضی به، ثمّ قال له: اختلف إلیّ أیّاماً فی منزلی، فأنا طالب لک الإذن علی صاحبک، فأخذ یختلف مع الناس، فطلب له الإذن، فأذِنَ له، فأخذ مسلم بن عقیل رضی الله عنه بیعته، وأمر أبا ثمامة الصائدی ـــ وهو من شهداء الطفّ أیضاً ـــ فقبض المال منه، وهو الذی کان یقبض أموالهم وما یُعین به بعضهم بعضاً، ویشتری لهم السّلاح، وکان بصیراً، ومن فُرسان العرب، ووجوه الشیعة.

وأقبل ذلک الرجل یختلف إلیهم، وهو أوّل داخل وآخر خارج، حتّی فَهِمَ ما احتاج إلیه ابن زیاد من أمرهم، وکان یخبره وقتاً فوقتاً(1).

ما تقدّم قد ذکره المفید فی کتابه ـــ الإرشاد ـــ واختصر السیّد ابن طاوس المطلب فی اللهوف فقال: وکان عبید الله بن زیاد قد وضع المراصد علیه ـــ أی وضع العیون والجواسیس علی مسلم ـــ فلمّا علم أنّه فی دار هانئ(2)... بینما ذکر الطبری فی تاریخه وابن کثیر فی البدایة والنهایة والدینوری فی الأخبار الطوال(3) ما نقله المفید فی الإرشاد.

حینما نتأمّل فی هذه الروایة ونمعن الفکر فی الطریقة التی اتّخذها ابن زیاد لکشف مقرّ مسلم وطبیعة مهمّته، وتحرکاته، ونتابع الأحداث التی تمخّضت عن خطّة ابن زیاد، فسنری العجیب المُذهل.

أیُمکن لمعقل أن یکون الثغرة التی نفذ منها ابن زیاد، ونقض قواعد الحرکة کلّها من جهته؟

والتفت معی إلی الطریقة التی توسّل بها ابن زیاد لتحقیق فکرته، والعنوان الذی ادّعاه ذلک الآثم لینجح فی مسعاه:

أ ـــ شامی: وأهل الشام بشکل عام من أنصار بنی أمیّة، فإذا انضمّ أحدهم إلی حرکة أهل البیت وأظهر محبّتهم وموالاتهم فإنّ هذه الحیثیّة ستسبّب اهتمام مسلم وصحبه به وتدفعهم إلی استیعابه ومعاملته بالترحاب بشکل استثنائی، وهذه

1- الإرشاد للشیخ المفید: ج2، ص46.

2- الملهوف للسید ابن طاوس: ص114.

3- تاریخ الطبری: ج4، ص270؛ البدایة والنهایة لابن کثیر: ج8، ص153؛ الأخبار الطوال للدینوری: ص249.

حالـة ملحوظـة فى أيّامنا هذه حين يعرض امرؤ غير مسـلم دخوله فى الإسـلام، أو من مذهب آخر دخوله فى مذهب الإمامية، أو غير ملتزم بأحكام الدين التزامه بها وبشكل حادّ ونحو هؤلاء فإنّ المجموعة المؤمنة تندفع لاستيعابه واحتضانه والاهتمام به بما قد يؤدّى إلى الغفلة عن حقيقة توجّهاته.

وليس قصـدنا من هـذا الطعن فى كـلّ متحوّلٍ إلى طرف الاـلتزام بـل على العكس من هـذا فإنّ دين الإسـلام ومـذهب الإماميـة فيهما من الـدواعى والحقّانيـة ما يجـذب الإنسان المثقّف والواعى وذا الضـمير الحىّ ونحوهم، إلاّ أننا ننبّه على أنّ هـذه الجهـة ثغرة ينفذ العدوّ منها ونقطة ضعف فى النفس الإنسانية بشكل عام ينبغى الالتفات إليها.

ب ـــ مولى: والمولى هنا هو من كان عبداً ثم اعتقه مالكه، فهو مولىً له، والموالى من غير العرب غالباً.

وقد قامت سـياسة بنى أميّة على تفضيل العنصر العربى على غيره، على عكس سياسة بنى العبّاس التى قامت على تقديم الموالى وتفضيلهم على العرب، وكلتا السـياستين ليسـتا من الإسـلام فى شـىء، بل المسـلمون كلّهم سواسية فى مطلق الأمور ويتقدّم بعضهم على بعض فى بعض الموارد بـالتقوى، والإيمـان، والعلم، والكفـاءة، وهنـاك عناوين أمر الشـرع المقـدّس الاهتمام بها بلحاظ ارتباط الاهتمام بها، بنفس الاهتمام بالدين وتشـييده وكلّ هذا يؤخذ من الفقه عن طريق فتاوى العلماء العدول المستوعبين لمبانى الشريعة وأحكامها وليس محلّها هنا ومرامنا هنا الإشارة إليها فقط.

بمقتضى سياسة بنى أميّة مع الموالى، وتفضيل العرب عليهم، فإنّ الموالى أصبحوا من الطبقة الممتهنة والمضطهدة ـــ بالفتح ـــ فلا تميل إلى خدمة الكيان الحاكم والإخلاص له، كما أنّ بنى أميّة لا يدخلونهم فى وظائفهم ولا يثقون بهم.

فاستغلّ معقل هذا الحال وادّعى أنّه من الموالى كى يتمكّن من استحصال ثقتهم به ويستطيع النفوذ بينهم، وادّعاء معقل أنّه من الموالى لم يذكره المفيد وإنّما ذُكر فى رواية الطبرى.

ج ـــ محبّ لآل محمد: ومعلوم أنّ كون المرء مُحِبّاً لآل البيت عليهم السلام، ممّا يدفع بمسلم وصحبه إلى الترحيب بالقادم واستيعابه وإدخاله فى أمرهم لأنّ انتصارهم انتصار له وقضيّتهم قضيّته.

د ـــ يعرض مبلغاً كبيراً من المال:

وهذا ممّا يدفع إلى حُسن الظنّ بالطرف المقابل، لأنّ الناس إنّما تعرض نفسها بلسانها وأمّا أن تضحّى بالمال، وبمبلغ كبيرٍ، فإنّ هذا قرينة على أنّ هذا الشخص من ذوى الدرجات الرفيعة فى الإيمان، ومن المضحّين، وممّن يلزم فسح المجال له لرفد الحركة بالقوّة، وهذه الفقرات والعناوين، لعلّ قائلاً يقول إنّها ممّا يمكن كشف الدسيسة حتّى مع وجودها، ويمكن التخلّص من الشَرَكْ الأموى المُناط بها.

فإنّ هذا تعليل بعد الورود، وبعدما عرفنا ورأينا النتائج، وسمعنا بالتفاصيل، والأمور لا تُقاس بنتائجها، وأمثال هذه الشِراك حينما تُهيّأ فإنّها توقع فى الاشتباه ولا يُلتفت إليها إلاّ بعد انقضائها.

والقصد أنّ الدرس الذى تقدّمه لنا حادثة المجرم معقل، هو الالتفات تمام الالتفات إلى خُدع الظلمة ودسائسهم وإمكانياتهم فى زماننا أعظم بكثيرٍ من إمكانيات زمان مسلم رضوان الله تعالى عليه، والسلاح اليوم سلاح الإعلام بفروعه، كسلاح الإشاعات والأراجيف، واستخدام مختلف صنوف المغالطة والتمويه والتدليس لحرف أنظار الرأى العام عن القضية المركزية وإلهائِهِ بتوافه الأمور حتّى تقع الجريمة العظمى، أو تشويه وجه الحقيقة بحيث لا تقبلها الأمّة وتنبذها مع أنّ فيها إنقاذها وسعادتها.

ولا يستوعب المقام أساليب الدجل والتضليل التى يمارسها الظلمة التى تُوصل الأمّة إلى المتاهة ثمّ الانقلاب على الأعقاب وهكذا الأمر جيلاً بعد جيل والمأساة مستمرّة لا تقف عند نقطة، والحقّ مهضوم، والإسلام مكفأ، والقرآن مهجور، والإمام غائب.

3 ـــ الالتزام الحرفى والدقيق بأوامر الإمام المعصوم ونواهيه فإنّ نتيجته إحدى الحسنيين إمّا الظفر بالمطلوب، أو الفوز بالأجر والثواب وتحصيل القُرب من المولى سبحانه، وفى عصيانه يقع المرء تحت طائلة العقوبة سواءً أحصل على مراده أم لا.

ومسلم رضوان الله تبارک وتعالى عليه نال رضا المعصوم وترحّمه فقد نُقل عن سيّد الشهداء عليه السلام قوله:

«رَحِمَ الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه، وتحيّته ورضوانه، أما إنّه قد

قضى ما عليه، وبقى ما علينا»(1).

ولم يُنقل عن سيّد الشهداء لا من قريب ولا من بعيد أنّه لامَ مسلماً أو أظهر تأسّفاً على فعلٍ صدر عنه، كما أنّ من المعلوم أنّ صيرورته فوراً بعد استشهاده إلى رضوان الله تعالى أعظم دليل على أنّه التزم تعليمات الإمام وأوامره ونواهيه وبذل وسعه وجهده فى النُصح لإمامه وفى سدّ الثغرات فى حركته، وفى تحقيق كلّ ما هو تكليفه حتّى قضى شهيداً سعيداً مرفوع الرأس قد أدّى ما عليه، رضوان الله تبارک وتعالى عليه.

4 ـــ الحذر من نقض العهود والعقود والمواثيق خصوصاً مع الله تعالى والنبى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة المعصومين وكذلک مع من يقوم مقامهم من نوّابهم الخاصين أو العامّين.

والنائب الخاص: من يكلّفونه بمهمّةٍ محدّدة كمالک الأشتر المعيّن لقيادة جيش أمير المؤمنين عليه السلام أو للولاية على مصر، أو المعيّن بالاسم كنوّاب الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف الأربعة (العُمرى، والخلاّنى، والنوبختى، والسمرى) رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

والنائب العام: هو الفقيه العادل فى زمن الغيبة الكبرى حتّى ظهور ولىّ الله الأعظم وحفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبشارته إلى الأمّة ـــ المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف ـــ .

فإنّ من نقض العهود والمواثيق آثاراً وخيمة وعقوبات هائلة، والنتيجة التى

1- الملهوف: ص134.

آلت إليها حركة الحسين عليه السلام من استشهاده وأهل بيته وصحبه بمن فيهم مسلم وعبد الله بن يقطر وقيس بن مسهر الصيداوى وهانئ بن عروة وغيرهم إنّما حصلت بسبب الغدر ونقض العهود والعقود والمواثيق بينما كان الفرج قاب قوسين أو أدنى من الأمّة كلّها إلى آخر عمر الدنيا بسبب معاهدة أهل الكوفة للإمام على نصرته والصمود معه والوفاء له حتّى ينتصر.

وقد حقّق الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه أعظم انتصاراته على جيوش ضخمة بسبب وفاء شرطة الخميس له وصمودهم معه ووفائهم بعهودهم فلم يؤثر تهاون أهل الكوفة وكسلهم وتقاعسهم وتشرذمهم فى انكسار جيشه وفى انهدام دولته، نعم ظهر الأثر فيما بعد حينما انفرط عقدهم واستشهد الكثير منهم.

فعلى الأمّة أن تصمد مع قائدها إلى الخطوة الأخيرة فلعلّ النصر والفرج والخلاص بعد خطوات وتكون انتكاسة الأمّة فى الظرف الذى وضعت إحدى قدميها فى محطّ آمالها.

عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل، حَمَلَت فلمّا أتمّت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمُها، وورثها أبعدها»(1).

فالنصّ يبيّن أنّ مشكلة أهل العراق هى تراجعهم عن مواقفهم بعدما كادوا أن يقطفوا ثمار الصبر، إذ المرأة الحامل تتحمّل آلام الحمل تسعة أشهر وإذا بهذه المرأة ـــ محلّ الشاهد ـــ تُسقط جنينها وهى حامل به فى شهرها التاسع أى بعدما

1- نهج البلاغة للسيد الرضى: الخطبة 71.

تحمّلت آلام الحمل ومشاقّه كلّها، ثمّ بعد موت جنينها وإذا بزوجها يموت أيضاً، وهو قيّمها المسؤول عنها والقائم بشؤونها، والمصيبة الثالثة التى تلحقها: تأيّمها، أى لا يتزوّج بها أحد، والرابعة: يرثها أبعدها.

أى نتيجة ما جرى عليها أنها لم تحصل على شىء فالزوج توفى والولد ذهب إلى قبره، ومواريث الزوج رجعت إلى أهله فلم تحصل على شىء من زواجها هذا غير الآلام ومبلغ بسيط ترثه هو حصّة الزوجة من الموارث.

فالإمام يشبّه حالة أهل العراق التى عاشها معهم بهذا المثال، فهم يتحمّلون المشاق والضيم لكل هدف نبيل ثمّ قبل وصولهم إلى أملهم وهدفهم وفرجهم بخطوات وإذا بهم ينتكسون على أعقابهم وتذهب كلّ جهودهم هباءً منثوراً.

5 ـــ إنّ أعظم درس نستفيده من حركة مسلم ونتائجها: هو ما يتعلّق بنا، وهو أن نُراجع تكليفنا وندقّق فيه حتّى نتيقّن من خروجنا من عهدته وتبرئة ذمّتنا منه، فلعلّ بعضنا ـــ أو جميعنا ـــ يُبتلى فى مقاطع من حياته بتكاليف من قبيل التكاليف التى وُجّهت إلى أهل الكوفة فيؤدّى إهماله وتقاعسه وغفلته إلى الوقوع فى نفس ما وقع فيه أهل الكوفة ويتحمّل آثاماً فى عنقه لا يستطيع منها فكاكاً.

فعلى المرء التدقيق فى تكليفه الشرعى ليعمل على وفق ما هو مطلوب منه، وليعلم أنّ جميع العلماء الأعلام متّفقون على أنّ الدفاع عن الإسلام وعن حياضه وحرماته ممّا يجب على كلّ أحدٍ كفايةً ولا يحتاج المرء معها إلى إذن فقيه أصلاً.

المرأة فی حرکة مسلم

الناس عموماً، فی مواجهة الحق والباطل، أصناف:

فمنهم الناصر المستمیت المضحّی.

ومنهم المحارب المناهض.

وبینهما: الساکت، الخاذل، المخذّل، المتذبذب، ذو الوجهین واللسانین، والمرأة فی ساحة حرکة مسلم کذلک.

فمن جهة: تأتی النساء إلی ذویهن ـــ بعد إعلان مسلم لثورته علی ابن زیاد ـــ فهذه ترغّب زوجها فی الرجوع وطلب السلامة، وهذه تستعطف ولدها کی یُبقی علی نفسه ویقرّ عینها برجوعه، وتلک مع أبیها وهکذا...، والنتیجة أنّه لهذا السبب وذاک انصرف عموم الناس عن مسلم ولم یبق معه أحد.

وفی الجانب الآخر، امرأة أشرق عملها بما صنعت، فهی تستقبل مسلماً، وتستضیفه فی بیتها، وتُحسن ضیافته، وتستر أمره، فلم تُبال بما قد تتعرّض له من السلطة المنحطّة التی لا تحترم نفساً ولا عِرضاً، ولا تأبه لکبیرٍ أو صغیر، ولا لرجل أو امرأة.

ثمّ لمّا خدعها ولدها، وعلم منها حقيقة ضيفهم العظيم، وسارع هذا الأثيم إلى إخبار السلطة، وأقبلت الجنود بكثرتها وعدّتها وحاصرت مسلماً لم ترتعب ولم تضيّق عليه حتّى يغادر دارها بل تصبّرت، واستسلمت للقضاء.

هذه المرأة ـــ ذات الشيم والخصال العربية النبيلة التى حافظ عليها الإسلام وعزّزها ـــ تُدعى طوعة.

دع عنک اسمها، فإنّ الأسماء تُرتجل غالباً، ولكلّ زمانٍ خصوصيّته وأسماؤه، والتفت معى إلى دخيلتها، فأيّة امرأة فى النساء هذه، إنّها من الصنف النادر فى نوع النساء.

إنّ المرأة غالباً ما تخضع لمحيطها ولزوجها ولميول معيلها، على طول التأريخ إلاّ أنّ جمعاً من النساء، ثُلّة من الأوّلين، وثلّة من الآخرين، أظهرن وعياً، وتعقّلاً، ومبدئيّةً.

خُذ إليک مثلاً: امرأة فرعون.

كان الشأن بها أن تطاوع زوجها فى مراده، وتؤكّد توجيهاته، فكل ما تبنيه لأجل زوجها يعود نفعه إليها، وهى تعلم جزاء من يُخالف فرعون وأىّ مصير ينتظره.

على أنّ السير وحيداً عكس التيّار ممّا تستوحشه أكثر النفوس، فكيف خالفت فرعون ـــ زوجها الطاغوت ـــ وعاكست تيّار السياسة والمجتمع إلى أن اكتشف زوجها أمرها، وأوعدها، وعذّبها حتّى ماتت شهيدة وهى لا تُريد من ربّها غير مستقرٍّ فى رحمته، ودار كرامته.

نوادر، أمثال هذه المرأة.

وطوعة من نوادر النساء ضمن محيطها.

تأمّل معى:

هل هذا الحال فى المرأة، وهذه الانسيابية مع الزوج والوالد والأخ، هو ما يقتضيه طبعها وقد جُبلت عليه حتّى لا تتمكّن منه فكاكاً.

فكيف أمرها الله ونهاها، ووعدها الجنّة وأوعدها النار.

كيف نجحت امرأة فرعون ومثيلاتها فى معاكسة التيّار، فأعرضن عن زخارف الزوج والوالد ونحوهما، ولَبَّيْنَ نداء العقل والدين فى وقت عزّ المانع والنصير من نُخبة الرجال.

إنّ حال المرأة فى العالم وعبر التأريخ، لحال مؤسف غير مرضىّ وغير مُبرّر.

الحال الذى تجرى فيه المرأة لا يعذرها عند ربّها، والشرع فصّل ما لها وما عليها وبالوضع الذى هى فيه، لا تخرج عن عهدة التكليف، وكما يتحمّل جزءاً من المسؤولية وليّها ومن يقسرها على وجهة معيّنة، ومن يُزخرف لها أقوالاً وأفعالاً فيضلّلها عن طريق الصواب، فكذلك تتحمّل هى جزءاً من المسؤولية لتقاعسها عن السعى بمقدار الممكن للوفاء بالتزاماتها، ولتنفيذ ما عليها من تكاليف إلزامية، فعلٍ أو ترك.

المرأة اليوم فى أنحاء العالم تنطلق فى مساحة أكبر من الحريّة والاستقلالية لكنّها سقطت فى الجانب الثانى، فمن التفريط إلى الافراط، ومن ضلالة إلى

ضلالة ومن كبوةٍ إلى أخرى أدهى منها وأمرّ.

هناک صِراط مستقيم، أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف، مطلوب من المرأة كما هو مطلوب من الرجل، السير فيه، والاستقامة عليه، وإلاّ جرفهما تيّار الضلالة على حيث لا قرار وإلى أنواع المخازى والمهالک.

على المرأة أن تستعيد دورها الحقيقى فى الحياة، فالجيل الطاهر المُشبّع بالكرامة والقيم، لا ينشأ إلاّ فى أحضان الأمّهات الصالحات الواعيات العاقلات المتديّنات، المستقيمات فى درب العفاف آخذات بما أمر الله، منتهيات عمّا نهى، ومن هذا الجوّ تبرز طوعة وأمثالها وإلاّ فما فى الديار غير المخذّلات عن درب الله ورسوله، نعم الثُلّة الإيمانية القليلة ـــ بملاحظة نسبة الطرف الآخر ـــ موجودة دائماً، إلاّ أنّها تبقى (قليلة) ولذلک فالأثر الإيجابى محدود جدّاً.

أولاد مسلم

فی طرفٍ من مدینة المسیّب العراقیة التی تبعد عن کربلاء المقدّسة قرابة الثلاثین کیلومتراً یوجد هناک مرقد یعرفه الدانی والقاصی ب_(مرقد أولاد مسلم) فیه ضریحان لصبیّین من أولاد الهاشمی العظیم مسلم بن عقیل بن أبی طالب یُعرف أحدهما بإبراهیم والآخر بمحمد.

هذان الصبیّان کانا بصحبة الإمام الحسین علیه السلام وضمن عائلته، إذ اصطحبهم الإمام معه بعد تقدّم والدهم کسفیر للإمام إلی الکوفة، فکان من اللاّزم اصطحاب العائلة ولعلّه: للالتحاق بولّیها ومعیلها ولئلاّ تصبح رهینة فی أیدی الطواغیت، أو لمصالح أخری فی البین.

بلغ خبر استشهاد مسلم للإمام علیه السلام وهو فی طریقه إلی الکوفة فما أثّر هذا الخبر فی تغییر الإمام لمسیره ونهجه.

وبسبب صغر أولاد مسلم لم یشترکا فی معرکة الطفّ یوم عاشوراء، کما أنّه بعد استشهاد الإمام عصر عاشوراء وهجوم الجیش البهیمی الکافر علی مخیّم عائلة النبی صلی الله علیه وآله وسلم أرعب الأطفال والنساء ففرّ الجمع علی وجوههم فی الصحاری بأمر العقیلة زینب صلوات الله علیها عن توجیه زین

العابدين عليه السلام، وممّن فرّ أولاد مسلم، هذا وجيش بنى أميّة يسلب وينهب ويحرق.

وفى الرواية(1): إنّهما سُجنا سنة وانقطعت أخبارهما عن العائلة ثمّ فرّا بمعونة الحارس الذى تعاطف معهما، وبلغا بمسيرهما مدينة المسيب فآل أمرهما إلى دار شملتهما المرأة التى فيه برعايتها غير أنّ زوجها اعتقلهما وأخذهما إلى شاطئ الفرات فصلّيا وابتهلا إلى المولى سبحانه وبعدها اعتقلهما وأخذهما ذلک البربرى وفصل رأسيهما عن الجسدين الطاهرين وحمل الرأسين إلى طاغية العراق ابن زياد لنيل الجائزة عنده.

ولبشاعة الحادث من جهة، ولما جُبل عليه بنو أميّة وأذنابهم من غدرٍ لمن رفضهم ولمن أطاعهم على حدٍّ سواء أمر ابن زياد بحرمانه من العطاء بل بذبحه صبراً.

ولعلّ هذا إنّما صدر منه تظاهراً بمكارم الخصال وعلوّ النفس واستدراراً لاحترام الناس وولائهم إلاّ أنّه انتقام إلهى على كلّ حال.

ولعلّ السبب الأوجه هو النكوص عن وجهة النظام فى التعامل بعدما أخذ البركان يقوى وتتّسع دائرته فى بقاع متعدّدة من العالم الإسلامى لحقارة الفئة الحاكمة ولانقلابها على الإسلام وارتدادها علانيةً ولما اقترفته من جريمةٍ عظمى بحقّ البيت النبوىّ وفيهم الطفل الرضيع والصبى المراهق والشيخ الهرم والمرأة المخدّرة، وشرفاء الأمّة بل سادة البشرية جمعاء وصفوة المولى سبحانه، فتحاول

1- بحار الأنوار: ج45، ص100.

السلطة ـــ التى لا يحوى إهابها غير الغدر والدجل ـــ تفريغ بعض غيظ الأمّة عن طريق إظهار بعض الاستقامة والعدل.

ومن أوائل نُذُر الثورة، ما صدر عن أهل الكوفة من ندم، وتقريع بعضهم لبعض على الجريمة النكراء التى صدرت منهم، وإشادتهم بأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإعلان تصميمهم على الائتمار بأمر زين العابدين لو دعاهم إلى الكفاح والجلاد.

غير أنّ الإمام القائد زين العابدين سخِر من ندمهم هذا واصفاً إيّاهم بالغدرة المكرة فأىّ عهدٍ هذا، وهم قد كاتبوا والده سيّد الشهداء عليه السلام عشرة أعوام معاهديه على النصرة والوفاء والتضحية دونه ثمّ تنصّلوا من عهودهم بأهون سبيل وأسرعه وانقلبوا إلباً لأعدائهم على أوليائهم بغير عدلٍ أفشوه فيهم غير الخسيس من الدنيا أنالوهم.

إنّ ما صدر عن ذلک الدنىء من قتل ولدى مسلم وفصل رأسيهما وهما الشريفان الغريبان الخائفان الجائعان اليتيمان المتّصل نسبهما بالبيت النبوىّ، وبخلفاء وزعماء الأمّة، وهما أيضاً الطاهران فى خُلقهما وخَلقهما ونشأتهما وصفاتهما، ويدلّ على مدى ما بلغته الأمّة من هبوط على يد بنى أميّة وعلى يد التيّار الذى استلم قيادة الأمّة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف سمَحت نفس ذلک المجرم بذبحهما من الوريد إلى الوريد وفصل رأسيهما ولا تسمح قوانين العالم وأعرافها وفطرة الإنسانية عن الإتيان بسوء لمن هو فى مثل هذا العمر ولم يصدر عنهما قتال ولا أذى ولا ما يستوجب أىّ ردّ فعل.

إنّ هـذه الفعلـة لا تـدلّ على خساسـة وحقارة ولؤم الفاعل فحسب ـــ وإن دلّ ودل ـــ بل الدلالـة الأهمّ على وجهة السـلطة الكافرة التى تحكم العالم من أقصاه إلى أقصاه ولا ترتكز على دين أو قانون أو عُرف أو أخلاقيات وسُنن.

وليست هـذه لهم بأوّل فعلـة فقد قتلوا القاسم بن الحسن وعبد الله بن الحسن وثالثة الأثافى وليست أخيرها جريمتهم الأعظم بذبح عبد الله الرضـيع ولـد الإمام الحسـين عليه السـلام ولم يتجاوز الأشـهر السـتّة فى أحضان والده بعدما كاد أن يقضـى عطشاً، إذ ما من مرضعٍ تمدّه بإرضاعهـا وقـد أشـرف الجميع على الهلاک عطشاً وجفّ عنـدهنّ الحليب، ومن قَبْلُ ما جرى للمحسن عليه السـلام وأمّه ـــ سـيّدة نساء العالمين وقدّيسة آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ـــ.

أى نفسٍ تسـمح بقتل طفلٍ عمره سـتّة أشـهر بل تسـمح بقضائه عطشاً وقد أذِن لهم الحسـين بأخذه منه وسقيه الماء إن تخوّفوا أن يشرب هو أيضاً من الماء.

إنّ هـذه الفئة الحاكمة الكافرة قد أسّست لهذا الخلق وهذه السـيرة فى منعطفات النفس البشـرية وروّجت له وشـجّعت عليه وبذلت لأجله العطايا والجوائز فتنافست الناس بهذا السلوک ونحوه لنيل المنصب والعطاء وللتقرّب من صاحب السطوة أكثر من الآخرين.

ولاسـتكمال سلسـلة المحنة حرمت السـلطة أفراد المجتمع من سـبل العيش ومن حقوقهم، قهراً لهم وكسراً لشوكتهم واستدراراً لمثل هذه السلوكيات منهم، والتى من الممكن أن لا يقدموا عليها إلاّ والظرف هكذا والمنافذ أمامهم مسدودة وهو ما يعبّر عنه فى زماننا بسياسة العصا والجزرة.

ومن نتائج تلک السیاسة أن أقدمت الأمّة علی سحق مقدّساتها وقهر أهل بیت نبیّها، واستباحة مدینة الرسول ورمی الکعبة بالمنجنیق، وقتل الرضیع، والمرأة العجوز، والشیخ الهرم، من أجل عشرة دراهم، أو شاةٍ أو ثوب ولکی یبتسم الحاکم فی وجهه ویقول له: أحسنت.

وإلاّ فمن الذی نال منهم هناءة العیش ورفیع المناصب أو الإدرار المالی العظیم.

هذا عمر بن سعد قائد جیشهم وعَدوهُ بولایة الری إن قتل الحسین وبدّد شمل جیشه، وقد فعل بأفضل ما یأملون، ثمّ غدروا به وحرموه من تلک الولایة المشؤومة، فلم یحصل هو ولا أفراد جیشه إلاّ علی ما وصفه سیّد الشهداء علیه السلام ـــ خسیس عیش کالمرعی الوبیل(1) ـــ ولا یُعذر المرء أبداً باقترافه هذه الجرائم أو الأقلّ منها بکثیر بدعوی الفاقة أو انقطاع سُبل العیش فإنّ ساحة الدنیا ساحة امتحان وابتلاء فمن قَدِر علی ما یرید عن حِلٍّ وکرامة فبها ومن لم یقدر یصبر أو یقاوم جلاّدیه، أو یتحوّل إلی محلٍّ یهنأ له العیش فیه.

والأعظم والأجمل أن یوطّن نفسه علی مقاومة الباطل والصمود إلی جانب الحقّ إلی أن یُکتسحَ الطاغوت من جدید الأرض ویحلّ آل محمّد أصحاب الحقّ الشرعیوّن فی زعامة الأمّة وسیادة أمرها بحکم حدیث الغدیر وحدیث الدار(2)،

1- الملهوف للشیخ ابن طاوس: ص138؛ المرعی الوبیل: الوخیم، وما لا یُستمرأ؛ راجع: ترتیب العین للخلیل بن أحمد الفراهیدی: ج3، ص1922؛ المعجم الوسیط: ص1009.

2- المراجعات للسید عبد الحسین شرف الدین: ص130؛ وحدیث الدار هو الحدیث الذی عیّن فیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم علیاً علیه السلام وصیّاً له وخلیفة من بعده وکان هذا فی أوائل الدعوة الإسلامیة، ونقل هذه الواقعة الکثیر من أعلام العامّة، فراجع: المراجعات: ص131؛ لتعرف أسماءهم ومؤلفاتهم.

وبحكم آية:

((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ))(1)(2).

وغيرها، وإن أدّى صموده إلى ما أدّى، ولم ترض الأمّة بالتضحية بجيل واحدٍ فخسرت خمسين جيلاً والقافلة مستمرّة.

وأمّا سعادة الدنيا فليست مقتصرة على هذا الجانب ولعلّه يحصل على المال والملاذ ويخسر أموراً أخرى أهمّ منها بكثير كما هو الحاصل فى بلاد الغرب اليوم إذ ربحوا التكنلوجيا وخسروا العفاف.

إنّ بنى أميّة ومن أسّس لهم ومن سار على دربهم قد فضحوا أنفسهم بما صدر عنهم من أفعال تنمّ عن طبيعة المبادئ التى تقوم عليها نفسياتهم وسياساتهم ودوافع حكمهم.

وبنو أميّة بالخصوص قد حال يوم الطف بينهم وبين مرامهم واستمرار رغيد عيشهم إذ كشفت تلك الزمرة المنحرفة عن معتقدها ودخيلتها وواقع إيمانها بالله والمعاد وعن حقيقة المجتمع الذى تريد إقامته تحت ظلّ حكمها وعن الهدف الذى تبغيه من وراء هذا الحكم وإنّه يصبّ فى مصلحة مَنْ؟

أعربت عن أنّها حكومة الظالمين والفراعنة، وأنّها لا تتقيّد بقانون دين ولا قانون عُرف وليس لها دوافع إنسانية، أو أخلاقية.

1- سورة المائدة، الآية: 55.

2- راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة للسيد مرتضى الفيروز آبادى:ج2، ص13.

لا تريد إلاّ حكماً يمكّنها من رقاب الناس تستعبدها لتحقيق مآربها، ويمكّنها من التمتّع بملذّات الجنس والطعام كما وصف أمير المؤمنين أوّلهم ـــ بين نثيله ومعتلفه(1) ـــ .

ودّعوا الآخرة والـدين والإنسانية والمكارم، بأيّام تنزّهوا فيها وصادوا فيها الطيور والغزلان والوحوش، وهارشوا فيها الكلاب والقرود وعاشـروا الطّبالين والمغنّين وأراذل المجتمع، ثمّ لفظوها لفظةً واحدة.

أبكوا كلّ ذى دين، وكلّ ذى ضـمير، وكلّ ذى مروءة، وأحلّوا الخراب بمجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، بمجتمع القرآن والكعبة والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعفّة والسعى نحو المكارم.

أفقروا الأمّة وأكثروا النوائح فى كلّ مكان وكلّ زمان، حتّى لعنتهم الأرض ومن عليها والسماء ومن يسبّح فيها بل لعنهم ربّ الأرض والسماء من أوّل أيّام الإسلام:

((... وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِى أَرَيْنَاکَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا))(2).

لِيُحَذّر المسلمين منهم وينذرهم إن تبعوهم أو ناصروهم وإذا بالأمّة خلفهم تطأ خطامهم وتسير على ضلالتهم فإلى أين أوصلوهم يا ترى؟

1- نهج البلاغة للسيد الرضى: الخطبة الثالثة وهى الخطبة الشقشقية.

2- سورة الإسراء، الآية: 60.

واليوم لا تؤثر عنهم الأمّة علماً فی کتاب ولا مأثرة أو مکرمة بل وَرِثَت عنهم دماراً واسع النطاق فی کلّ مجالات الحیاة وتدهوراً لا یمکن لأحد أن یوقفه عند حدّ حتّی یظهر بشارة رسول الله ـــ المهدی المنتظر ـــ فیقصم ظهر ترکتهم ویقتلع جذور شجرتهم، نعم اثر عنهم أیضاً مخازٍ ورذائل وسوء سیرة وسریرة ملأ الکُتّاب من محبّیهم بها کتبهم فکانوا من أعظم العار والشنار علی الأمّة بین أمم الأرض.

وعکسهم تماماً ذریّة رسول الله الذین ساروا علی نهجه ومثّلوا القرآن والسنّة بسیرتهم وسریرتهم، أضاءوا الدهر بجمیل فعالهم وشریف خصالهم ونبل مقاصدهم وعلوّ همّتهم حتّی لیفخر المفتخر بالانتساب إلیهم وبالکتابة عنهم وبالسیر علی بعض مسلکهم فهنیئاً لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بهم ویستحقّ هؤلاء الأطیاب الأبرار الانتساب إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم خیر البشریة ومصطفی الربّ الحکیم الکریم إذ حملوا مشعل رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأبلغوا الأمّة مقاله وسنّته ونصحوا له ولها ووفوا ما علیهم.

((... اللّهُ أَعْلَمُ حَیْثُ یَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ...))(1)

((... وَسَیَعْلَمُ الَّذِینَ ظَلَمُوا أَیَّ مُنقَلَبٍ یَنقَلِبُونَ))(2).

1- سورة الأنعام، الآیة: 124.

2- سورة الشعراء، الآیة: 227.

على درب مسلم

واليوم

تخفق راية مسلم فى كلّ مكان من ديار الإسلام، بل فى كلّ مكان من العالم، حيثما وُجد شيعىّ.

وحيثما وُجد موالٍ لأهل البيت.

وحيثما وُجد مؤمن بالإسلام وقضيّته وهدفه.

مسلم، فُصِلَ رأسه عن جسده، ورُمى من أعلى قصر الإمارة، فتكسّرت عظامه، وسُحِب فى الأسواق، ودُفن مغضوباً عليه من الجهاز الحاكم الطاغوتى، ومخذولاً من الأمّة.

هذا قبل أربعة عشر قرناً خَلت.

أمّا من بَعْدُ إلى اليوم وسيستمر الحال.

فإنّ مسلماً حىّ، وقضيّته تنبض بالحياة، ومحبّيه ومواليه كُثر، وشمس الإسلام عن قريب فى كبد السماء إن شاء الله تعالى.

أمّا أعداء مسلم فقد دُفنوا ودُفن ذكرهم وقضيّتهم، وتبرّأت الأجيال منهم، واللعنات تلاحقهم وعذاب الآخرة أشدّ وأخزى.

الشعر فی خدمة القضیّة الحسینیة

اشارة

قال فیه: علی بن عبد العزیز، جمال الدین الخلعی:

ألِمُسلم بن عقیلِ قام الناعی

لمّا استهلّت أدمُعُ الأشیاعِ

مولیً دعاه ولیّه و إمامه

فأجاب دعوته بسمعٍ واعِ

حَفِظَ الوداد لذی القرابةِ فاقتنی

شرفاً علی الأهلین والأتباعِ

أفدیه من حُرٍّ نقیٍّ طاهرٍ

ماضی العزیمةِ ساجدٍ رکّاعِ

أفدیه من بطلٍ کمیٍّ ماجدٍ

جَمِّ الوفا ندبٍ طویل الباعِ

لهفی لمسلم والرماحُ تنوشُهُ

لا بالجزوع لها ولا المرتاعِ

حتّی إذا ظفرت به عُصَبُ الخنا

من بعدِ معترکٍ وطولِ نزاعِ

جاءوا به نحو اللعینِ فغاظهُ

بالقولِ من ثبتِ الجنانِ شُجاعِ

و إلی ابن سعدٍ بالوصیّةِ مُبطناً

أفضى فأظهرها بلؤم طباعِ

وهوى من القصر المشوم مهلّلاً

ومكبِّراً تجلو صدى الأسماعِ

لهفى لسيفٍ من سيوفِ محمّدٍ

عبث الفلول بحدِّه القطّاعِ

لهفى لمزجِ شرابه بِنَجِيعِهِ

لهفى لمسقطِ ثغرِهِ اللمّاعِ

لهفى له فوقَ التُراب مجدّلاً

دامى الجبين مهشّم الأضلاعِ

مولای یا بن عقیل یومُک جاعلٌ

حبّ القلوب دریئةُ الأوجاعِ

جادت معالمک الدموع بریِّها

وسقی الحمیم بواطن الإبداعِ

وسقی ابن عروة هانیاً غدقُ الحیا

فلقد أصاخ إلی نداء الداعی

یا سادةً ما زلتُ مُذ عَلِقَت یدی

بهمُ أحافظُ ودّهم وأراعی

مولاکم الخلعیُّ رافعُ قصّةٍ

یشکو سمومَ عقاربٍ وأفاعی(1)

وللفقیه الأصولی الفیلسوف الشیخ محمد حسین الأصفهانی:

یا ربّی المحمود فی فِعالِه

صَلّ علی محمّدٍّ وآله

وَصَلِّ بالإشراقِ والأصیلِ

علی الإمام من بنی عقیلِ

أوّل فادٍ فاز بالشهادة

وحاز أقصی رُتَبِ السعادةِ

أوّل رافعٍ لرایة الهُدی

خُصَّ بفضل السبقِ بین الشُهدا

دُرّة تاجِ الفضلِ والکرامة

قُرّةُ عينِ المجدِ والشهامة

غُرّةُ وجه الدهر فى السعادة

فإنّه فاتحة الشهادة

النيابة الخاصة

كفاه فخراً منصب السفارة

وهو دليل القدسِ والطهارة

كفاه فضلاً شرفُ الرسالة

عن معدنِ العِزّةِ والجلالة

وهو أخُ(2) ابن عمّه المظلومِ

نائبه الخاص على العموم

1- الغدير للشيخ عبد الحسين الأمينى: ج6، ص27.

2- كتب الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة: «وإنّى باعثٌ إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى...», قد تقدّم منا نقل نصّ الرسالة فى فصل ـــ موجز الحركة ـــ.

وعينه كانت به قريرة

حيث رآه نافذ البصيرة

لسانه الداعى إلى الصوابِ

بمحكم السُنّة والكِتاب

منطقه الناطق بالحقائق

فهو ممثّل الكتاب الناطق

وليّه المنصوب للهداية

فهو ولىّ صاحب الوِلاية

علومه

له من العلوم ما يليق به

بمقتضى رتبتِه ومنصبه

يمينه فى القبضِ والبسطِ معا

فما أجلّ شأنه وأرفعا

فارسُ عدنان وليثُ غابها

وسيفها الصقيل فى حرابها(1)

بل هو سيف السبط البارى(2)

وليثُ غاب عترةِ المختار

أشرق كوفان بنور ربّها

مُذ حَلَّ فيها ربّ أرباب النُهى

بايعه فى أهلها ألوف

والغدر منهم شايعٌ معروف

يحكى عمّه أمير المؤمنين عليه السلام:

ثباتُهُ من بعد غدر الغدرة

ثباتُ عمّه أمير البررة

بل سيف(3) فى وحدته وغربته

كَعَمّه فى بأسه وسطوته

1- هناک کلمات فى القصيدة لاحظنا عدم انسجامها مع الوزن الشعرى أو احتماليّة خللٍ فيها فكتبناها كما وجدناها غير أننا ننبّه عليها ولعل بعضها أو جميعها وقع فيها التصحيف بسبب الخطأ المطبعى، وكلمة ـــ حِرابها ـــ هنا أوّلها وسننبّه على الباقى فى المحلّ المناسب لها.

2- المورد الثانى.

3- المورد الثالث.

له من الشهامة الشمّاء

ما جاز حدّ المدحِ والثناءِ

أيّامه مشهودة معروفة

يعرفها أبطال أهل الكوفة

كم فارس فيها فريسته(1) الأسد

أو بطل فارقَ روحه الجسد

وكم كَميّ حدّ سيفه قضى

على حياته كمحتوم القضا

وكم شجاعٍ ذهبت قواه

وذاب قلبه إذا رآه

شدّ عليه شدّة الليث الحَرِب

قرّت عيون آل عبد المطلب

بل عين عمّهِ العليّ قدرا

إذ هو بالبارق أحصى بدرا

ذكّر يوم خيبر وخندقِ

بصولةٍ تبيد كُلّ فيلقِ

الليث يقتنص

تكاثروا عليه وهو واحدُ

لا ناصرٌ له ولا مساعِدُ

رموه بالنار من السطوحِ

لروحِهِ الفداء كُلّ روحِ

حتّى إذا أثخن بالجراحِ

واشتدّ ضعفه عن الكفاحِ

لم يظفروا عليه بالقتالِ

فاتّخذوا طريق الاحتيالِ

فساقه القضا إلى الحفيرة

أو ذروة القدسِ من الحظيرة

أمير يؤسر

أصبح مسلمٌ أسير الكفرة

تَعسا وبُؤساً للئام الغدرة

1- المورد الرابع ولعل الأصح فريسة.

كان أميراً فغدا أسيرا

كذلك(1) شأن الدهر أن يجورا

أدخل مكتوفاً على ابن العاهرة(2)

عذّبه الله بناء الآخرة

أسمعه سبّاً وشتماً فاحشا

رماه باطِلاً بما يُدمى الحشا

وما اشتفى بمسلمٍ بما لقى

حتى اشتفى منه بضرب العنق

وبعده رماه مِن أعلى البنا

فانكسرت عِظامُهُ واحُزْنا

المناحة والبكاء

فلتبكِه عين السما دماً فما

أجلّ رزء مسلمٍ وأعظما

وقد بكاه السبط حين ما نُعى

إليه مسلمٌ بقلبٍ موجَعِ

فارتجّت الأرجاء بالبكاءِ

على عميد الملّة البيضاءِ

واهتزّ عرش الملكِ الجليلِ

على فقيد الشرفِ الأصيلِ

وناحت العقولُ والأرواحُ

لِما استحلّوا منه واستباحوا

صُبّت دموع خاتم النبوّة(3)

على فقيد المجدِ والفتوّة

1- المورد الخامس ولعل الأصح ـــ كذاک ـــ.

2- المعروف والمثبّت تأريخياً أنّ أم عبيد الله ـــ مرجانة ـــ كانت من العواهر وكان يعيّر بها، كما أن أم أبيه ـــ زياد بن أبيه ـــ سميّة كانت كذلک، وقصّة إلحاق معاوية لزياد بأبى سـفيان على أساس أن سُميّة كانت هكذا وقد زنا بها أبو سفيان وأولدها زياداً من الأمور المشهورة بل المقطوعة تأريخياً وهى من أعظم العار على معاوية وعلى من يُدافع عنه إلى يوم الدين، بل لا يحوى إهاب معاوية غير العار والمخازى.

3- نقلنا فى بداية الكتاب رواية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى مسلم وبكاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليه.

بكاه عمّه على مصابِه

وحقّ أن يبكى دماً لما بهِ

بكى على غُربته آل العبا

وكيف لا وهو غريب الغُربا

ناحت عليه أهل بيت العصمة

فيا له من مثلمة ملمة(1)

ومن قصيدة للسيد باقر الهندى رحمه الله:

سقتک دماً يا بن عم الحسين

مدامع شيعتک السافحة

ولا برحت هاطلات العيون

تحييک غادية رائحة

لأنک لم تُروَ من شربةٍ

ثناياک فيها غدت طائحة

رموک من القصر إذ أوثقوک

فهل سَلِمَتْ فيکَ من جارحة

وسحباً تُجرُّ بأسواقهم

ألستَ أميرهُمُ البارحة

أتقضى ولم تبککَ الباکيات

أمالَکَ فى المصر من نائحة

لئن تقضِ نحباً فکم فى زرود

عليک العشيّة من صائحة(2)

1- المورد السادس، ولعلّ الأصح: فيالها من ثلمةٍ مُلِمّة. وهناک أيضاً أخطاء مطبعية فی النسخة التی نقلنا عنها لم نُنبه عليها لسهولة اکتشافها، وتشخيص الصحيح بدلاً عنها. وقد نقلنا القصيدة من کتاب الأنوار القدسية: ص136؛ والکتاب يتضمن أراجيز جليلة فی أهل البيت عليهم السلام.

2- مقتل الحسين للسيد المقرم: ص165.

المصادر

1. القرآن العزیز.

2. إبصار العین فی أنصار الحسین، الشیخ محمد السماوی.

3. ابن تیمیة، صائب عبد الحمید، مرکز الغدیر للدراسات الإسلامیة ـــ إیران، الطبعة الأولی ـــ 1414 هـ.ق.

4. الاحتجاج علی أهل اللجاج، مجلّدان، أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی، التحقیق: إشراف الشیخ جعفر السبحانی، انتشارات أسوة، الطبعة الأولی، 1413 هـ.ق.

5. الإرشاد، الشیخ محمد بن محمد بن النعمان المفید، تحقیق: مؤسسة آل البیت علیهم السلام لإحیاء التراث، مجلّدان، إیران ـــ الطبعة الأولی ـــ 1413 هـ.ق.

6. الأصول من الکافی، الشیخ الکلینی.

7. الأنوار القدسیة، أرجوزة للفیلسوف الشیخ محمد حسین الأصفهانی، طبعة: مؤسسة الوفاء ـــ بیروت، الطبعة الثانیة 1404 هـ.

8. بحار الأنوار، الشیخ محمد باقر المجلسی، طبعة: دار إحیاء التراث العربی، 110 مجلّد، الطبعة الثالثة، 1403 هـ.ق.

9. بحوث فی فقه الرجال، بحث: السیّد علی الفانی الأصفهانی، مطبعة مهر، قم، الطبعة الأولی، 1410 هـ.ق، تألیف السیّد علی مکی العاملی.

10. البیان، السیّد أبو القاسم الخوئی، الناشر: دار الثقلین، الطبعة الثالثة، 1418 هـ.ق.

11. تحفة العالم، السيد جعفر بحر العلوم، الناشر: مكتبة الصادق ـــ طهران، جزآن، الطبعة الثانية ـــ 1401 هـ.ق.

12. تذكرة الفقهاء، العلاّمة الحسن بن المطهر الحلّى، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

13. ترتيب كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق: المخزومى، السامرائى، تصحيح: أسعد الطيّب، انتشارات أسوة ـــ إيران 1414 هـ.ق.

14. تنقيح المقال، الشيخ عبد الله المامقانى، ثلاث مجلّدات، طبعة حجرية، المطبعة المرتضوية فى النجف الأشرف 1352 هـ.ق.

15. جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفى، طبعة مؤسسة المرتضى العالميّة، 15 مجلّداً، الطبعة الأولى، بيروت 1992 م.

16. حدود الشريعة، الشيخ محمد آصف المحسنى، مطبعة أمير المؤمنين عليه السلام.

17. حياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشى رحمه الله، انتشارات: مدرسة الإيرانى، 3 مجلّدات، إيران ـــ الطبعة الرابعة ـــ 1413 هـ.ق.

18. الخُدعة، رحلتى من السنّة إلى الشيعة، الكاتب المصرى: صالح الوردانى، طباعة: دار النخيل، بيروت، الطبعة الأولى 1416 هـ.

19. دراسات حول كربلاء، مجموعة باحثين، طبع لندن.

20. ذوب النضّار فى أخذ الثار، الشيخ جعفر بن محمد بن نما الحلّى، مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرّسين، قم، تحقيق: فارس حسون كريم، الطبعة الأولى ـــ 1416 هـ.ق.

21. السجود على التربة الحسينية، الشيخ عبد الحسين الأمينى، تقديم محمد عبد الحكيم الصافى، طبعة دار الزهراء عليها السلام، الطبعة الثانية، بيروت 1977 م.

22. السيّدة زينب عليها السلام، الشيخ باقر شريف القرشى، إيران ـــ مطبعة شريعت، الطبعة الأولى ـــ 1420 هـ.ق.

23. الشهيد مسلم بن عقيل، السيد عبد الرزاق المقرم.

24. شواهد التنزيل، الحاكم الحسكانى، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى، 3 مجلّدات، إيران، الطبعة الأولى ـــ 1411 هـ.ق.

25. العبّاس عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرم، منشورات الشريف الرضى، قم، الطبعة الأولى.

26. العبّاس عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشى، مطبعة أمير، إيران، الطبعة الأولى، 1420 هـ.ق.

27. على ضفاف الغدير، مجلّدان، إعداد لجنة بإشراف السيد فاضل الميلانى، نشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين، قم، الطبعة الثانية ـــ 1410 هـ.ق.

28. الغدير (11) مجلّداً، الشيخ عبد الحسين الأمينى، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1416 هـ.ق.

29. الفصول المختارة، السيد المرتضى، والمطبوعة ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد، تحقيق: السيد على مير شريفى.

30. الفصول المهمّة فى تأليف الأمّة، السيد عبد الحسين شرف الدين، مكتبة الداورى، إيران، الطبعة الخامسة.

31. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، السيد مرتضى الحسينى الفيروزآبادى، 3 مجلّدات، الطبعة الثالثة، مطبعة خورشيد، 1413هـ.

32. كامل الزيارات، الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه القمّى، تحقيق: نشر الفقاهة، إيران، الطبعة الأولى، 1417 هـ.ق.

33. كتاب سُلَيم بن قيس الهلالى، تأليف: سُلَيم بن قيس الهلالى، تحقيق: الشيخ محمد باقر الأنصارى، ثلاث مجلّدات، نشر الهادى، إيران، الطبعة الأولى ـــ 1415 هـ.ق.

34. لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، على الوردى، لم تُذكر المطبعة، ولا مكانها ولا سنة الطبع.

35. ليالى بيشاور، السيد محمد الموسوى الشيرازى سلطان الواعظين، تحقيق: السيد حسين الموسوى، مؤسسة الثقلين، الطبعة الثانية، 1420 هـ.ق.

36. مائة منقبة، محمد بن أحمد القمّى، تحقيق: الشيخ نبيل رضا علوان، انتشارات: أنصاريان، إيران، الطبعة الثانية ـــ 1413 هـ.ق.

37. مبعوث الحسين، محمد على عابدين، مؤسّسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرّسين، قم، الطبعة الثانية، 1414 هـ.ق.

38. مجلّة علوم الحديث، إصدار: كلّية علوم الحديث، طهران، إيران، قم.

39. المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين، منشورات مؤسسة الأعلمى ـــ بيروت، (د.ط)، (د. ت).

40. المرجعية والقيادة، السيّد كاظم الحائرى، مطبعة القدس، الطبعة الأولى، 1418 هـ.ق.

41. مسارّ الشيعة، الشيخ المفيد، المطبوع ضمن: مجموعة نفيسة، نشر مكتبة السيد المرعشى، قم 1406 هـ.ق.

42. مسند الإمام المجتبى، الشيخ عزيز الله العطاردى، مطبعة: حيدرى، الطبعة الأولى، 1373 هـ.ق.

43. معالم المدرستين، السيّد مرتضى العسكرى، الناشر: مؤسّسة البعثة، 3 مجلّدات، الطبعة الثانية، 1406 هـ.ق.

44. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقى، الناشر: انتشارات إسلامى ـــ إيران، 1372 هـ.ش.

45. المعجم المفهرس لألفاظ بحار الأنوار 14 مجلّد، لجنة ـــ مكتبة الإعلام الإسلامى فى الحوزة العلمية ـــ قم، 1413 هـ.ق.

46. المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، محمد الدشتى، السيد كاظم المحمدى، نشر: مؤسسة أمير المؤمنين عليه السلام للتحقيق، إيران، الطبعة السادسة، 1375 هـ.ش.

47. المعجم الوسيط، المؤلّف: لجنة، نشر: دفتر نشر فرهنک إسلامی ـــ إيران، الطبعة الرابعة، 1412 هـ.ق.

48. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئی، منشورات مدينة العلم، قم، 23 مجلّد، الطبعة الثالثة ـــ لبنان، 1402 هـ.ق.

49. مقالات تأسيسية فی الفكر الإسلامی، السيد محمد حسين الطباطبائی، تعريف: خالد توفيق، الطبعة الأولی، 1415 هـ.ق.

50. المقتطفات، عيدروس بن أحمد السقاف الحسينی الأندونيسی، تحقيق: السيد مهدی الرجائی، جزآن، مطبعة أمير، إيران، 1415 هـ.ق.

51. مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، منشورات قسم الدراسات الإسلامية، طهران.

52. الملحمة الحسينيّة، الشيخ الشهيد مرتضی المطهری.

53. الملهوف، الطبعة الأولی ـــ 1414 هـ.ق، السيد علی بن موسی، رضیّ الدين بن طاوس، طبع: دار الأسوة التابعة لمنظمة الأوقاف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسّون.

54. منتهی المقال، أبو علی الحائری، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، 7 مجلّدات، إيران ـــ الطبعة الأولی ـــ 1416 هـ.ق.

55. المُنجد، لويس معلوف، انتشارات دهقانی، إيران، الطبعة الرابعة، 1374 هـ.ش.

56. موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، مجلّدان، تأليف: لجنة، بإشراف الشيخ أبو القاسم الخزعلی، نشر: مؤسسة ولی العصر عليه السلام، إيران، الطبعة الأولی، 1419 هـ.ق.

57. الميزان فی تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائی، منشورات: مؤسسة الأعلمی، بيروت، الطبعة الأولی، 1417 هـ.ق.

58. النصّ والاجتهاد، السيّد عبد الحسين شرف الدين.

59. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، السيد محمد بن عقيل، طبعة دار الثقافة، قم.

60. النظام السياسى، أحمد حسين يعقوب، مؤسّسة الفجر ـــ لندن.

61. نفحات الأزهار فى خلاصة عبقات الأنوار، السيد على الميلانى، 12 مجلّداً، مطبعة مهر، الطبعة الأولى ـــ 1414 هـ.ق.

62. نهج البلاغة، السيد الرضى، تحقيق: صبحى الصالح، نشر دار الأسوة، الطبعة الأولى، إيران، 1415 هـ.ق.

63. وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملى، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى، 1411 هـ.ق.

64. وعّاظ السلاطين، الدكتور على الوردى، طبعة: دار كوفان، لندن، الطبعة الثانية، 1995م.

65. ولاية الفقيه، الشيخ حسين على المنتظرى، الناشر: المركز العالمى للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، 1408 هـ.ق.

66. اليزيدية، السيد عبد الرزاق الحسنى.

67. ينابيع المودّة، 4 مجلّدات، سليمان بن إبراهيم القندوزى الحنفى، تحقيق: سيد على جمال أشرف، مطبعة أسوة، الطبعة الأولى، إيرانى، 1416 هـ.ق.

المحتويات

التقديم.. 5

مقدمة الكتاب... 8

مسلم.. 13

عقيل بن أبى طالب... 20

يزيد فى سطور. 26

المهدى.. 33

ابن زياد. 37

مجتمع الكوفة. 48

موجز الحركة. 69

مواقف وتساؤلات... 76

اختيار الإمام لمسلم.. 105

مسلم يُعلن هدف الثورة الحسينية. 113

أهداف حركة مسلم.. 118

مسلم يهيئ الوسائل لإمامه. 126

البيعة. 133

الإيمان قيد الفتك.... 142

مسلم يُشعل فتيل الثورة. 154

لِمَ استعجل مسلم المواجهة؟. 157

مسلم فی الساحة. 162

مسلم فی الأسر. 165

مسلم یحاول المستحیل.. 167

مسلم فی مجلس ابن زیاد. 172

استشهاد مسلم ومدفنه. 174

المرقد المبارک.... 179

هل انتهت قضیة مسلم؟. 181

کیف نحیی ذکری بطل الإسلام مسلم؟. 184

مسلم قدوة. 198

ملکات أعلنت عنها الطف... 202

سبب انهیار الحرکة. 212

دروس من حرکة مسلم.. 217

المرأة فی حرکة مسلم.. 229

أولاد مسلم.. 233

علی درب مسلم.. 241

الشعر فی خدمة القضیّة الحسینیة. 242

النیابة الخاصة. 243

علومه. 244

اللیث یقتنص.... 245

أمیر یُؤسر. 245

المناحة والبكاء. 246

المصادر. 249

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹